نوادر الإمام ابن حزم

خرجها وعلق عليها
أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري
عفا الله عنه

دار الغرب الإسلامي
بيروت . لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

نوادر الإمام ابن حزم

نوادر الإمام ابن حزم

خرّجها وعلّق عليها
أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري
عفا الله عنه

السفر الأول
يتضمّن ٢٢٠ نصاً

دار الغرب الإسلامي
بيروت

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

المقدمــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

وسلام على جميع أنبياء الله ورسله ومن اتبع هداهم إلى أن نسخ الله شرائع كل من مضى بشريعة الإسلام، واحشرنا اللهم في زمرة أوليائك وحزبك.

أما بعد، فإن هذا الكتاب بجميع أسفاره من أسهل أعمال التأليف التي مارستها لأنه ليس لي فيه غير الجمع سوى ومضات من التحقيق والتعليق ولكنني بحق أعتبره من أهم وأنفع وأمتع ما سطرته بقلمي على الإطلاق لأمور سأذكرها فيما بعد.

والدافع إلى جمع هذه النوادر أنني وأدت دراسات عن تاريخ ابن حزم وعلمه أردت ترتيبها ترتيباً منهجياً أكاديمياً ريثما أحقق وأحرر مصادر البحث عن هذا الإمام العظيم الذي طالت صحبتي له ما ينيف على عشرين عاماً.

وكانت مصادر البحث التي قمت بتحريرها وتحقيقها قبل دراسة ابن حزم دراسة منهجية على قسمين:

القسم الأول: أقوال الناس في ابن حزم وقد خرج من هذا العمل أربعة أسفار بتقديم وعناية أستاذي العلامة الدكتور إحسان عباس، صدرت عن دار الغرب ببيروت للأستاذ الحبيب اللمسي.

والقسم الثاني: أقوال ابن حزم نفسه عن نفسه وعن غيره، وهي التي سميتها (نوادر الإمام ابن حزم).

ولقد رشحت نفسي لجمع نوادر ابن حزم لسبب يسير ألمحت إليه في مقدمتي للسفر الأول من كتابي (ابن حزم خلال ألف عام) بقولي:

«وثمة استنباطات ضرورية غير محتملة الدلالة تأتت من وقف عشرين عاماً أو أكثر من حياتي في قراءة ابن حزم ودراسته، ولا أزال في دور التتبع في منتهى الشوق إلى مزيد من الاستكشاف.

ومثل هذا الظرف الجاد من حياتي العلمية مصدر لا تعوض عنه مصادر ترجمة ابن حزم. اهـ».

ولما كان الغرض من جمع هذه النوادر أن تكون مرجعاً لدراسة منهجية عن تاريخ ابن حزم وعلمه فقد حرصت على أن تكون تعليقاتي وتحقيقاتي بالقدر الذي يحتاجه دارس ابن حزم من تعريف بالأعلام الذين لهم علاقة بابن حزم من شيوخ وتلاميذ وأصدقاء وخصوم مع تعريف بمؤلفاته وأسانيده... إلخ.

ولم أحرص على ترتيب مواد هذا الكتاب ترتيباً منهجياً - وإن كان هذا أمراً ميسوراً لي الآن - بحيث تكون سيرة ابن حزم بقلمه على حدة، ومناظراته على حدة، وما رواه من أخبار على حدة، وآراؤه الفكرية وتحقيقاته العلمية على حدة... وهكذا لسببين جوهريين:

أولهما: أن المقاصد المترتبة على ترتيب مواد الكتاب ترتيباً منهجياً سأحققها إن شاء الله بفهرس فني ألحقه بآخر أسفار الكتاب يتضمن فهرساً بالأعلام والكتب والمعارف.

وثانيهما: أن إطلاق الكتاب على سجيته بحيث نجد فائدة تاريخية يتلوها كلام وجداني يأخذ بتلابيب القلوب فتأملات فكرية تأسر العقل فترطيب يثمأ الجفوف الفكري كل ذلك يحقق مدلول الكتاب (نوادر). ثم إن إطلاق الكتاب على هذه السجية

استحياء لطريقة عدد من الأسلاف كالجاحظ وابن قتيبة والحريري فأبي الوفاء ابن عقيل وابن الجوزي والحصري إلى عصر الصفدي فالعاملي... وعشرات غيرهم يرون في التفريق لذاذة الامتاع.

وبحق فقد أصابتنا الأكاديمية الأوربية بالتبلد والملل.

وإذا كانت الأكاديمية المنهجية مبتغى فكرياً حازماً ترضي نزعة العقل فيجب أن لا تطغى هذه المنهجية على مكتبتنا العربية بل لا بد من الوفاء لمنهج الأسلاف الذين كانوا أعرف وأدرى بالسياسة العلمية إذ يفرقون المعارف في عدد من مؤلفاتهم لجلب المتعة والتخول بالموعظة العلمية، وما الموعظة العلمية إلا أن يكون القارىء عاشقاً لما يقرأ وذلك لعمر الله هو العلم الذي تلثمه الذاكرة فلا يضل ولا يتيه.

وقد جربت في حياتي العلمية أنه يستعان على القراءة بالقراءة ويستدفع الملل من القراءة بتنويع القراءة.

هذا أمر يعرفه كل من جرب حلاوة العلم.

ولهذه الظاهرة، قلت: إن طريقة الأسلاف رحمة الله عليهم في تنويع معارف الكتب أمتع وانفع.

والنادر في العرف العام لرجال العلم ـ وهو مصطلح مأخوذ من المعاني العربية لكلمة ندر ـ يعني التفرد على سبيل المدح فلا يقال للكلمة العوراء: نادرة، إلا أن يكون وراءها جمال فني.

ثم توسع الاستعمال في العرف العلمي العام فصار يراد بالنادر كل ما تتشوف له النفس وتبتغيه.

ومادة هذا الكتاب من أولها إلى آخرها، من نوادر ابن حزم بالنسبة لثلاثة أطراف:

بالنسبة لابن حزم ذاته، كأن نجد له كلمة رقيقة في حوار خصومه

من المالكية أو الحنفية أو الأشاعرة أو اليهود أو الرافضة أو ملوك الطوائف.

لأن ابن حزم منجنيق المغرب ولسانه شقيق سيف الحجاج، فكل رحمة في حواره فهي من فلتات حياته العلمية.

ومن أمثلة هذه النوادر بالنسبة لابن حزم نفسه، أن نجد له تعبيراً أدبياً مركباً يترجح لنا أنه أول من ركبه، فهو من نوادر ابن حزم، وإن كان مثل هذه النوادر كثيراً في كلامه لا سيما على سبيل السخرية.

ومثل ذلك، آراؤه النظرية في السياسة والاجتماع التي ظن ردحاً من الزمن أنها من ابتكار ابن خلدون.

ومثل ذلك، إفاداته التاريخية التي تفرد بها، كإفادته بأن شيخه ابن مفلت تزوج وطلق في مرض موته إحياءً للسنة وتحدّياً للمالكية، فهذا خبر لم لم يذكره كل من تكلم عن ابن مفلت من المؤرخين.

وهذا الكتاب من نوادر ابن حزم، لكل قارىء ليست له عناية بابن حزم، لأنه من كتب المتفرقات العلمية، ولأن ابن حزم نفسه بصمة خاصة في تاريخ حياته وفي فكره وفي علمه.

وهذا الكتاب من نوادر ابن حزم، بالنسبة للمعنيين بابن حزم وهذا هو بيت القصيد.

والندرة ها هنا من عدة وجوه:

أولها : أن هذا الكتاب يحتفي بإيراد نصوص من كتب ابن حزم المفقودة، فتجميع هذه النصوص يلقي ضوءاً على مؤلفات ابن حزم المفقودة وهو إضافة إلى نصوص ابن حزم الموجودة.

وثانيها : أن هذا الكتاب يحتفي بإيراد نصوص من كلام ابن حزم عن نفسه وعن أسرته.

ولم يستفد من هذه النصوص غير المستشرقين وبعض المعاصرين، ولم يستفيدوا من جميع هذه النصوص وإنما أخذوا

ومضات من طوق الحمامة ومداواة النفوس والإحكام.

فتجميع سيرة ابن حزم بقلمه من النوادر لأنه إضافة إلى تاريخ حياة ابن حزم.

ويدخل في ذلك مذكرات ابن حزم ومشاهداته ومناظراته.

وثالثها : أن هذا الكتاب يحتفي بإيراد المختار مما يستمتع به القلب من فن ابن حزم، وما يستعظمه العقل من علمه وفكره.

ووجه الندرة في هذا، أنه انتقاء لما يكتفى به في تشخيص فن ابن حزم وعلمه وفكره ومنهجه.

ولما كان هذا الأمر يطول جداً، فقد كان دوري دور الاختيار والانتقاء، أما في الأنواع الأخرى، فكان دور الاضطرار وهو التعب في البحث والتنقيب ومحاولة الاستيعاب في الإيراد.

ورابعها : أن هذا الكتاب يحتفي باستخراج نصوص من كلام ابن حزم من غير مظانها، فكتاب ضخم كالإحكام في أصول الفقه أجد فيه نصاً نقدياً لابن حزم ينكر فيه توارد الخواطر فيما زاد عن نصف بيت بكل جراءة، وكتاب ضخم كالمحلى في الفقه أجد فيه معلومات جغرافية وتاريخية عن الأندلس ونباتها، وكتاب ضخم كالفصل في الفلسفة والعقائد، أجد فيه نظريات جبارة في علم اللغة والتقنين لها.

فتجميع هذه النصوص، تجميع لنوادر أتحف بها من يكتب عن ابن حزم نحوياً فقط، أو ابن حزم أديباً فقط، أو ابن حزم مؤرخاً فقط... إلخ.

ويلاحظ في هذا السفر أن كثيراً من مواده من كتاب تلميذ ابن حزم أبي عبدالله الحميدي (جذوة المقتبس) لأن دراسة هذه النصوص وتجليتها تزيل وهماً كبيراً وقع فيه المعاصرون لا سيما أحد الباحثين الأسبان في بحث

له عن نصوص ابن حزم من الجذوة قدمه في مؤتمر ذكرى ابن حزم الذي أقيم بإسبانيا منذ سنوات.

فقد ظن هؤلاء أن الحميدي جلس ينقل هذه الأخبار التي أوردها في الجذوة نقلاً من شيخه في مجالسه العلمية، وقد بينت خطأ هذا الوهم في مقدمتي لكتاب (الذهب المسبوك في وعظ الملوك) للحميدي، الذي حققته بالاشتراك مع الزميل الدكتور عبد الحليم عويس.

وأذكر هنا ما تمس إليه الحاجة فأقول: إن ما نقله الحميدي عن شيخه في جذوة المقتبس لا يخلو من هذه الأمور:

أ - نصوص نقلها الحميدي من كتب آخرين لا علاقة لابن حزم بها، ككتاب الأمالي للقالي، وكتاب أخبار فقهاء قرطبة لخالد بن سعد.

وإنما ورد ابن حزم في الواسطة عندما نقل الحميدي عن الأمالي للقالي، لأن الحميدي روى الأمالي عن ابن حزم عن ابن ربيع عن القالي.

وفي عرف أهل المصطلح، أن الراوي إذا روى جميع الكتاب عن شيخه جاز له أن ينقل نصاً من الكتاب، فيقول: حدثني شيخي فلان، أو أملى عليّ أو سمعته أو أخبرني.

والذين لم يعرفوا طريقة القوم في تحمل رواية الكتب، يوم كانت هوية الكتاب تعرف بنصوص إسناده وسماعاته، يظنون أن قول التلميذ: حدثني فلان بكذا، أن الشيخ أملى هذا النص بعينه على تلميذه، والواقع أنه روى عنه كتاباً بجملته يوجد فيه ذلك النص.

وطريقة القوم في تحمل الرواية التي يستجيزون بها قول: حدثني، وسمعته، وأملى عليّ، أن يقرأ التلميذ الكتاب من أوله إلى آخره على الشيخ وهذا نادر جداً.

أو أن يقرأ عليه طرفاً منه ويجيزه بالباقي، أو أن يناوله الكتاب ويملكه إياه، أو يأذن له في نسخه ومقابلته، أو يناوله فهرس مروياته

ويأذن له برواية ما تضمنه الفهرس من كتب، فهذا الحافظ أبو عمر ابن عبد البر أذن للحميدي بمثل هذا.

قال الحميدي عن ابن عبدالبر:

وقد لقيناه وكتب لنا بخطه في فهرسة مسموعاته ومجموعاته مجيزاً لنا وكاتباً إلينا بجميع ذلك كله[1].

قال أبو عبدالرحمن: وقد خرجت فهرسة الحميدي فوجدته يكثر الأخذ عن ابن عبد البر بناء على هذا الإذن.

وأبو محمد بن حزم نفسه استجاز ذلك، فقد ذكر من وجوه التحمل الصحيحة أن يقول الشيخ لتلميذه عن ديوان مشهور منقول عند الناس نقل تواتر ليس في ألفاظه اختلاف: ديوان كذا، أخذته عن فلان عن فلان حتى يبلغ إلى مؤلفه، فجائز أن يقول: حدثني، وأخبرني، وهو محق في ذلك وهو كله خبر صحيح... إلخ[2].

وأبو محمد بن حزم رحمه الله حريص على استجلاب الكتب واقتنائها بأسانيدها وسماعاتها، وقد خرجت فهرسته فوجدت لديه عدة كتب يرويها بطرق شتى: كالموطأ والصحيحين. وقد وصفه المؤرخون كالذهبي بالحرص على جمع الكتب، وصرح أبو محمد بذلك في أكثر من موضع، كقوله لاحناً عن نفسه:

«ومن عني بروايات المصنفات والأحاديث المنثورة وقف على ما قلنا يقيناً»[3].

وبيقين، فإن الحميدي لازم ابن حزم طويلاً، إلا أن كثرة روايته عنه في الجذوة لا تدل على طول الملازمة وكثرة التلقي، بل هي من باب الرواية بالإجازة على النحو الذي ذكرته آنفاً.

---

(١) جذوة المقتبس ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٢) الإحكام ٢/١٤٦.

(٣) الإحكام ٥/١٠٥.

ب ـ نصوص نقلها الحميدي من مصنفات ابن حزم.

وقد روى الحميدي مصنفات ابن حزم على النحو الذي ذكرته آنفاً.

جـ ـ نصوص سمعها الحميدي بذاتها مشافهة، أو أملاها عليه ابن حزم، وهذا نادر جداً.

ولهذه الظاهرة، حرصت على تخريج نصوص الحميدي من مصادرها ما وسعني البحث على سبيل اليقين أو الرجحان.

وثمة كتب نقلت نصوصاً نادرة لابن حزم من مؤلفاته المفقودة، لم يتيسر لي الاطلاع عليها، ورجائي ممن يطلع على هذه المقدمة أن يتكرم مشكوراً بإتحافي بصور منها، لأتمم غاية هذا الكتاب وسأنوه بأسماء هذه المصادر التي تنقصني في التقديم لكل سفر، وأذكر منها الآن كتابين هما:

كتاب ياقوت الحموي عن الملل والنحل، فقد نقل فيه نصوصاً من كتاب ابن حزم المفقـود: فضائح البربر.

وكتاب تاريخي للحافظ الذهبي غاب عني اسمه الآن، يوجد بالمكتبة الظاهرية بدمشق، وقد ذكر في الفهرس أنه أكثر النقل عن كتاب ابن حزم المفقود عن الإمامة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على عباده المرسلين.

أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

ـ عفا الله عنه ـ

الرياض ـ دارة ابن حزم ـ

آخر ليلة يوم السبت الموافق ١٩/١٢/١٤٠١ هـ

١ ـ قال أبو محمد عن رجل أتته المنية في الحرب، فمات وهو على ظهر دابته، دون أن يصاب بشيء وهو غالب يوم حربه مع ابن أبي عامر، وقد أشفى على الظفر:

(حدثني وهزني الوزير والدي نضر الله وجهه قال:

كان المنصور بن أبي عامر في القلب، وجعفر بن علي المعروف بالزابي في الميمنة، وأبوك وأبو الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي والحسن بن عبد الودود السلمي في الميسرة.

وكأني أنظر إلى غالب، وهو شيخ كبير قد قارب الثمانين عاماً، وهو على فرسه وفي رأسه طرطور عال، وقد عصب حاجبيه بعصابة.

ثم قال لمن حواليه (وكان قد جمع جموعاً عظيمة من المسلمين والنصارى):

من هؤلاء؟ ـ وأشار إلى الميمنة ـ.

فقيل له: جعفر بن علي، وأخوه يحيى، والبربر. فحمل عليهم حملة قصفهم فيها قصفاً لم يثبت منهم أحد على صاحبه، واصطكت الهزيمة على الميمنة.

ثم انصرف فقال: من هؤلاء؟ ـ وأشار إلى الميسرة ـ.

فقيل: أحمد بن حزم، وحسن بن عبد الودود، ومعن بن عبد العزيز.

فحمل علينا حملة، فانفلقنا بين يديه، ولم يلو أحد منا على صاحبه!

وابن أبي عامر في القلب يصفق بيديه، وتضطرب رجلاه في ركائبه وقد أيقن بالهلاك.

فانصرف غالب إلى أصحابه، فقال لهم:
قد هزمنا الميمنة والميسرة، وإنما بقي لنا القلب وحده، وفيه هذا الأجرب الملعون - يريد ابن أبي عامر - فالآن نحمل عليه ونهلكه.

وكان في أول الحرب قد دعا وقال:
اللهم إن كنت أصلح للمسلمين من ابن أبي عامر فانصرني، وإن كان هو أصلح لهم مني فانصره.

ثم همز فرسه، وترك جهة القتال.
وأخذ ناحية إلى خندق كان في جانب عسكره.
فظن أصحابه أنه يريد الخلاء، فلم يتبعه أحد.

فلما أبطأ عليهم ركبت طائفة منهم نحوه، فوجدوه قد سقط إلى الأرض ميتاً، وقد فارق الدنيا بلا ضربة، ولا طعنة، ولا رمية، ولا أثر!
وفرسه واقف بناحية يعلك لجامه!
ولا يعلم أحد بسبب موته.

إلا أن الناس ظنوا ظناً، وهو أن القربوس ضرب صدر هذا الذي قد رزىء من قدر!

فلما رأى ذلك أصحابه سقط في أيديهم، وطلبوا حظ أنفسهم.
فبادر مبادر منهم بالبشرى إلى ابن أبي عامر، فلم يصدق حتى وافى موافٍ بخاتمه.

ووافاه آخر بيده، ووافاه آخر برأسه، ووقعت الهزيمة على النصارى، وكان غالب قد استمد لملوكهم فقتلوا أشنع قتل، وقتل في جملتهم رذمير بن شانجة ملك البشاكس المعروف براي قرجة.

وسلخ جلد غالب، وحشي قطناً، وصلب على باب القصر بقرطبة.
وصلب رأسه على باب الزاهرة.

قال أبو محمد:

فأنا أدركته بها إلى أن هبط يوم هدم الزاهرة. وكانت هذه الحرب ـ التي هلك فيها غالب ـ سنة إحدى وسبعين. اهـ[1]

التعليق على النص

* بمكتبة جستربتي نسخة من نقط العروس ورد بها النص مختصراً هكذا: (رجل أتته منيته في الحرب فمات وهو على ظهر دابته دون أن يصاب بشيء: غالب يوم حربه مع محمد بن أبي عامر وقد أشفى على الظفر).

* غالب هذا هو صهر ابن أبي عامر، وقد جاء بهامش نسخة جستربتي أنه العلج مولى عبد الرحمن الناصر الأموي خليفة الله في الأندلس، وكانت بنته تحت الحاجب المنصور بن أبي عامر المعافري.

* بموجب هذا النص يكون انتقال أبي عمر أحمد بن حزم إلى الدور المستحدثة بعد سنة ٣٧١هـ.

٢ ـ قال أبو محمد:

ومات بقرطبة سنة ٤٢٢هـ، محمد بن عبيدالله بن عبدالله بن عبدالله بن مروان بن عبدالله بن مسلمة بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الكاتب وهو آخر من بقي من ولد مسلمة بن عبد الرحمن بن معاوية المعروف بكليب، وإليه تنسب أرحى كليب التي على النهر بقبلي قرطبة.

فورثت أنا ماله محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن عبد الملك

(١) نقط العروس ص ٨١ ـ ٨٢ تحقيق د. شوقي ورسائل ابن حزم تحقيق د. إحسان ٢/ ٩٤ ـ ٩٥ وفيه مقارنة بكتاب أعمال الأعلام، وانظر دول الإسلام في الأندلس لعنان ١/ ٥٣٧ ـ ٥٤٠.

ابن عبد الرحمن بن سعيد الخير ابن عبد الرحمن بن معاوية بالقعدد ودفعته إليه وقضيت له به، وما كان عند محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن هذا علم بأنه مستحق هذا المال، ولا كان له طمع في أخذه.

فلولا علمي بالنسب لضاع هذا المال وأخذه غير أهله بغير حق. اهـ»[1].

وقال أبو محمد ـ مستعرضاً ولد عبد الرحمن بن معاوية ـ:

«وكليب واسمه مسلمة وإليه تنسب أرحى كليب انقرض عقب كليب هذا. وآخر من بقي منهم محمد بن عبيدالله بن عبدالله بن عبدالله ابن مروان بن عبدالله بن مسلمة ـ وهو كليب المذكور ـ، الكاتب.

فورثه بالقعدد محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن سعيد الخير بن عبد الرحمن بن معاوية.

ورجل من ولد يحيى بن عبد الرحمن بن معاوية اهـ»[2].

التعليق على النص

- قال أبو عبد الرحمن: قوله: «ورجل من ولد يحيى» عطف على «فورثه» وهي زيادة على النص السابق.
- وحاكم قرطبة عام ٤٢٢هـ، «هشام بن محمد المعتد بالله الأموي وقد خلع يوم الثلاثاء في ١٢/١٢/٤٢٢هـ»[3].
- وقد ذكر صاعد: أن أبا محمد وزر للمعتد بالله فإذا أضيف هذا إلى نص أبي محمد هنا ترجح أن أبا محمد كان بقرطبة عام ٤٢٢هـ.
- القعدد: بضم القاف والدال، ويجوز فتحها أيضاً:

---

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٥ ـ ٦.
(٢) جمهرة أنساب العرب ص ٩٤ ـ ٩٥.
(٣) البيان المغرب لابن عذاري ٣/١٤٥.

قريب الآباء من الجد الأكبر.

يقال: هو أقعدهم: أي أقربهم إلى الجد الأكبر.

٣ ـ قال أبو محمد:

(كنت معتقلاً في يد الملقب بالمستكفي محمد بن عبد الرحمن بن عبيدالله بن الناصر في مطبق.

وكنت لا أومن قتله، لأنه كان سلطاناً جائراً ظالماً عادياً، قليل الدين، كثير الجهل، غير مأمون ولا متثبت.

وكان ذنبنا عنده صحبتنا للمستظهر رضي الله عنه.

وكان العيارون قد انتزوا بهذا الخاسر على المستظهر فقتله، واستولى على الأمر، واعتقلنا حيث ذكرنا.

وكنت مفكراً في مسألة عويصة من كليات الجمل التي تقع تحتها معانٍ عظيمة كثر فيها الشغب قديماً وحديثاً في أحكام الديانة، وهي متصرفة الفروع في جميع أبواب الفقه.

فطالت فكرتي فيها أياماً وليالي إلى أن لاح لي وجه البيان فيها، وصح لي الحق يقيناً في حكمها وانبلج وأنا في الحال الذي وصفت.

فبالله الذي لا إله إلا هو الخالق الأول مدبر الأمور كلها الذي لا يجوز القسم بسواه:

أقسم لقد كان سروري يومئذ وأنا في تلك الحال بظفري بالحق فيما كنت مشغول البال به، وإشراق الصواب لي أشد من سروري بإطلاقي مما كنت فيه!

وما ألفنا كتابنا هذا وكثيراً مما ألفنا إلا ونحن مغربون، مبعدون عن الوطن والأهل والولد، مخافون مع ذلك في أنفسنا ظلماً وعدواناً، لا نستر

هذا بل نعلنه، ولا نمكن الطالب إبطال قولنا في ذلك إلى الله نشكو، وإياه نستحكم لا سواه. لا إله إلا هو[1].

التعليق على النص

* المستكفي بالله كنيته أبو عبد الرحمن:

بويع بالخلافة مرتين أولاهما يوم السبت ١٣/١١/٤١٤هـ، وخلع يوم الثلاثاء ٢٥/٣/٤١٦هـ.

وكان أهل قرطبة خلعوه قبل ذلك ثم صدهم عنه حادث من حوادث الدهر. وأخراهما الفترة التي بين خلعه للمرة الأولى وبين ٢٥/٣/٤١٦هـ.

أجمع المؤرخون على أنه لم يكن من الأمر في ورد ولا صدر، وأنه عطل منقطع إلى البطالة مجبول على الجهالة.

مات مسموماً بعد خلعه بسبعة عشر يوماً.

قال عنه ابن حزم: إنه أبعد الخلفاء عن كل خير، وأجمعهم لكل خلة سوء.

وعده من الخلفاء الذين ليس بيدهم من الخلافة إلا الرسم.

وعده رذل قومه.

وعده من أكثر الخلفاء ولداً[2].

وقال عنه، وعن ولي عهده سليمان بن هشام:

كانا في نهاية الضعة والسقوط والضعف والتأخر، وأخبارهما في ذلك عظيمة[3].

وقال الحميدي: وله أخبار يقبح ذكرها[4].

---

(١) التقريب ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٢) نقط العروس ص ٧٢ و٧٤ - ٧٥ و٤٩ ط شوقي.

(٣) جمهرة الأنساب ص ١٠١.

(٤) الجذوة ص ٢٦.

ومعظم كلام الحميدي عن المستكفي مستفاد من أبي محمد[1]، ولعل ذلك من كتاب أبي محمد أوقات الأمراء في الأندلس.

ومثل ذلك نص نادر أورده ابن عذاري عن رجل مجهول لعله أبو محمد[2].

وولادة صاحبة ابن زيدون بنت المستكفي المذكور.

ومن مقابحه أنه قتل المستظهر وكان أبو محمد وزيراً للمستظهر.

* من المحتمل أن يكون اعتقال أبي محمد في بداية عهد هذا المستكفي النذل.

* أشار في آخر هذه الفقرة إلى أنه ألف التقريب وكثيراً من مؤلفاته وهو مغترب مبعد، ومثل هذا ورد بآخر طوق الحمامة.

وسنحتاج إلى هذين النصين في تسجيل أحداث التاريخ في حياة ابن حزم.

* قال أبو محمد: وكنت لا أومن قتله!

قال أبو عبد الرحمن: إن لم تكن نسخة التقريب التي طبع عنها الدكتور إحسان عباس الكتاب محرفة فهذه الصيغة من آمن بالمد لا من (أمن)، لأن آمن من فعل ماضٍ رباعي، وحرف المضارعة في الرباعي يضم ويؤخذ المضارع بزيادة حرف المضارعة في أول الماضي، مع كسر ما قبل آخره، فيكون المضارع هكذا: أؤمن. فوقعت همزة ساكنة بعد همزة متحركة فلزم إبدالها بحرف علة يجانس حركة الهمزة الأولى المضمومة، وهو حرف الواو، فصارت: أومن.

ومعناها: أصدق وهي تتعدى بحرف، وبنفسها مباشرة.

وأبو محمد عليم بأسرار اللغة والصرف.

ولكن المعنى يكون هكذا: وكنت لا أصدق قتله لي!.

---

(١) الجذوة ص ٣٤.

(٢) البيان المغرب ٢/١٤١.

والسياق عندما علل ينقض هذا المعنى.
لأن معنى السياق وكنت لا أكذب قتله لي، لأنه جائر.
وبعد هذا التعب في التخريج نرجح أن النسخة محرفة وأن الصواب:
وكنت لا آمن قتله.

* كثرة القسم والمبالغة فيه ظاهرة في كتب أبي محمد، وهي ظاهرة غير حميدة.

٤ ـ قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن الزبيري:

حدثني أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسي الفقيه وأملاه عليّ بالأندلس قال:

نا أبو البركات محمد بن عبد الواحد الزبيري قال:
حدثني أبو علي حسن بن الأشكري المصري قال:
كنت من جلاس تميم بن أبي تميم وممن يخف عليه جداً قال: فأرسل إلى بغداد، فابتيعت له جارية رائعة فائقة الغناء، فلما وصلت إليه دعا جلساءه قال: وكنت فيهم، ثم مدت الستارة وأمرها بالغناء فغنت:

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى   برق تألق موهناً لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه   صعب الذرى متمنع أركانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه   والماء ما سمحت به أجفانه

قال: فأحسنت ما شاءت، وطرب تميم وكل من حضر ثم غنت:

ستسليك عما فات دولة مفضل   أوائله محمودة وأواخره
ثنى الله عطفيه وألف شخصه   على البر مذ شدت عليه مآزره

قال: فطرب تميم ومن حضر طرباً شديداً.
قال: ثم غنت:

أستودع الله في بغداد لي قمراً   بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

قال: فاشتد طرب تميم، وأفرط جداً ثم قال لها:
تمني ما شئت فلك مناك؟!
فقالت: أتمنى عافية الأمير وسعادته.
فقال: والله لا بد لك أن تتمني؟
فقالت: على الوفاء أيها الأمير بما أتمنى؟
فقال: نعم.
فقالت: أتمنى أن أغني هذه النوبة ببغداد.
فقال: فاستنقع لون تميم، وتغير وجهه، وتكدر المجلس وقام وقمنا.
قال ابن الأشكري: فلحقني بعض خدمه وقال لي:
ارجع فالأمير يدعوك، فرجعت فوجدته جالساً ينتظرني، فسلمت وقمت بين يديه.

فقال: ويحك!
أرأيت ما امتحنا به؟
فقلت: نعم أيها الأمير، فقال:
لا بد من الوفاء لها، وما أثق في هذا بغيرك فتأهب لتحملها إلى بغداد فإذا غنت هنالك فاصرفها.

فقلت: سمعاً وطاعة.
قال: ثم قمت وتأهبت.
وأمرها بالتأهب، وأصحبها جارية له سوداء تعادلها وتخدمها وأمر بناقة ومحمل، فأدخلت فيه وجعلها معي وصرت إلى مكة مع القافلة.

فقضينا حجنا ثم دخلنا في قافلة العراق وسرنا فلما وردنا القادسية، أتتني السوداء عنها، فقالت:

تقول لك سيدتي: أين نحن؟
فقلت لها: نحن بالقادسية.
فانصرفت إليها وأخبرتها.
فلم أنشب أن سمعت صوتها قد ارتفع بالغناء:

لما وردنا القادسية   حيث مجتمع الرفاق
وشممت من أرض الحجاز   (م) شميم أنفاس العراق
أيقنت لي ولمن أحب   بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقاء   (م) كما بكيت من الفراق

فتصايح الناس من أقطار القافلة:

أعيدي بالله؟! أعيدي بالله؟!

قال: فما سمع لها كلمة.

قال: ثم نزلنا الياسرية، وبينها وبين بغداد نحو خمسة أميال في بساتين متصلة ينزل الناس بها يبيتون ليلتهم ثم يبكرون لدخول بغداد.

فلما كان قرب الصباح إذ بالسوداء قد أتتني مذعورة.

فقلت: مالك؟

فقالت: إن سيدتي ليست بحاضرة.

فقلت: ويلك وأين هي؟

قالت: والله ما أدري.

قال: فلم أحس لها أثراً بعد.

ودخلت بغداد وقضيت حوائجي بها وانصرفت إلى تميم فأخبرته بخبرها فعظم ذلك عليه واغتم له.

ثم ما زال بعد ذلك ذاكراً لها واجماً عليها[1].

---

(١) جذوة المقتبس ص ٦٦ - ٦٨ ط م السعادة بمصر وسأرمز لهذه الطبعة بحرف (ق) دلالة على الطبعة القديمة وص ٧١ - ٧٣ ط الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر عام ١٩٦٦ وسأرمز لهذه الطبعة بحرف (ج). وقال الضبي: حدثني غير واحد عن شريح بن محمد [عن] علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسي الفقيه. ثم ساق الخبر. بغية الملتمس ص ٩٦ - ٩٧ طبعة مجريط روخس سنة ١٨٨٤م تصوير المثنى والخانجي وسأرمز لهذه الطبعة بحرف (ق) وص ١٠٦ - ١٠٨ نشر دار الكاتب العربي سنة ١٩٦٧م وسأرمز لهذه الطبعة بحرف (ج).

التعليق على النص

* الزبيري: هو أبو البركات محمد بن عبد الواحد بن محمد بن عبدالله ابن محمد بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير الزبيري.
قال الحميدي: مولده بمكة سنة ٣٥٧هـ.
وقال أبو محمد بن خزرج: كان ثقة متحرجاً فيما نقله.
لقيته بأشبيلية وأخذت عنه سنة ٤٣٤هـ.
وأخبرني أن مولده ٣٤٧هـ، وكان ممتعاً رحمه الله[1].

* هذه القصة أوردها ابن دحية في المطرب.
وذكر الحميدي أن ابن حزم أملاها عليه بالأندلس.
قال أبو عبد الرحمن: لعلها من طوق الحمامة الأصل أو من كتابه المرطار وهو الأرجح.

* وتميم من الأمراء العبيديين الفاطميين، وله ذكر في نقط العروس.

* وهذا النص أورده الدكتور إحسان عباس وخرجه مع مقارنة بالمصادر الأخرى[2].

٥ ـ قال ابن حزم[3]:

{أولى الكتب الصحيحان، ثم صحيح سعيد بن السكن، والمنتقى لابن الجارود، والمنتقى لقاسم بن أصبغ.

ثم بعد هذه الكتب كتاب أبي داوود وكتاب النسائي ومصنف قاسم ابن أصبغ، ومصنف الطحاوي، ومسانيد أحمد والبزار وابني أبي شيبة أبي بكر وعثمان وابن راهوية والطيالسي والحسن بن سفيان والمسندي وابن

---

(١) الجذوة ص ٦٦ق والصلة لابن بشكوال ٢/٥٦٣.
(٢) رسائل ابن حزم ـ الملحق تحقيق الدكتور إحسان عباس ٢/٢١٩ ـ ٢٢٠ صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ الطبعة الأولى عام ١٩٨١ ـ وسأرمز لهذه الطبعة بحرف (ج).
(٣) منقول عن كتابه مراتب الديانة وهو كتاب مفقود اليوم.

سنجر ويعقوب بن شيبة وعلي بن المديني وابن أبي عزرة وما جرى مجراها (من الكتب)، التي أفردت لكلام رسول الله ﷺ صرفاً. ثم بعدها الكتب التي فيها كلامه وكلام غيره، ثم ما كان فيه الصحيح فهو أجل، مثل: مصنف عبد الرزاق، ومصنف ابن أبي شيبة، ومصنف بقيّ بن مخلد، وكتاب محمد بن نصر المروزي، وكتاب ابن المنذر، ثم مصنف حماد بن سلمة، ومصنف سعيد بن منصور، ومصنف وكيع، ومصنف الفريابي، وموطأ مالك وموطأ ابن أبي ذئب، وموطأ ابن أبي وهب، ومسائل ابن حنبل، وفقه أبي عبيد، وفقه أبي ثور. وما كان من هذا النمط مشهوراً كحديث شعبة وسفيان والليث والأوزاعي والحميدي وابن مهدي وما جرى مجراها.

فهذه طبقة موطأ مالك بعضها أجمع للصحيح منه وبعضها مثله وبعضها دونه.

ولقد أحصيت ما في حديث شعبة من الصحيح فوجدته ثمان مئة حديث ونيفاً مسندة ومرسلاً يزيد على المئتين، وأحصيت ما في موطأ مالك، وما في حديث سفيان بن عيينة، فوجدت في كل واحد منهما من المسند خمس مئة ونيفاً مسنداً وثلاث مئة مرسلاً ونيفاً، وفيه نيف وسبعون حديثاً قد ترك مالك نفسه العمل بها وفيها أحاديث ضعيفة وهاها جمهور العلماء[1].

وقال ابن حزم في موطأ مصعب هذا زيادة على سائر الموطآت نحو مئة حديث[2].

٦ ـ قال أبو محمد:

فصل أسواق العرب في الجاهلية.

---

(١) تدريب الراوي للسيوطي ص ٥٤ ـ ٥٥ نقلاً عن مراتب الديانة لابن حزم.
(٢) التدريب ص ٥٤.

دومة الجندل / من أول ربيع الأول إلى نصفه بإلقاء الحجارة[1].

والمشقر / أول جمادى الآخرة بالملامسة والإيماء والهمهمة.

صحار / لعشر يمضين من رجب خمسة أيام.

دبا / آخر رجب.

الشحر / النصف من شعبان بإلقاء الحجارة.

عدن / من رمضان إلى عشرين يمضين منه.

صنعاء / من نصف رمضان إلى آخره.

الرابية بحضرموت / من نصف ذي القعدة (٢٢ إلى آخره)[2].

المجاز / من أول ذي الحجة آخر يوم التروية ثم يصيرون إلى منى.

نطاة خيبر / من يوم عاشوراء إلى آخر الشهر.

عكاظ بنجد / من نصف ذي القعدة إلى آخر الشهر.

وكان القضاء بعكاظ والإفاضة بالناس من المزدلفة لعدوان وآخر من قضى منهم عامر بن الضرب.

وآخر من أفاض منهم أبو سيارة عميلة بن الأعزل.

ثم صار القضاء والإفاضة إلى تميم، وآخر من قضى منهم الأقرع بن حابس، وآخر من أفاض منهم كرب بن صفوان من بني سعد بن زيد مناة ابن تميم.

وكان سدنتهم وأمناؤهم قريشاً ومفتوهم بني بكر من كنانة.

وورث بنو تميم الرمي والنفر والإجازة من صوفة وورثها صوفة من أخواله جرهم.

قال ابن إسحق: «قد ورث سعد بن القعدد من صوفة الدفع بالناس
من عرفة ومن جمع غداة النحر إلى منى والإجازة بهم إذا نفروا من منى»[3].

---

(١) بإلقاء الحجارة: أي أن طريقة المبايعة في تلك السوق بإلقاء الحجارة. حمد الجاسر.

(٢) في الأصل مكتوب تحت كلمة ذي القعدة كلمة رمضان. حمد الجاسر.

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق م ٢٥ ص ٢٤٧ - ٢٥٨.

التعليق على النص

* ذكر بروكلمان أن لأبي محمد بن حزم كتاباً عن أسواق العرب، ولم أر من ذكر لابن حزم كتاباً بهذا الاسم غيره، وهذا الفصل الذي أوردته عن أسواق العرب في الجاهلية فصل من كتاب ابن حزم (جمهرة أنساب العرب) إلا أن ناشري الكتاب: بروفنسال ثم عبد السلام هارون، أهملا إيراد هذا الفصل في الجمهرة مع أنه موجود في النسخة المصورة بدار الكتب، وكلاهما يزعم أنها من النسخ التي اعتمد عليها.

قال شيخنا حمد الجاسر:
«ولم أهتد إلى تعليل عدم وجوده (أي هذا الفصل) في المطبوعة مع أن من ألفوا في الأنساب تكلموا عن أسواق العرب مثل القلقشندي في نهاية الأرب، والسويدي في سبائك الذهب».

قال أبو عبد الرحمن:
«وهذا الفصل استدركه شيخنا حمد الجاسر فنشره بمجلة المجمع العلمي العربي في دمشق ضمن مقالة بعنوان (نظرة في كتاب جمهرة أنساب العرب)، ولهذا أوردت هذا الفصل كما حققه شيخنا متعنا الله به.

٧ ـ قال أبو محمد:

رأينا من يقر بالخالق تعالى ولا يقر بالنبوة، ومن يذهب إلى ذلك وناظرناه على ذلك، فقلت: إن الذي تقول ممكن في قوة الله تعالى والذي نقول نحن من أنه تعالى خلق من النوع الإنساني ذكراً واحداً وأنثى واحدة تناسل الناس كلهم منهما ممكن أيضاً، فمن أين ملت إلى تلك الحيثية دون هذه، فتردد ساعة فلما لم يجد دليلاً قال: فمن أين ملتم أنتم أيضاً إلى هذه الحيثية دون تلك، فقلت: لبراهين ضرورية توجب ما قلنا وتنفي ما قلتم.

منها أنه لو كان ما قلت، لكان كل من أخرجه الله تعالى حينئذ من العدم إلى الوجود من الشبان والشيوخ يعلمون ذلك ويحسونه من أنفسهم، ويوقنون أنهم لم يكونوا قبل ذلك لكن حدثوا الآن في حال توليهم

لصناعاتهم وتجاراتهم وأعمالهم من حرث وحصاد ونسج وخياطة وخبز وطبخ وغير ذلك، ولو كان هذا لنقلوه إلى أولادهم نقلاً يقتضي لهم العلم الضروري بذلك، ولا بد كما يقتضي العلم الضروري كل نقل جاء بأقل من هذا المجيء مما كان قبلنا من الملوك والدول والوقائع، ولبلغ الأمر إلينا كذلك ولعلمه جميع الناس علماً ضرورياً، لأن شيئاً ينقله جميع أهل الأرض عن مشاهدتهم له لا يمكن التشكك فيه أبداً، كما نقل طلوع الشمس وغروبها والموت والولادة وغير ذلك.

ونحن نجد الأمر بخلاف[1] هذا لأنا نجد جميع أهل الأرض قاطبة، لا يعرفون هذا بل لا يدريه أحد منهم، وإنما قلته أنت ومن وافقته أو من وافقك برأي وظن، لا بخبر ونقل، أصلاً هذا ما لا تخالفنا فيه أنت، ولا أحد من الناس فمن المحال الممتنع أن يكون خبر نقله جميع سكان العالم أولهم عن آخرهم إلى كل من حدث بعدهم عما شاهدوه يخفى حتى لا يعرفه أحد من سكان الأرض هذا أمر يعرف كذبه بأول العقل وبديهته.

فقال: والذي تحكونه أنتم أيضاً قد وجدنا جماعات ينكرونه فينبغي أن يبطل بما عارضتنا به.

فقلت: بين النقلين فرق لا خفاء به لأن نقلنا نحن لما قلناه، إنما يرجع إلى خبر رجل واحد وامرأة واحدة فقط، وهما أول من أحدثهم الله تعالى من النوع الإنساني، وما كان هكذا فإنه لا يوجب العلم الضروري إذ التواطؤ ممكن في ذلك، ولولا أن الأنبياء والذين جاؤوا بالمعجزات أخبروا بتصحيح ذلك ما صح قولنا من جهة النقل وحده، بل كان ممكناً أن يكون الله تعالى ابتدأ خلق جماعة تناسل الخلق منهم، لكن لما أخبر من صححت المعجزة قوله بأن الله تعالى لم يبتدىء من النوع الإنساني إلا رجلاً واحداً وامرأةً واحدة وجب تصديق قولهم.

وبرهان آخر وهو أنكم قد أثبتم ضرورة صحة قولنا، من أن الله ابتدأ النوع الإنساني بأن خلق ذكراً وأنثى، ثم ادعيتم زيادة أن الله تعالى

---

(١) يعني علم الناس بحدوثهم لو كانوا غير متناسلين من ذكر وأنثى فقط.

خلق سواهما جماعات، ولم تأتوا على ذلك ببرهان أصلاً ولا بدليل إقناعي، فضلاً عن برهاني وقد صححت البراهين التي قدمنا قبل أنه لا بد من مبدأ ضرورة فوجب ولا بد حدوث ذكر وأنثى، وكان من ادعى حدوث أكثر من ذلك مدعياً لما لا دليل له عليه أصلاً وما كان هكذا فهو باطل بيقين لا مرية فيه.

وكل من ذكرت عنهم نبوة في الهند والمجوس والصابئين واليهود والنصارى والمسلمين، فلم يختلفوا في أن الله تعالى إنما أحدث الناس من ذكر وأنثى، وما جاء هذا المجيء فلا يجوز الاعتراض عليه بالدعوى وإنما اختلف عنهم في الأسماء فقط، وليس في هذا معترض لأنه قد يكون للمرء أسماء كثيرة فلم يمنع من هذا مانع وبالله تعالى التوفيق.

قال أبو محمد رضي الله عنه: فلم نجد عندهم في ذلك معارضة أصلاً، وما علمنا أحداً من المتكلمين ذكر هذه الفرقة أصلاً.

وقلت له في خلال كلامي معه: أترى العالم إذا خرج دفعة أخرج فيه الحوامل يطلقن والطباقون قعوداً على أطباقهم يبيعون التين والسرقين، فضحك وعلم أني سلكت به مسلك السخرية في قوله لفساده.

وقال لي: نعم. فقلت: ينبغي أن يكونوا كلهم أنبياء يوحى إليهم أولهم عن آخرهم بما هم عليه من العلوم والصناعات أو يلهمون ذلك، وفي هذا من بطلان الدعوى ما لا خفاء به.

وكان مما اعترض به ان ذكر الجزائر المنقطعة في البحار، وأنه يوجد فيها النمل والحشرات وكثير من الطير وكثير من حشرات الأرض، فقلت: إن كل ذلك لا ينكر ذو حس دخوله في جملة رحالات المسافرين الداخلين إلى تلك البلاد فقد شاهدنا دخول الفيران في جملة الرحل كذلك وليس في ذلك ما يوجب ما ذكرت أصلاً مع أن الحيوان نوعان: نوع متولد يخلقه الله تعالى من عفونات الأبدان وعفونات الأرض فهذا لا ينكر تولده بإحداث الله تعالى له في كل حين، وقسم آخر متوالد قد رتب الله تعالى في بنية العالم أنه لا يخلقه إلا عن مني ذكر وأنثى، فهذا هو الذي صار في

تلك الجزائر عن دخول إليها بلا شك وبالله تعالى التوفيق.

وما ننكر في كل نوع ما عدا الإنسان، أن يخلق الله منه أكثر من اثنين فهذا ممكن في قدرة الله تعالى ولم يأت خبر صادق بخلافه، لأن الله تعالى قد قال: في أمر نوح عليه السلام وسفينته حين الطوفان: ﴿ احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ﴾ ومع هذا فقد يمكن أن يكون نوح عليه السلام مأموراً بأن يحمل من كل زوجين اثنين، ولا يمنع ذلك من بقاء بعض أنواع نبات الماء وحيوانه في غير السفينة والله أعلم، وإنما نقول فيما لا يخرجه العقل إلى الوجوب والامتناع بما جاءت به النبوة فقط.

وبرهان آخر، وهو أنه لو كان إخراج الله تعالى لكل ما في العالم من العلوم والعلماء بها، والصناعات والصانعين لها دفعة واحدة، لكان ذلك بضرورة العقل وأوله لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما: إما أن يكون ذلك بوحي إعلام وتوقيف منه تعالى، وإما بطبع مركب فيهم يقتضي لهم ما علموا من ذلك وما صنعوا. فإن كان بوحي إعلام وتوقيف، فقد صحت النبوة لجميعهم إذ ليست النبوة معنى غير هذا وهذه دعوى ممن قال بهذا القول بلا دليل، وما لا دليل عليه فهو باطل لا يجوز القول به، لا سيما والقائلون بها منكرون النبوة فلاح تناقض قولهم. وإن كان كل ذلك عن طبيعة تقتضي لهم كونهم عالمين بالعلوم متكلمين باللغة متصرفين في الصناعات بلا تعليم ولا توقيف، فهذا محال ضرورة وممتنع في العقل وفي الطبيعة. إذ لو كان ذلك لوجدوا أبداً كذلك، إذ الطبيعة واحدة لا تختلف وبالضرورة ندري أنه لا يوجد أحد أبداً في شيء من الأزمان ولا في مكان أصلاً يأتي بعلم من العلوم لم يعلمه إياه أحد، ولا يتكلم بلغة لم يعلمه إياها أحد، ولا بصناعة من الصناعات لم يوقفه عليها أحد.

وبرهان ذلك ما قدمنا قبل من أن البلاد التي ليست فيها العلوم وأكثر الصناعات كأرض الصقالبة والسودان والبوادي التي في خلال المدن، ليس يوجد فيها أبداً أحد يدري شيئاً من العلوم، ولا من الصناعات حتى

يعلمه ذلك معلم، وأنه لا ينطق أحد حتى يعلمه معلم. فظهر فساد هذا القول ببرهان وقبل البرهان بتعريه من البرهان[1].

التعليق على النص

تقوم هذه المناظرة على دعويين:

أ ـ دعوى ابن حزم أن الله خلق ذكراً وأنثى تناسل منهما البشر.

ب ـ دعوى خصم ابن حزم أن الله سبحانه وتعالى خلق جماعة دفعة واحدة تناسل منهم الخلق.

وقد أقام ابن حزم دعواه على عدة براهين يبين بها منهجه في الجدل وهي كالتالي:

١ـ لو كان بداية البشر خلق جماعة دفعة واحدة لنقل ذلك إلى الخلف نقل الكافة. فلما تخلف نقل الكافة هنا بطلت الدعوى.

وجعل أبو محمد نقل الكافة المتخلف ها هنا شرطاً لصحة دعواهم لأجل هذه الأسباب:

أ ـ أن من خلقوا دفعة واحدة دون المرور بحضانة المهد مباشرين لأعمال الحياة منذ خلقهم، لا بد أن ينقلوا ذلك لأولادهم الذين كانوا بخلافهم إذ مروا بحضانة المهد.

ولا يتصور تخلف نقل الكافة ها هنا، لأن كل حدث وهو أقل من هذا لم يتعر من نقل الكافة كأخبار الملوك قبلنا.

(١) الفصل ١/٥٢ ـ ٥٥ ط م صبيح وسأرمز لها بحرف (ق) والفصل ١/٦٥ ـ ٦٩ نشر دار المعرفة بلبنان عام ١٣٩٥هـ وهو تصوير لطبعة القديمة وسأرمز لهذه الطبعة بحرف (ج).

قال ابو عبد الرحمن: وشق علي المقارنة بالأصول الخطية مع أن لدي صوراً لعدد منها.

ومعنى آخر كلامه: أن قولهم باطل من ناحيتين:

أولاهما: إقامة ابن حزم البرهان على بطلانه.

وأخراهما: أن قولهم ذاته عار من البرهان.

ب ـ أن الخصم استبعد شهادة الشرع، فلا يتصور لإثبات دعواه أي وسيلة غير نقل الكافة وهذا معدوم.

وما دام نقل الكافة متخلف ها هنا فالدعوى باطلة بيقين، لأنه محال أن يوجد حدث يعم الجيل ثم يخفى عن الذي بعده.

ومن المحال أيضاً اندراس نقل الكافة لتلاحم الأجيال.

٢ـبيان الشرع لأنه خبر بلغ بواسطة من صححت المعجزة قوله وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

٣ـالأخذ بمبدأ بعض علماء أصول الفقه، وهو الأخذ بأقل ما قيل لأنه المتفق عليه. ودعوى ابن حزم هي أقل ما قيل.

وفي دعوى خصمه زيادة غير متفق عليها فتحتاج إلى برهان مستقل ولا برهان عليها.

٤ـالتمسك بشاهد الحال لإقامة دعواه، وهو سنة الله الكونية في حضانة البشر منذ المهد إلى البلوغ، والإصرار على أن طبيعة البشر واحدة في كل زمان ومكان. وإنما يحدث الاختلاف بأمر زائد على الطبيعة كالتعليم والممارسة.

ومن أدلة خصم ابن حزم على خلق البشر متناسلين من جيل خلقوا دفعة واحدة: أنه يوجد في الجزائر المنقطعة حيوانات لا بد أنها خلقت بدءاً.

ويرد ابن حزم على ذلك بتقسيم جيد للحيوان، فمنه متولد يخلقه الله تعالى من عفونات الأرض والأبدان فهذا لا خلاف فيه.

ومنه متوالد يوجد من ذكر وأنثى، فإن وجد هذا النوع في الجزائر المنقطعة فهو وافد إليها، وذلك متصور كأن يرد في رحل المسافرين فيتوالد.

وأبو محمد نفسه شاهد دخول الفيران في جملة الرحل.

وأبو محمد بعد هذا يحدد موضع الخلاف بالبشر لأن الشرع نص على أنهم خلقوا من ذكر وأنثى فقط.

وما عدا البشر فهو في حكم الإمكان ما لم يرد برهان بالوجوب أو الامتناع.

٨ ـ قال الحميدي:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:
حدثنا القاضي أبو الوليد بن الصفار قال:
سمعت يحيى بن مجاهد الفزاري الزاهد يقول:
هذا أوان طلبي للعلم إذ قوي فهمي، واستحكمت إرادتي.

قال. فقلت له:
فعلمنا الطريق لعلنا ندرك ذلك في استقبال أعمارنا.

فقال: نعم كنت آخذ من كل علم طرفاً، فإن سماع الإنسان قوماً يتكلمون في علم وهو لا يدري ما يقولون غمة عظيمة.
أو كلاماً هذا معناه[1].

التعليق على النص

*يروي الحميدي هذا النص من كتاب ابن حزم (رسالة مراتب العلوم)[2]، ولقد علق أبو محمد على هذا النص بقوله:
ولقد صدق رحمه الله.

*وابن مغيث توفي سنة ٤٢٩هـ، وما دام ابن حزم ترحم عليه فقد ألف رسالته بعد هذا التاريخ.

٩ ـ قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن محمد بن أبي عيسى:

«أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:
أخبرني يونس بن عبدالله عن أبيه:
أنه شاهد قاضي الجماعة محمد بن أبي عيسى في دار رجل من بني

---

(١) جذوة المقتبس ص ٣٧٩ ج وص ٣٥٦ ق والبغية ص ٤١٢ ق وص ٥٠٧ ج.
(٢) رسائل ابن حزم الأندلسي ـ المجموعة الأولى ط م دار الفنا نشر الخانجي والمثنى تحقيق د. إحسان عباس ص ٧٠ ـ ٧١ وسأرمز لهذه الطبعة مستقبلاً بحرف (ق).

حدير مع أخيه أبي عيسى في ناحية مقابر قريش، وقد خرجوا لحضور جنازة. وجارية للحديري تغنيهم هذه الأبيات:

طابت بطيب لثاتك الأقداح وزهت بحمرة خدك التفاح
وإذا الربيع تنسمت أرواحه طابت بطيب نسيمك الأرواح
وإذا الحنادس ألبست ظلماءها فضياء وجهك في الدجى المصباح

قال: وكتبها قاضي الجماعة في يده ثم خرجوا.

قال: فلقد رأيته يكبر للصلاة على الجنازة والأبيات مكتوبة على باطن كفه[1].

التعليق على النص

* قال الضبي: حدثني غير واحد عن شريح عن أبي محمد علي بن أحمد... ثم ساق الخبر.

* ولعل هذا الخبر عن كتاب المرطار لابن حزم في اللهو والدعابة، فقد نص أبو الأصبغ عيسى بن سهل في كتابه التنبيه على شذوذ ابن حزم: على أن لابن حزم كتباً بهذا الاسم.

* وقد حقق هذا النص الدكتور إحسان عباس في ملحقه[2].

١٠ ـ قال الحميدي:

حدثني أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثني أبو عبدالله محمد بن عبد الأعلى بن هاشم القاضي المعروف بابن الغليظ:

أن صهيب بن منيع كان نقش خاتمة:

---

(١) جذوة المقتبس ص ٧٥ ج وص ٧٠ ق والبغية ص ١٠٠ ق وص ١١١ ج.

(٢) رسائل ابن حزم ٢/٢٢٢ج.

يـا عليـمًا كـل غيـب كـن رؤوفـاً بصـهيـب

وأنه كان يشرب النبيذ، ولعله كان يذهب مذهب أهل العراق.

فشرب مرة [عند] الحاجب موسى بن حدير وكان من عظماء الدولة الأموية. فلما غفل: أمر باختلاس خاتمه، وأحضر نقاشاً فنقش تحت البيت المذكور:

واسـتر الـعيـب عليـه إن فـيـه كـل عـيـب

ورد الخاتم إليه، وختم القاضي به زماناً حتى فطن له[1].

التعليق على النص

*قال الضبي: حدثني غير واحد عن شريح بن محمد عن أبي محمد علي بن أحمد... ثم ساق الخبر.

والظاهر أن هذا النص من كتاب ابن حزم في اللهو والدعابة، وأن كلًا من الحميدي وشريح روياه عنه.

١١- قال أبو محمد:

وأخبرني ابن شهيد وحامد بن سمحون:

أن ابن أبي الفهد نقض كل شعر قاله يماني في مفاخرة المضرية.

قال: وكان خروجه إلى المشرق في أيام المظفر بن أبي عامر بعد السبعين وثلاث مئة[2].

التعليق على النص

*حامد بن سمحون قرطبي من أهل البلاغة وله كتاب في البديع.

---

(١) الجذوة ص ٢٤٥ ج وص ٢٢٨ ق والبغية ص ٣١٢ ق وص ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٢) جذوة المقتبس ص ٢٥٩ ق و ص ٢٧٨ ج والبغية ص ٣٧٠ج وص ٣٥٧ ق.

قال ابن الأبار: وهو فيما أحسبه صاحب التأليف في الأدوية[1].

قال أبو عبد الرحمن: ويظهر أن هذا النص من كتاب الشعراء الوافدين على ابن أبي عامر لابن حزم.

١٢ـ قال الحميدي:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثني أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني قال:

كنت مع أبي الجيش مجاهد أيام غزاته سردانية في مرسي نهاه عنه أبو خروب رئيس البحريين فلم يقبل منه.

فلما حصل ذلك المرسى هبت ريح فجعلت تقذف مراكب المسلمين مركباً مركباً إلى الريف والروم وقوف لا شغل لهم إلا الأسر والقتل للمسلمين.

فكلما سقط مركب بين أيديهم جعل مجاهد يبكي بأعلى صوته لا يقدر هو، ولا غيره على أكثر، لارتجاج البحر، وزيادة الريح.

قال: فيقبل علينا أبو خروب وينشد:

بكـا دويـل لا أرقـأ الله عينـه ألا إنما يبكي من الذل دويـل[2]

ثم يقول: قد كنت حذرته من الدخول ها هنا فلم يقبل.

قال: فبجريعة الذقن ما تخلصنا في يسير من الراكب[3]

التعليق على النص

*قال الضبي: أخبرني أبو الحسن نجبة بن يحيى قال أنبأنا شريح ابن محمد

---

(١) التكملة ١ / ٢٨٠.

(٢) البيت لجرير.

(٣) الجذوة ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ ق وص ٣٥٣ ج والبغية ص ٤٧٢ ج وص ٤٥٨ ق.

عن أبي محمد. . . ثم ساق الخبر.

قال أبو عبد الرحمن: لعل هذا الخبر من أوقات الأمراء بالأندلس.

*وهذا النص حققه الدكتور إحسان في ملحقه[1].

١٣ـقال أبو محمد عن حروف الهجاء:

وأخبرني المخبر وهو أبو الفتوح الجرجاني أنها تبلغ في اللغة الفارسية أربعين حرفاً، ولم أستخبره عن الكيفية في ذلك، إلا أن كانوا يعدون منها الأصوات الحادثة من إشباع الحركات الثلاث التي هي الرفع والنصب والخفض فحينئذ تبلغ واحداً وأربعين حرفاً[2].

التعليق على النص

*قال أبو عبد الرحمن: شيخه هنا أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني العدوي قدم الأندلس سنة ٤٠٦هـ، وأملى بالأندلس كتاباً في شرح الجمل للزجاجي، مات مقتولاً ليلة السبت لليلتين بقيتا من المحرم سنة ٤٣١هـ[3].

١٤ـ قال الحميدي عن أبي مروان عبد الملك بن الشويرب التجيبي:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأنشدني له:

أبا ذا الفضل يا من لست أدري ... أأشكو منه أم أشكو إليه

أفي حق تناسى حق خل ... وأنت أعز مخلوق عليه[4]

---

(١) رسائل ابن حزم ٢/٢٢٨ج.

(٢) التقريب لابن حزم ص ٤٨.

(٣) ترجمته في الذخيرة ٤/١ـ١٢٤ والجذوة ص ١٧٣ـ١٧٤ والصلة ١/١٢٥ والبغية ص ٢٣٧ والإحاطة ١/٤٥٤ـ٤٥٨.

(٤) الجذوة ص ٢٨٦ج وص٢٦٧ ق والبغية ص ٣٨٠ـ٣٨١ج و ص ٣٦٨ ق ولعل هذا النص من كتاب ابن حزم عن اللهو والدعابة.

١٥ـ قال أبو محمد:

عم الدنيا من البلغاء الذين يتخللون بألسنتهم تخلل الناقر، ويطيلون في المعنى التافه إظهاراً لاقتدارهم على الكلام، جماعات لا بصائر لهم في دين الإسلام منذ أربع مئة عام وعشرين عاماً، فما منهم أحد يتكلف معارضته إلا افتضح وسقط وصار مهزأة ومعيرة يتماجن به وبما أتى ويتطايب عليه. منهم مسيلمة بن حبيب الحنفي لما رام ذلك لم ينطق لسانه إلا بما يضحك الثكلى.

وقد تعاطى بعضهم ذلك يوماً في كلام جرى بيني وبينه فقلت له: اتق الله على نفسك، فإن الله تعالى قد منحك من البيان والبلاغة نعمة سبقت بها، ووالله لئن تعرضت لهذا الباب بإشارة ليسلبنك الله هذه النعمة وليجعلنك فضيحة وشهرة ومسخرة وضحكة كما فعل بمن رام هذا من قبلك.

فقال لي: صدقت والله وأظهر الندم والإقرار بقبحه[1].

١٦ـ قال أبو محمد:

فقد تحيل ببعض الأجساد المعدنية إذا أذيب أنه ماء، وتحيل بالنفط الكاذب أنه نار.

ويقتل إنسان ويغطى، وآخر معد مخبو، فيظهر ليرى أنه قتل ثم أحيي كما فعل الحسين بن منصور الحلاج في الجدي الأبلق، وكما فعل الشريعي، والنميري بالبغلة، وكما فعل زبزن بالزرزور.

وأنا أدري من يطعم الدجاج الزرنيخ فتخدر ولا يشك في موتها ثم يصب في حلوقها فتقوم صحاحاً.

وإنما كانت تكون معجزة لو أحيى عظاماً قد أرمت فيظهر نبات

---

(١) الفصل ١/١٠٦ج و١/٨٤ق.

اللحم عليها، فهذه كانت معجزة ظاهرة لا شك فيها ولا يقدر غير نبي عليها ألبتة.

وقد رأينا الذبر يلقى في الماء حتى لا يشك أحد أنها ميتة، ثم كنا نضعها للشمس فلا تلبث أن تقوم وتطير، وقد بلغنا مثل ذلك في الذباب المسترخي في الماء إذا ذر عليه سحق الآجر الجديد.

وآيات الأنبياء عليهم السلام لا تكون من وراء حائط، ولا في مكان بعينه، ولا من تحت ستارة ولا تكون إلا بادية مكشوفة.

وقد فضحت أنا حيلة أبي محمد المعروف بالمحرق في الكلام المسموع بحضرته ولا يرى المتكلم، وسمت بعض أصحابه أن يسمعني ذلك في مكان آخر بحيث الفضاء دون بنيان فامتنع من ذلك فظهرت الحيلة.

وإنما هي قصبة مثقوبة توضع وراء الحائط على شق خفي ويتكلم الذي طرف القصبة على فيه، على حين غفلة ممن في المسجد كلمات يسيرة الكلمتين والثلاث لا أكثر من ذلك فلا يشك من في البيت مع المحرق الملعون في أن الكلام اندفع بحضرتهم. وكان المتكلم في ذلك محمد بن عبدالله الكاتب صاحبه[1].

١٧ـقال أبو محمد في معرض رده على اليهود:

فنسبوا في نص توراتهم إلى إبراهيم عليه السلام أنه تزوج أخته، وقد وقفت على هذا الكلام بعض من شاهدناه منهم وهو إسماعيل بن يوسف الكاتب المعروف بابن النغرالي، فقال لي: إن نص اللفظة في التوراة أخت وهي لفظة تقع في العبرانية على الأخت وعلى القريبة، فقلت: يمنع من صرف هذه اللفظة إلى القريبة ها هنا قوله، لكن ليست من أمي وإنما هي بنت أبي فوجب أنه أراد الأخت بنت الأب، وأقل ما في هذا إثبات النسخ الذي تفرون منه فخلط ولم يأت بشيء[2].

(١) الفصل ١/١١٠ ـ ١١١ج و١/٨٧ ق.
(٢) الفصل ١/١٣٥ ج و١/١٠٧ق.

١٨ـقال الحميدي عن سليمان بن مهران:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أنشدني محمد بن الحسن المذحجي قال:

أنشدني الأديب سليمان بن مهران في مجلس الوزير أبي الأصبغ عيسى بن سعيد وزير المظفر عبد الملك بن المنصور محمد بن أبي عامر:

خليلي ما للريح تأتي كأنها ... يخالطها عند الهبوب خلوق

أم الريح جاءت من بلاد أحبتي ... فأحسبها ريح الحبيب تسوق

سقى الله أرضاً حلها الأغيد الذي ... لتذكاره بين الضلوع حريق

أصار فؤادي فرقتين فعنده ... فريق وعندي في السياق فريق[1]

١٩ـ قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن ابن عبد ربه:

ومما أنشدني من شعره علي بن أحمد وأخبرني:

أن بعض من كان يألفه أزمع على الرحيل في غداة ذكرها فأتت السماء في تلك الغداة بمطر جود حال بينه وبين الرحيل فكتب إليه أبو عمر:

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر ... هيهات يأبى عليك الله والقدر

ما زلت أبكي حذار البين ملتهفاً ... حتى رثى لي فيك الريح والمطر

يا برده من حيا مزن على كبد ... نيرانها بغليل الشوق تستعر

آليت أن لا أرى شمساً ولا قمراً ... حتى أراك فأنت الشمس والقمر[2]

٢٠ ـ قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن أحمد بن محمد بن فرج:

أنشدني له أبو محمد علي بن أحمد الفقيه:

بأيهما أنا في الشكر بادي ... بشكر الطيف أم شكر الرقاد؟

(١) الجذوة ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ج وص٢٠٩ والبغية ص٣٠٠ ـ ٣٠١ ج وص٢٨٦ ق ولعل هذا النص من كتاب ابن حزم في اللهو والدعابة.

(٢) الجذوة ص ٩٤ق وص١٠١ ـ ١٠٢ج وتذكرة الحميدي ورقة ٢٨٥ ضمن مجموع سبط ابن حجر والبغية ص ١٤٨ ـ ١٤٩ ج وص ١٣٧ ـ ١٣٨ ق ولعل هذا النص من كتاب ابن حزم في اللهو.

سـرى وأراد بي أمـلي ولـكـن   عففت فلم أنـل منـه مـرادي
ومـا في النـوم من حـرج ولكن   جريت من العفاف على اعتيادي[1]

٢١ ـ قال أبو محمد:

وقد شاهدنا الناس وبلغتنا أخبار أهل البلاد البعيدة، وكثر بحثنا عما غاب عنا منها، ووصلت إلينا التواريخ الكثيرة المجموعة في أخبار من سلف من عرب وعجم في كثير من الأمم، فما وجدنا في ذلك المعهود من عدد أولاد الذكور في المكثرين الذين يتحدث بهم عند كثرة الولد إلا من أربعة عشر ذكراً فأقل، وأما ما زاد إلى العشرين فنادر جداً. هذه الحال في جميع بلاد أهل الإسلام والذي بلغنا عن ممالك النصارى إلى أرض الروم وممالك الصقالبة والترك والهند والسودان قديماً وحديثاً.

أما الثلاثون فأكثر، فما بلغنا ذلك إلا عن نفر يسير عمن سلف منهم أنس بن مالك الأنصاري، وخليفة بن أبي السعدي، وأبو بكرة. فإن هؤلاء لم يموتوا حتى مشى بين يدي كل واحد منهم مئة ذكر من ولده.

وعمر بن عبد الملك، فإنه كان يركب معه ستون رجلاً من ولده، وجعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس، فإنه عاش أربعون ذكراً من ولده سوى أبنائهم.

وعبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، فإنه ولد له خمسة وأربعون ذكراً عاش منهم تيف وثلاثون. وموسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فإنه بلغ له منهم مبلغ الرجال واحد وثلاثون ابناً ذكوراً كلهم وكان أبوه أميراً على اليمن مرة قائماً ومرة والياً للمأمون. ووصيف مولى المعتصم التركي كان له خمسة وخمسون ذكراً بالغون من ولده الأدنين، وتامرت مولى بني مناد صاحب طرابلس، فإنه كان يركب ومعه ثمانون ذكراً من أولاده

---

(١) الجذوة ص ٩٧ ق وص ١٠٥ والبغية ص ١٥٣ج وص ١٤١ ق ولعل هذا النص من كتابه في اللهو والدعابة.

الأدنين. إلا أن هذا كان يغتصب كل امرأة أعجبته من أمة أو حرة يولدها. ورجل من ملوك البربر من بني دمر معتزلي كان يركب معه مئتا فارس من ولده وولد ولده، وتميم بن زيد بن يزيد بن يعلى بن محمد العرني، فإنه بلغنا أنه كان له نيف وخمسون ذكراً بالغون، وكان ملك بني نفر ممن ملك بلاداً عظيمة وأبو البهار بن زيري بن منكاد فكان يركب معه ثلاثون ذكراً من ولده الأدنين ومرزوق بن أشكر بن الثغري بجهة لاردة فكان يركب معه ثلاثون فارساً من ولده الأدنين، وبلغنا عن ملك من ملوك الهند أنه كان له ثمانون ولداً ذكوراً بالغون[1].

٢٢ ـ قال أبو محمد:

وفي الباب الثالث عشر من إنجيل متى أن المسيح قال يشبه ملكوت السماء بحبة خردل ألقاها رجل في فدانه وهي أدق الزراريع كلها فإذا نبتت استعلت على جميع البقول والزراريع حتى ينزل في أغصانها طير السماء ويسكن إليها.

قال أبو محمد: حاشى للمسيح عليه السلام أن يقول هذا الكلام، لكن النذل الذي قاله كان قليل البصارة بالفلاحة وقد رأينا نبات الخردل ورأينا من رآه في البلاد البعيدة، فما رأينا قط ولا أخبرنا من رأى شيئاً منه يمكن أن يقف عليه طائر ومثل هذه المسامحات لا تقع لنبي أصلاً فكيف الله عز وجل[2].

٢٣ ـ قال أبو محمد:

ليعلم كل مسلم أن هؤلاء الذين يسمونهم النصارى ويزعمون أنهم كانوا حواريين للمسيح عليه السلام، كباطرة ومتى الشرطي ويوحنا ويعقوب ويهوذا الأخساء لم يكونوا قط مؤمنين فكيف حواريين، بل كانوا

---

(١) الفصل ١/١٧٥ ـ ١٧٦ج و١/١٣٨ ـ ١٣٩ ق.
(٢) الفصل ٢/٣٣ ـ ٣٤ج و٢/٤٤ق.

كذابين مستخفين بالله تعالى: إما مقرين بإلاهية المسيح عليه السلام معتقدين لذلك غالين فيه كغلو السبائية وسائر فرق الغالية في علي رضي الله عنه، وكقول الخطابية بإلاهية أبي الخطاب وأصحاب الحلاج بإلاهية الحلاج وسائر كفار الباطنية عليهم اللعنة من الله والغضب، وإما مدسوسين من قبل اليهود كما تزعم اليهود لإفساد دين أتباع المسيح عليه السلام وإضلالهم كانتصاب عبدالله بن سبأ الحميري والمختار بن أبي عبيد وأبي عبدالله العجاني وأبي زكريا الخياط وعلي النجار وعلي بن الفضل الجندي وسائر دعاة القرامطة والمشارقة لإضلال شيعة علي رضي الله عنه، فوصلوا من ذلك إلى حيث عرف وسلم الله من ذلك من لم يكن من الشيعة.

وأما الحواريون الذين أثنى الله عليهم فأولئك أولياء الله حقاً ندين لله عز وجل بحبهم ولا ندري أسماءهم لأن الله تعالى لم يسمهم لنا إلا أننا نبت ونوقن ونقطع بأن باطرة الكذاب ومتى الشرطي ويوحنا المستخف ويهوذا ويعقوب النذلين ومارقس الفاسق ولوقا الفاجر وبولس الجاهل، ما كانوا قط من الحواريين، لكن من الطائفة التي قال الله فيها: ﴿وكفرت طائفة﴾ وبالله تعالى التوفيق[1].

٢٤ ـ قال الحميدي في كلامه عن ابن ربيع:

أخبرنا أبو محمد قال [أي ابن ربيع]:
أخبرنا أبو علي القالي قال:
قرأت على أبي بكر بن دريد:

أقول لصاحبي والعيس تخدي ... بنا بين المنيفة والضمار
تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار[2]

---

(١) الفصل ٣٨/٢ ـ ٣٩ج و٤٧/٢ ـ ٤٨ق.

(٢) الجذوة ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ ج وص ٢٤٣ ق والبغية ص ٣٤٤ج وص ٣٣١ ق.

التعليق على النص

* هذا النص من كتاب الأمالي للقالي، وبهذا الإسناد يروي الحميدي كتاب الأمالي.

٢٥ ـ قال الحميدي في كلامه عن أبي علي القالي:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:
نا عبدالله بن ربيع التميمي قال:
نا أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي قال:
حدثني أبو معاذ عبدان الخوبي المتطبب قال:

دخلنا يوماً بسر من رأى على عمرو بن بحر الجاحظ نعوده وقد فلج فلما أخذنا مجالسنا أتى رسول المتوكل إليه فقال:

وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل ولعاب سائل؟
ثم أقبل علينا فقال:
ما تقولون في رجل له شقان:
أحدهما: لو غرز بالمسال ما أحس
والشق الآخر: يمر به الذباب فيغوث
وأكثر ما أشكوه: الثمانون.
ثم أنشدنا أبياتاً من قصيدة عوف بن محلم الحراني[1].

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: شيخ أبي محمد هنا هو أبو محمد عبدالله بن محمد ابن ربيع بن صالح بن مسلمة بن بنوش التميمي من أهل قرطبة، روى عن أبي بكر بن الأحمر القرشي وأحمد بن مطرف وأحمد بن سعيد

---

(١) الجذوة ص ١٦٦ ـ ١٦٧ ج وص ١٥٧ ق والبغية ص ٢٣٣ج وص ٢١٨ ـ ٢١٩ ق وانظر الأمالي للقالي ١/ ٥٠.

بن حزم وأبي عبدالله بن مفرج القاضي وأبي حفص الخولاني وأبي محمد بن عثمان الأسدي وأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم وأبي عبدالله بن الخراز ومنذر بن سعيد وأبي علي القالي.

* رحل إلى المشرق مع أبي أبي عبدالله بن عابد سنة ٣٨١هـ فحج، ولقي بمكة أبا الفضل الهروي، وكتب بمصر عن أبي بكر بن إسماعيل المهندس، ولقي بالقيروان أبا محمد بن أبي زيد.

* قال أبو عبد الرحمن العقيلي:
رأيت أبا محمد بن بنوش يصلي بمسجد أبي عبدة صلاة نافلة فسقط رداؤه عن منكبيه فما التفت إليه ولا اشتغل به لكثرة إقباله على صلاته، وشغل باله بها.

* قال ابن بشكوال:
وقال لي أبو الحسن بن مغيث:
واستقضي أبو محمد هذا بمالقة.
وكذلك قال ابن حزم.
ثم وجدت بخط أبي محمد بن خزرج:
أنه استقضي بشذونة والجزيرة بتقديم المهدي في مدته الأولى.

* وقال الخولاني في رجاله الذين لقيهم:
كان من أهل العلم والحديث مع العدالة، وله عناية قديمة مشهورة معلومة.
لقي جماعة من الشيوخ الرُّواة للعلم وكتب عنهم وسمع منهم.

* وقال أبو عمر بن مهدي:
كان أبو محمد نضر الله وجهه كثير الرواية مقيداً لها عالي الدرجة فيها ثقة مأموناً ذا دين وفضل.

* ولد في النصف من شعبان سنة ٣٣٠هـ، وتوفي غفر الله له ذنبه يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأول سنة ٤١٥ هـ، ودفن

صبيحة يوم الجمعة برحبة غزيرة عند دار ابن شهيد.

ولم يخرج به إلى المقبرة، لشدة خوف البرابرة في ذلك الوقت نفعه الله بذلك.

٢٦ ـ قال أبو عبدالله الحميدي في ترجمته لحسان بن مالك:

«وحدثنا عنه أبو محمد علي بن أحمد وقال: إنه عمل كتاباً على مثال كتاب أبي السري سهل بن أبي غالب الذي ألف في أيام الرشيد كتاباً أسماه كتاب (ربيعة وعقيل).

قال أبو محمد: وهو من أملح ما ألف في هذا المعنى وفيه من أشعاره ثلاث مئة بيت.

قال: وكان سبب تأليفه إياه أنه دخل على المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر وبين يديه كتاب أبي السري وهو يعجب به، فخرج من عنده وعمل هذا الكتاب وفرغ منه تأليفاً ونسخاً وتصويراً وجاء به في مثل ذلك اليوم من الجمعة الأخرى وأراه إياه فسر به ووصله عليه.

ومن أشعاره فيه:

سقى بلداً أهلي به وأقاربي	غواد بأثقال الحيا وروائح
وهبت عليهم بالعشي وبالضحى	نواسم من برد الظلال فوائح
تذكرتهم والنأي قد حال دونهم	ولم أنس لكن أوقد القلب لافح
ومما شجاني هاتف فوق أيكة	ينوح ولم أعلم بما هو نائح
فقلت: اتئد يكفيك أني نازح	وأن الذي أهواه عني نازح
ولي صبية مثل الفراخ بقفرة	مضى حاضناها فاطحتها الطوائح
إذا عصفت ريح أقامت رؤوسها	فلم تلقها إلا طيور بوارح
فمن لصغار بعد فقد أبيهم	سوى سانح في الدهر لو عنّ سانح[1]

---

(١) الجذوة ص ١٨٤ق وص ١٩٦ج والبغية ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ج وص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ق.

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: الظاهر أن هذا النص من كتابه عن الشعراء الوافدين على المنصور.

٢٧ ـ قال الحميدي عن قاسم بن محمد:

وقد ذكره أبو محمد في موضع آخر فمد في نسبه وقال: قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد المحدث أندلسي مات في سنة ثمان وسبعين ومئتين. ولقاسم بن محمد هذا تحقق بمذهب الشافعي وتواليف فيه على مخالفيه. منها كتاب الإيضاح في الرد على المقلدين وغيره.

ويعرف بصاحب الوثائق وهو أشهر به.

روى عنه ابنه محمد ومحمد بن عمر بن لبابة، وأسلم بن عبد العزيز وأحمد بن خالد[1].

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: ليس هذا النص في رسالة الميزان ولعله من كتابه مراتب العلماء وتواليفهم وهو من كتب ابن حزم المفقودة.

٢٨ ـ قال الحميدي:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:

رأيت لبعض أصحابنا: عن أبي عمر أحمد بن الحباب قال:

خرجت مع يحيى بن مالك بن عايذ المحدث من صلاة العتمة ليلاً من المسجد فشيعته إلى داره فقعد معي في دهليزه وقال:

أنشدني ابن المنجم ببغداد لعمه:

---

(١) الجذوة ص ٣٢٩ج وص ٣١٠ق والبغية ص ٤٤٦ج وص ٤٣١ ـ ٤٣٢ق.

تغنم بعض ما فاتك ولا تأس لما فاتك
ولا تركن إلى الدنيا ولا تذكر أمواتك

قال: فدعوت له بطول البقاء، والنسأ في الأجل وسلمت عليه وودعته وانصرفت: فلما بلغت طرف الشارع حتى سمعت الصراخ عليه وقد مات[1].

٢٩ ـ قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن أحمد بن قاسم:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أنشدني أبو عمرو البياني:

أذا القرشي لم يشبه قريشاً بفعلهم الذي بز الفعالا
فتيس من تيوس بني تميم بذي العبلات أحسن منه حالاً[2]

٣٠ ـ قال الحميدي عن أبي سعيد الوراق ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأخبرني عنه قال:

كنت بعرفات وقد نزلت رفقة من الأعراب فيهم أسود شاعر يخدمهم فجعل النعاس يغلب عليه وهم يقيمونه لشغل لهم فلما طال عليه ضجر، وجعل يقول:

في كل يوم شملتي مبللة يقيل الناس ولن أقيله[3]

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: القائل كنت بعرفات هو أبو سعيد الوراق. أما أبو محمد فلم يذهب إلى عرفات ولم يغادر الأندلس.

(١) الجذوة ص ٣٨٠ج وص ٣٥٧ ق والبغية ص ٤٩٣ ق وص ٥٠٧ ـ ٥٠٨ ولعل هذا النص عن كتاب ابن حزم المفقود عن مراتب العلماء وتواليفهم.

(٢) الجذوة ص ١٤٢ ـ ١٤٣ وص ١٣٣ق والبغية ص ٢٠٢ج وص ١٨٩ق وأبو عمر البياني احمد بن قاسم من أحفاد قاسم بن أصبغ توفي سنة ٤٣٠ هـ ترجمته في الصلة ١/٥٢ ولعل هذا النص من كتاب ابن حزم عن مراتب العلماء وتواليفهم.

(٣) جذوة المقتبس ص ٣٧٣ق ص ٣٩٧ج والبغية ص ٥٠٨ ق وص ٥٢٣ج.

٣١ ـ قال الحميدي عن عبدالله بن يونس:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:
أخبرنا الكناني قال:
أخبرنا أحمد بن خليل قال:
حدثنا خالد بن سعد قال:
حدثنا عبدالله بن يونس المرادي من كتابه قال:
حدثنا بقيّ بن مخلد قال:
حدثنا سحنون والحارث بن مسكين عن ابن القاسم عن مالك:
أنه كان يكثر أن يقول:
﴿إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين﴾[1].

٣٢ ـ قال الحميدي عن عيسى بن مجمل:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأنشدني من قوله في قوم زاروه فقعدوا في دكانه ومنعوه من معيشته:

لعن الله زورة من رجال	أتلفت متجر المزور ودينه
إن أراد الصلاة لم يجد الباب (م)	أو التجر لم يريموه حينه[2]

٣٣ ـ قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن محمد بن مسرة:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:
أنشدني أبو عمر أحمد بن حبرون في مجلس الوزير أبي رحمه الله قال:

كتب أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مسرة إلى أبي بكر اللؤلؤي يستدعيه في يوم مطر وطين:

---

(١) الجذوة ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ج وص ٢٤٨ ق والبغية ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ق وص ٣٥٢ج.
(٢) الجذوة ص ٢٩٩ج وص ٢٨١ق والبغية ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥ وص ٣٩١ ـ ٣٩٢ ويظهر أن هذا النص من المرطار.

أقبل فإن اليوم يوم دجن إلى مكان كالضمير المكني
لعلنا نحكم أدنى فن فأنت عند الطين أمشى مني[1]

٣٤ ـ قال الحميدي في كلامه عن إسماعيل بن إسحاق المنادي:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد ورأيت بخطه من شعره بيتاً نسبه إليه، وهو:

وما الأخ بالصنو الشقيق وإنما أخوك الذي يعطيك حبة قلبه[2]

٣٥ ـ قال الحميدي:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:
حدثنا الكناني قال:
أخبرنا أحمد بن خليل قال:

نا خالد بن سعد قال:

حدثنا عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن أبي زيد وكان صدوقاً قال:

حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن نصر السرقسطي قال:
حدثنا أحمد بن عمرو يعني ابن السرح قال:
قال ابن وهب:

حججت سنة ثمان وأربعين ومئة فسمعت المنادي ينادي بالمدينة: أن لا يفتي الناس إلا مالك بن أنس وعبد العزيز بن أبي سلمة.

قال خالد:

وكان ذلك عن رأي الحسن بن زيد خاصة، أراد أن يغيظ بذلك

---

(١) الجذوة ص ٦٣ج وص ٥٩ق وتذكرة الحميدي ورقة ٢٨٦ والبغية ص ٨٨ج وص ٧٨ق، ولعل هذا من كتاب المرطار لابن حزم.

(٢) الجذوة ص ١٦٢ج وص ١٥٢ ـ ١٥٣ ق والبغية ص ٢٢٩ج وص ٢١٥ق.

محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أبي ذئب، لأن ابن أبي ذئب وصف الحسن بن زيد بحضرته بين يدي المنصور بالجور.

وكان المعروف في ذلك الزمان أن ابن أبي ذئب ومالك بن أنس وغيرهما من علماء المدينة كانوا إذا اجتمعوا عند السلطان كان ابن أبي ذئب أول من يسأل، وأول من يفتي.

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: قال الضبي: أخبرني غير واحد عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح قال: نا الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن حزم إجازة. ثم ساق الخبر[1].
* ويظهر لي أن كل سياقات الحميدي بهذا الإسناد إنما هي عن أحد كتب خالد بن سعد، ولعله كتابه عن فقهاء قرطبة.

٣٦ ـ قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن أحمد بن أفلح:

قال لي أبو محمد علي بن أحمد:
وقد رأيته وكان محدثاً أديباً شاعراً مقبولاً في الشهادة عند الحكام.
وأنشدني من شعره:

يـا من شقيت عـلى بعـد الـديـار بـه
كـما شـقيت بـه إذ كـان مقتـربـا
مـا أستريـح إلى حـال فـأحمـدهـا
بـالبين قلبي وقبـل البين قـد ذهبا
إن كـان لي أرب في العيش بـعـدكم
فـلا قضيت إذاً من حبكـم أربـا[2]

---

(١) الجذوة ص ١٥٧ ـ ١٥٨ج وص ١٤٨ ـ ١٤٩ق والبغيه ص ٢١١ ق وص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ج.
(٢) الجذوة ص ١١٨ج وص ١١٠ق والبغية ص ١٧٠ج وص ١٥٩ق.

٣٧ ـ قال الحميدي عن ابن أبي الوليد:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:
أخبرنا الكناني:
حدثنا أحمد بن خليل:
حدثنا خالد بن سعد عن عبدالله بن أبي الوليد:
أنه سمع أبا الحسن أحمد بن صالح الكوفي يقول:

أبو النضر كان كبير الشأن بالمدينة.

أتى كتاب الخليفة إلى عامل المدينة في أمر فأرسل إلى أبي النضر يشاوره في ذلك.

فقال له أبو النضر:

قد أتاك كتاب الله قبل أن يأتيك كتاب أمير المؤمنين فانظر أي الكتابين أولى بك فخذ به[1].

* قال أبو عبد الرحمن: وهذا الخبر رواه الضبي عن شريح بن محمد.

٣٨ ـ قال الحميدي:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:
حدثنا الكناني قال:
أخبرني أحمد بن خليل قال:
حدثنا خالد بن سعد قال:
أخبرني محمد بن عمر بن لبابة عن أبان بن عيسى بن دينار:

أن أباه عيسى بن دينار كان قد أجمع في آخر أيامه على أن يدع الفتيا بالرأي، ويحمل الناس على ما رواه من الحديث في كتب ابن وهب وغيرها حتى أعجلته المنية عن ذلك[2].

---

(١) الجذوة ص ٢٦٥ج وص ٢٤٧ق والبغية ص ٣٥١ج وص ٣٣٨ق.
(٢) الجذوة ص ٢٩٨ج وص ٢٨٠ق والبغية ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ج وص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ق.

٣٩ ـ قال الحميدي عن ابن سلمة:

أخبرنا أبو محمد قال:
حدثنا عبد الرحمن بن سلمة قال:
أخبرني أحمد بن خليل قال:
حدثنا خالد بن سعد قال:
وحدثني عثمان بن عبد الرحمن بن أبي زيد وكان صدوقاً قال:
حدثنا إبراهيم بن نصر قال:
سمعت محمد بن عبدالله بن عبد الحكم قال:
أثبت الناس في مالك ابن وهب[١].

٤٠ ـ قال الحميدي عن عمر بن حفص:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد الفقيه قال:
حدثنا الكناني قال:
أخبرني أحمد بن خليل قال:
حدثنا خالد بن سعد قال:

أخبرني عمر بن حفص بن غالب هو ابن أبي تمام وكان شيخاً عفيفاً صالحاً قال:

حدثنا محمد بن عبدالله بن عبد الحكم قال:
أخبرنا الشافعي عن محمد بن علي قال:

إني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذئب، وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال: فأتى الغفاريون، فشكوا إلى أبي جعفر شيئاً من أمر الحسن بن زيد.

---

(١) الجذوة ص ٢٧٣ج وص ٢٥٥ق ولم يذكر صاحب البغية هذا الخبر في ترجمة عبد الرحمن بن سلمة.

فقال الحسن:

سل فيهم ابن أبي ذئب؟

قال: فسأله، فقال:

ما تقول فيهم يا ابن أبي ذئب؟

فقال: يا أمير المؤمنين اشهد أنهم أهل تحكم في أعراض المسلمين كثيرو الأذى لهم.

فقال أبو جعفر: قد سمعتم؟

فقال الغفاريون: يا أمير المؤمنين: سله عن الحسن بن زيد؟

فقال: يا ابن أبي ذئب، ما تقول في الحسن بن زيد؟

قال: أشهد أنه يحكم بغير الحق.

فقال: قد سمعت يا حسن ما قال ابن أبي ذئب؟

فقال: يا أمير المؤمنين، سله عن نفسك؟

فقال: ما تقول فيّ؟

قال: أويعفيني أمير المؤمنين؟

قال: والله لتخبرني؟

قال: أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه، وجعلته في غير أهله.

فوضع يده في قفا ابن أبي ذئب، وجعل يقول له:

أما والله لولا أنا لأخذت أبناء فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك.

فقال ابن أبي ذئب:

قد ولي أبو بكر وعمر فأخذا بالحق، وقسما بالسوية، وأخذا بأقفاء فارس والروم.

قال: فخلى أبو جعفر قفاه، وخلى سبيله، وقال: والله لولا أعلم أنك صادق لقتلتك.

فقال له ابن أبي ذئب:

والله يا أمير المؤمنين إني لأنصح لك من ابنك المهدي[1].

٤١ ـ **قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن محمد بن فطيس:**

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الحافظ قال:
حدثنا عبد الرحمن بن سلمة الكناني قال:
أخبرني أحمد بن خليل قال:
حدثنا خالد بن سعد قال:

سمعت سعيد بن عثمان العناقي وسعد بن معاذ ومحمد بن فطيس يحسنون الثناء على أحمد بن عبد الرحمن بن وهب وهو ابن أخي ابن وهب ويوثقونه. وكان محمد بن فطيس يعنف أحمد بن شعيب في تحامله عليه.

وقال سعد بن معاذ: إنه سمع محمد بن عبدالله بن عبد الحكم يحسن الثناء عليه.

وقال لنا سعيد بن عثمان:

لما قدمنا مصر وجدنا يونس أمره صعباً، ووجدنا ابن أخي ابن وهب أسهل، فجمعنا له دنانير وأعطيناها إياه، فقرأ لنا موطأ عمه وجامعه.

قال خالد: فسمعت محمد بن فطيس يقول وقد ذكر هذا الخبر قال:

فصار في نفسي شيء، فأردت أن أسأل ابن عبد الحكم عن ذلك وكنت أقرأ عليه رأي أشهب، فخشيت إن سألته في أول المجلس عن ذلك أن يحرج عليّ إذ كانت فيه حدة، فلما قرأت عليه بعض الكتاب قلت له:

أصلحك الله العالم يأخذ الأجرة على قراءة العلم؟

قال: فضرب الدفتر الذي كان بيدي من أسفله حتى ارتفع إلى

---

(١) الجذوة ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ج وص ٢٨١ ـ ٢٨٢ق والبغية ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦ج وص ٣٩٢ ـ ٣٩٣ق.

وجهي وشعر فيها ظهر لي أني إنما سألته عن ابن أخي ابن وهب.

فقال لي: جائز عافاك الله حلال أن لا أقرأ لك ورقة إلا بدرهم. ومن أخذني أن أقعد معك طول النهار. وأدع ما يلزمني من أسبابي ونفقة عيالي؟[1].

٤٢ ـ قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن محمد بن سعيد الملون:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:
نا عبد الرحمن بن سلمة الكناني قال:
أخبرني أحمد بن خليل قال:
نا خالد بن سعد قال:

سمعت محمد بن عمر بن لبابة يحتج بحديث النبي ﷺ الذي فيه:

أولئك الذين نهاني الله عنهم ويذهب إلى أن لا يقتل الزنديق حتى يستتاب. وكان ابن لبابة يخالف قول مالك في ذلك.

قال خالد: فأخبرني محمد بن عبدالله بن قاسم الزاهد: أنه سمع أبا عبد الرحمن بقيّ بن مخلد يذهب إلى أن لا يقتل الزنديق حتى يستتاب.

وشاورهم في ذلك الأمير عبدالله.
فأفتاه بقيّ بالاستتابة ووافقه على ذلك محمد بن سعيد بن الملون.
وخالفهما قاسم بن محمد فأفتى بترك الاستتابة.

قال خالد: قال لي محمد بن عبدالله بن قاسم:
فسمعت بقيّ بن مخلد ينكر ذلك على قاسم بن محمد وقال: فارق مذهبه، ووافقني على مذهبي محمد بن سعيد وإنما مذهبه الرأي. أو كما قال[2].

---

(١) الجذوة ص ٨٤ ـ ٨٥ج وص ٧٨ ـ ٧٩ق والبغية ص ١٢١ ـ ١٢٢ج وص ١١١ ـ ١١٢.
(٢) الجذوة ص ٥٩ج وص ٥٥ق ولم يذكر الضبي هذا الخبر في ترجمة ابن الملون.

٤٣ ـ قال الحميدي:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:
حدثنا الكناني قال:
أخبرنا أحمد بن خليل:
حدثنا خالد بن سعد قال:
سمعت محمد بن عمر بن لبابة يقول:

أخبرني أبو خالد مالك بن علي القرشي الزاهد، وكان محمد بن عمر ابن لبابة يذكرفضله ويقدمه على جميع من رأى من أهل العلم في الاجتهاد والعبادة قال أخبرنا القعنبي قال:

دخلت على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه، فسلمت عليه ثم جلست فرأيته يبكي.
فقلت: يا أبا عبدالله، ما الذي يبكيك؟
قال: فقال لي:
يا ابن قعنب ومالي لا أبكي، ومن أحق بالبكاء مني؟
والله لوددت أني ضربت لكل مسألة أفتيت فيها برأي بسوط سوط.
وقد كانت لي السعة فيما سبقت إليه.
وليتني لم أفت بالرأي؟
أو كما قال[1].

وساق الضبي هذا الخبر من طريق نجبة بن يحيى وغيره عن شريح، ويظهر لي أن إسناد شريح إسناد إلى أحد كتب ابن حزم نقلاً عن فقهاء قرطبة لخالد بن سعد، وأن إسناد الحميدي إسناد إلى فقهاء قرطبة مباشرة.

---

(١) الجذوة ص ٣٤٧ج وص ٣٢٥ق والبغية ص ٤٦٤ج وص ٤٤٩ق.

٤٤ ـ قال الحميدي:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:
حدثنا الكناني قال:
حدثنا أحمد بن خليل قال:
حدثنا خالد بن سعد وحدثني عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الحميد ابن أبي زيد قال:

حدثنا إبراهيم بن نصر قال:
أخبرنا أبو الطاهر عن ابن وهب قال:

لو شئت أن أنصرف كل يوم عن مالك وألواحي مملوءة من «لا أدري»، لفعلت.

قال إبراهيم بن نصر:
وحدثنا محمد بن إسماعيل قال:
سمعت أبا نعيم الفضل بن دكين يقول:
ما رأيت أحداً أكثر قولاً للا أدري من مالك بن أنس[١].

٤٥ ـ قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن محمد بن قاسم:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد الفقيه قال:
حدثنا عبد الرحمن بن سلمة قال:
أخبرني أحمد بن خليل قال:
حدثنا خالد بن سعد قال:
حدثني محمد بن قاسم بن محمد قال:
حدثنا العباس بن الفضل البصري قال:
سمعت أحمد بن صالح المصري يقول:

---

(١) الجذوة ص ٣٠٦ج وص ٢٨٧ق ولم يذكر الضبي هذا الخبر في ترجمته لعثمان بن عبد الرحمن.

أثبت الناس في مالك بن أنس عبدالله بن نافع، لأنه جالسه أربعين سنة[1].

٤٦ ـ قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن محمد بن المسور:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:
حدثنا عبد الرحمن بن سلمة الكناني قال:
أخبرني أحمد بن خليل قال:
نا خالد بن سعد قال:
نا أحمد بن خالد ومحمد بن مسور قالا:

حدثنا ابن وضاح قال:
نا محمد بن أبي مريم قال:
نا نعيم بن حماد قال:
نا عبد الرزاق عن معمر قال:

سمعت الزهري يحدث بحديث فقلت له: تحدث بهذا وأنت ترى غير هذا؟

فقال: أحدثهم بما سمعت فكما وسعنا أن نأخذ بغير هذا يسع غيرنا أن يأخذ بهذا[2].

٤٧ ـ قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن محمد بن الوليد:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:
نا عبد الرحمن بن سلمة قال: .
أخبرني أحمد بن خليل قال:
نا خالد بن سعد قال:

---

(١) الجذوة ص ٨٧ج وص ٨١ق وأورد الضبي الاسناد مختصراً في البغية ص ١٢٤ج وص ١١٤ق.
(٢) الجذوة ص ٩٠ج وص ٨٣ ـ ٨٤ق والبغية ص ١٢٨ ـ ١٢٩ج وص ١١٨ق.

نا محمد بن وليد قال:
نا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال:

شهدت مالكاً وأتاه رجل يسأله عن تخليل أصابع الرجلين عند الوضوء؟ فأفتاه بترك ذلك.

قال ابن وهب: فلما زال السائل حدثته بحديث المستورد:
أنه رأى النبي ﷺ يخلل أصابع رجليه بخنصره.

فسمعت مالك بن أنس بعد مدة طويلة أو كما قال وأتاه رجل يسأله عن تخليل أصابع الرجلين فأفتاه بالتخليل، وقال:
جاء عن النبي ﷺ في ذلك أثر أو كما قال(١).

٤٨ ـ وقال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن أحمد بن خليل:

أخبرنا أبو محمد بن حزم الفقيه قال:
حدثنا الكناني قال:
أخبرنا أحمد بن خليل قال:
حدثنا خالد بن سعد قال:
قلت لأحمد بن خالد:
من أثبت الناس عندك في مالك؟
قال: ابن وهب(٢).

٤٩ ـ قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن أحمد بن عمرو الألبيري:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:
حدثنا عبد الرحمن بن سلمة قال:

---

(١) جذوة المقتبس ص ٩٥ج وص ٨٨ق واختصر الضبي الإسناد فبدأه بخالد بن سعد ص ١٣٠ج وص ١٢٥ق.

(٢) الجذوة ص ١٢٢ج وص ١١٤ ق وفي البغية أورد الإسناد مختصراً ص ١٦٤ق وص ١٧٦ج.

أخبرني أحمد بن خليل قال:

حدثنا خالد بن سعد قال:

أخبرني أحمد بن عمرو بن منصور صاحب صلاة البيرة وكان من الصالحين وقال:

أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قال:

أخبرنا ابن وهب قال:

سئل مالك عن الإمام هل يرفع يديه عند الركوع؟

فقال: نعم.

قيل له: وبعد ما يرفع رأسه من الركوع؟

قال: إنه ليؤمر بذلك.

قال خالد: وصلى بنا أحمد بن عمرو بحاضرة مدينة البيرة وكان من الخطباء فرأيته يرفع يديه عند كل خفض ورفع.

وأخبرني: أنه رأى عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم بمصر يرفع يديه عند كل خفض ورفع.

وكان أخوه محمد يصلي إلى جنبه فكان ربما رفع، وربما لم يرفع.

فكلم في ذلك فقال: إني أنسى[1].

قال أبو عبد الرحمن: أورد أبو محمد عدة براهين على إثبات حدوث العالم بعد أن لم يكن، وتحقيق أن له محدثاً لم يزل لا إله إلا هو.

ومن هذه البراهين أنه لا سبيل إلى وجود ثانٍ إلا بعد أول، ولا إلى وجود ثالث إلا بعد ثانٍ وهكذا أبداً.

ولو لم يكن لأجزاء العالم أول لم يكن ثان، ولو لم يكن ثانٍ لم يكن ثالث. ولو كان الأمر هكذا لم يكن عدد ولا معدود.

وأيضاً فالآخر والأول من باب المضاف، فالآخر آخر للأول، والأول أول للآخر. ولو لم يكن أول لم يكن آخر.

---

(١) الجذوة ص ١٣٩ - ١٤٠ج وص ١٣٠ - ١٣١ق والبغية ص ١٩٧ - ١٩٨ج وص ١٨٥ق.

ويومنا هذا بما فيه آخر لكل موجود قبله، إذ ما لم يأت بعد فليس شيئاً ولا وقع عليه بعد شيء من الأوصاف فله أول ضرورة.

٥٠ ـ قال أبو محمد:

وقد أخبرني بعض أصدقائنا وهو محمد بن عبد الرحمن بن عقبة رحمه الله تعالى أنه عارض بهذا البرهان بعض الملحدين وهو عبدالله بن عبدالله ابن شنيف فعارضه الملحد في قوله بخلود الجنة والنار وأهلها. فقال له ابن عقبة: إنما أخذنا خلود داري الجزاء وخلود أهلها بلا نهاية على غير هذا الوجه، ولكن على أن الله تعالى ينشيء لكل ذلك بقاء محدوداً، وحركات حادثة، ولذات مترادفة أبداً وقتاً بعد وقت، إلا أن الأول والآخر جاريان حادثان في كل موجود من ذلك.

وإذ ثبت الأول فغير ممتنع تمادي الزمان حيناً بعد حين أبداً بلا نهاية. وهذا مثل العدد فإنه لو لم يكن له أول لم يقدر أحد على عد أي شيء أبداً. فالعدد له أول ضرورة يعرف ذلك بالحس والمشاهدة وهو قولنا واحد، فإن هذا مبدأ العدد الذي لا عدد قبله، ثم الأعداد يمكن فيها الزيادة أبداً لأبدٍ لا إلى غاية، لكن كلما خرج منه جزء إلى حد الوجود وجد الفعل فله نهاية وهكذا أبداً سرمداً وبالله تعالى التوفيق.

فانقطع الشنيفي ولم يكن عنده إلا الشغب[١].

٥١ ـ قال أبو محمد في معرض كلام يصلح رداً على من يقول بالمصادفة في تفسير نشأة الكون:

«تراكيب أعضاء الإنسان والحيوان من إدخال العظام المحدبة في المقعرة، وتركيب العضل على تلك المداخل والشد على ذلك بالعصب والعروق. صناعة ظاهرة لا شك فيها لا ينقصها إلا رؤية الصانع فقط.

---

(١) الفصل ١/١٩ج وص ١٦ق.

ومن ذلك ما يظهر في الأصباغ الموضوعة في جلود كثير من الحيوان وريشه ووبره وشعره وظفره وقشره على رتبة واحدة ووضع واحد لا تخالف فيه، كأصباغ الحجل والشفافين (اليمام) والسمان والبزاة وكثير من الطير والسلاحف والحشرات والسمك، لا يختلف تنقيطه ألبتة ولا تكون أصباغه موضوعة إلا وضعاً واحداً كأذناب الطواويس، وفي السمك والجراد والحشرات نوعاً واحداً كالذي يصوره المصور بيننا.

منها ما يأتي مختلفاً كأصباغ الدجاج والحمام والبط وكثير من الحيوان.

فبالضرورة والحس نعلم أن لذلك صانعاً مختاراً يفعل ذلك كله كما يشاء ويحصيه إحصاء لا يضطرب أبداً[١].

٥٢ ـ قال أبو محمد عن الملكانية من فرق النصارى:

وهي مذهب جميع ملوك النصارى حيث كانوا حاشى الحبشة والنوبة ومذهب عامة أهل كل مملكة للنصارى حيث كانوا حاشى الحبشة والنوبة، ومذهب جميع نصارى إفريقية وصقلية والأندلس وجمهور الشام[٢].

٥٣ ـ قال أبو محمد عن النسطورية:

وهذه الفرقة غالبة على الموصل والعراق وفارس وخراسان[٣].

٥٤ ـ قال أبو محمد عن اليعقوبية:

«وهم في أعمال مصر وجميع النوبة وجميع الحبشة وملوك الأمتين المذكورتين»[٤].

---

(١) الفصل ١/٢٢ ـ ٣٢ج و١/١٩ق.
(٢) الفصل ١/٤٨ ـ ٤٩ ج و١/٣٩ق.
(٣) الفصل ١/٤٩ج و١/٣٩ق.
(٤) الفصل ١/٤٩ج و١/٤٠ق.

٥٥ ـ قال أبو محمد عن العنانية من اليهود:

«وهذه الفرقة بالعراق ومصر والشام وهم من الأندلس بطليطلة وطلبيرة»[(١)].

قال أبو عبد الرحمن: النصارى يزعمون أن المسيح ابن الله، وقد ادعى بعضهم أن ابن الله بمعنى علم الله، وها هو تعليق أبي محمد:

٥٦ ـ وقد ادعى بعضهم أن هذا تقتضيه اللغة اللاتينية من أن علم العالم يقال فيه إنه ابنه.

قال أبو محمد: وهذا باطل ظاهر الكذب، لأن الإنجيل الذي كان فيه الأب والابن وروح القدس لا يختلف أحد من الناس في أنه إنما نقل عن اللغة العبرانية إلى السريانية وغيرها، فعبر عن تلك الألفاظ العبرانية وبها كان فيه ذكر الأب والابن وروح القدس، وليس في اللغة العبرانية شيء مما ذكر وادُّعي[(٢)].

٥٧ ـ قال أبو محمد:

«أندرنا للجبل لحضور دفن المؤيد هشام بن الحكم المستنصر فرأيت أنا وغيري نعشاً فيه شخص مكفن، وقد شاهد غسله شيخان جليلان حكمان من حكام المسلمين ومن عدول القضاة في بيت. وخارج البيت أبي رحمه الله وجماعة عظماء البلد ثم صلينا في ألوف من الناس عليه، ثم لم يلبث إلا شهوراً نحو السبعة حتى ظهر حياً، وبويع بعد ذلك بالخلافة ودخلت عليه أنا وغيري وجلست بين يديه ورأيته وبقي ثلاثة أعوام غير شهرين وأيام»[(٣)].

---

(١) الفصل ١/٩٩ج و١/٧٨ق.

(٢) الفصل ١/٥٠ ـ ٥١ج و١/٤١ق.

(٣) الفصل ١/٥٩ج و١/٤٧ ـ ٤٨ق. وكذلك ظهر خلف الحصري بعد اثنتين وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المؤيد وادعى أنه هو. انظر نقط العروس من رسائل ابن حزم ٢/٩٧ج.

٥٨ - قال أبو محمد:

«من الملوك من يشتد عليهم وصف أسلافهم بالجور والظلم والقبائح ويحمى هذا الباب بالسيف فما دونه فما انتفعوا بذلك في كتمان الحق، قد نقل ذلك كله وعرف كما نقلت فضائل من يغضب ملوك الزمان من مدحه كفضائل علي رضي الله عنه ما قدر قط ملوك بني مروان على سترها وطيها.

وقد رام المأمون والمعتصم والواثق على سعة ملكهم لأقطار الأرض قطع القول بأن القرآن غير مخلوق فما قدروا على ذلك.

وكل نبي له عدو من الملوك والأمم يكذبونهم، فما قدروا قط على طي أعلامهم»(١)

٥٩ - قال أبو محمد عن تسبيح الجمادات لله:

«وأما الأحاديث المأثورة في أن الحجر له لسان وشفتان والكعبة كذلك، وأن الجبال تطاولت وخشع جبل كذا فخرافات موضوعة نقلها كل كذاب وضعيف لا يصح شيء منها من طريق الإسناد أصلاً، ويكفي من التطويل في ذلك أنه لم يدخل شيئاً منها من انتدب من الأئمة لتصنيف الصحيح من الحديث أو ما يستجاز روايته مما يقارب الصحة»(٢).

٦٠ - قال أبو محمد في الرد على من زعم أن الأنبياء عليهم السلام ليسوا أنبياء اليوم ولا الرسل اليوم رسلاً.

«وهذا قول ذهب إليه الأشعرية وأخبرني سليمان بن خلف الباجي وهو من مقدميهم اليوم أن محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني على هذه

---

(١) الفصل ١/٧٥ج و١/٦٠ق.
(٢) الفصل ١/٨٧ج و١/٦٩ق.

المسألة، قتله بالسم محمود بن سبكتكين صاحب ما دون وراء النهر من خراسان رحمه الله»[1].

٦١ ـ قال أبو محمد:

«والحق حق صدقه الناس أم كذبوه، والباطل باطل صدقه الناس أم كذبوه، ولا يزيد الحق درجة في أنه حق إطباق الناس كلهم على تصديقه، ولا يزيده مرتبة في أنه باطل تكذيب الناس كلهم له.

ولا يظن ظانٌّ أننا في مناظرتنا من نناظره من أهل ملتنا المخالفين لنا في بعض أقوالنا بالإجماع وقد نقضنا كلامنا في هذا المكان، فليعلم أننا لم ننقضه لأن الإجماع حجة قد قام البرهان على صحتها في الفتيا في دين الإسلام، وما قام على صحته البرهان فهو حجة قاطعة على من خالفه وعلى من وافقه.

وأما أن نحتج على مخالفنا بأن موافق لنا في بعض ما نختلف فيه، فليس حجة علينا. فإن وجد لنا يوماً من الأيام فإنما نخاطب به جاهلاً نستكف تخليطه أو نبكته لنريه تناقضه فقط»[2].

٦٢ ـ قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن الأمير سليمان بن الحكم المستعين:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أنشدني فتى من ولد إسماعيل بن إسحاق المنادي الشاعر كان يكتب لأبي جعفر أحمد بن سعيد بن الدب قال: أنشدني أبو جعفر قال:

أنشدني أمير المؤمنين سليمان الظافر لنفسه.

قال أبو محمد: أنشدنيها قاسم بن محمد المرواني.

---

(١) الفصل ١/٨٨ج و١/٧٠ق.

(٢) الفصل ١/١٠٣ج و١/٨٢ق.

قال أنشدنيها وليد بن محمد الكاتب لسليمان الظافر:

عجباً يهاب الليث حد سناني   وأهاب لحظ فواتر الأجفان
وأقارع الأهوال لا متهيباً   منها سوى الإعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى   زهر الوجوه نواعم الأبدان
ككواكب الظلماء لحن لناظر   من فوق أغصان على كثبان
هذي الهلال وتلك بنت المشتري   حسناً وهذي أخت غصن البان
حاكمت فيهن السلو إلى الصبا   فقضى بسلطان على سلطان
فأبحن من قلبي الحمى وثنينني   في عز ملكي كالأسير العاني
لا تعذلوا ملكاً تذلل للهوى   ذل الهوى عز وملك ثانِ
ما ضر أني عبدهن صبابة   وبنو الزمان وهن من عبداني
إن لم أطع فيهن سلطان الهوى   كلفاً بهن فلست من مروان
وإذا الكريم أحب أمّن إلفه   خطب القلى وحوادث السلوان
وإذا تجارى في الهوى أهل الهوى   عاش الهوى في غبطة وأمان

وهذه الأبيات معارضة للأبيات التي تنسب إلى هارون الرشيد.

وأنشدنيها له أبو محمد عبدالله بن عثمان بن مروان العمري وهي:

ملك الثلاث الآنسات عناني   وحللن من قلبي بكل مكان
ما لي تطاوعني البرية كلها   وأطيعهن وهن في عصياني؟!
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى   وبه قوين أعز من سلطاني[1].

التعليق على النص

* شيخ ابن حزم الثاني هو قاسم بن محمد بن إسماعيل القرشي المرواني أبو محمد من قرطبة من أهل المعرفة والآداب طلق اللسان حسن البيان توفي سنة ٤٣٠ منتصف صفر عن ستة وثمانين عاماً[2]. وهذا النص

---

(١) الجذوة ص ٢٠ ـ ٢١ق و٢١ ـ ٢٢ج والبغية ص ٢٥ ـ ٢٦ج وهذا الخبر غير موجود في الطبعة القديمة من البغية في الكلام عن سليمان بن الحكم.

(٢) الصلة/٤٤٥.

من كتاب ابن حزم عن أوقات الأمراء.

٦٣ ـ قال الحميدي عن إسماعيل بن بدر:

أنشدني له أبو محمد علي بن أحمد:

أناجي حسن رأيك بالأماني	وأشكو بالتوهم ما شجاني
ولو بعسى ولو ولعل روح	تنفس عن كئيب القلب عاني
ومحض هوى بظهر الغيب صاف	ترى عيني به من لا تراني
على ذاك الزمان وإن تقضّى	سلام لا يبيد على الزمان
كفاني يا مدي أملي بعاد	تمنيت الممات له كفاني[1]

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: هذا أثير عند الناصر فلعله من كتابه الأوقات.

٦٤ ـ قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن الأمير محمد بن عبد الرحمن:

«قال لنا أبو محمد علي بن أحمد:

وكان محباً للعلوم، مؤثراً لأهل الحديث، عارفاً، حسن السيرة.

ولما دخل الأندلس أبو عبد الرحمن بقيّ بن مخلد بكتاب مصنف أبي بكر بن أبي شيبة وقرىء عليه. أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف، واستشنعوه، وبسطوا العامة عليه، ومنعوه من قراءته إلى أن اتصل ذلك بالأمير محمد، فاستحضره وإياهم، واستحضر الكتاب كله، وجعل يتصفحه جزءاً جزءاً إلى أن أتى على آخره.

وقد ظنوا أنه يوافقهم في الإنكار عليه!

ثم قال لخازن الكتب:

هذا كتاب لا تستغني خزانتنا عنه:

فانظر في نسخه لنا!

ثم قال لبقيّ بن مخلد:

---

(١) الجذوة ص ١٦٣ج وص ١٥٣ق والبغية ص ٢٣٠ج وص ٢١٥ق.

انشر علمك، وأروِ ما عندك من الحديث، واجلس للناس حتى ينتفعوا بك.

أو كما قال:

ونهاهم أن يتعرضوا له[1].

٦٥ - قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن أبي جعفر أحمد بن محمد الخولاني (ابن الأبار) الأشبيلي وهو من معاصري ابن حزم:

أنشدني له أبو محمد علي بن أحمد من قصيدة في الرئيس أبي الوليد إسماعيل بن حبيب يعزيه عن جارية ماتت عنده ويهنئه بمولود ولد له:

أو مـا رأيت الـدهـر أقبـل معتبـاً
مـتـفـضـلاً بـالـعـذر لمـا أذنبـا
بـالأمس أذوى في ريـاضـك أيـكـة
واليـوم أطلع في سمـائـك كـوكبـا[2]

٦٦ - قال الحميدي في كلامه عن ابن الفرضي:

أنشدني له أبو محمد علي بن أحمد الفقيه:

أن الـذي أصبحت طـوع يمينـه ... إن لم يكن قمـراً فليس بـدونـه
ذلي لـه في الحب من سـلطانـه ... وسقام جفني من سقام جفونه. اهـ[3]

---

(١) الجذوة ص ١١ج وص ١١ - ١٢ق والبغية ص ١٥ج دون أن يسنده إلى ابن حزم وص ١٦ - ١٧ق. قال ابو عبد الرحمن: كلام الحميدي آخر الفصل يرجح أن هذا الكلام من كتاب ابن حزم عن أوقات الأمراء. ويحتمل أن يكون من كتاب ابن حزم عن مراتب العلماء.

(٢) الجذوة ص ١١٥ج وص ١٠٧ق والبغية ص ١٦٤ج وص ١٥٢ - ١٥٣ق. قال ابو عبد الرحمن: ويظهر أن هذا النص من كتاب ابن حزم في اللهو والدعابة.

(٣) الجذوة ص ٢٥٦ج وص ٢٣٩ق والبغية ص ٣٣٦ج وص ٣٢٣ق. ولعل الصواب: من سهام جفونه.

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: من الراجح أن هذا النص من كتاب ابن حزم عن أوقات الأمراء لأن ابن الفرضي قتل في فتن قرطبة التي ستكون من ضمن تاريخ ابن حزم.

٦٧ ـ قال الحميدي:

أخبرنا أبو محمد بن حزم قال:

في صفر من سنة إحدى وعشرين وأربع مئة كان البرد المشهور خبره. وكان أمراً مستعظماً ما شوهد مثله.

وفيه قال عبادة بن ماء السماء يصف هوله:

يا عبرة أهديت لمعتبر ... عشية الأربعاء من صفر
أقبلنا الله بأس منتقم ... فيها وثنى بعفو مقتدر
أرسل ملء الأكف من برد ... جلامداً تنهمي على البشر
فيا لها آية وموعظة ... فيها نذير لكل مزدجر
كاد يذيب القلوب منظرها ... ولو أعيرت قساوة الحجر
لا قدر الله في مشيئته ... أن يبتلينا بسيِّء القدر
وخصنا بالتقى ليجعلنا ... من بأسه المتقى على حذر(١)

قال أبو عبد الرحمن: الراجح أن هذا النص من كتابه الأوقات.

٦٨ ـ قال الحميدي عن زياد اللخمي:

قال أبو محمد علي بن أحمد:

مات سنة أربع ومئتين، وكان رجلاً صالحاً عرض عليه القضاء فلم يقبله(٢).

---

(١) الجذوة ص ٢٩٣ج ص ٢٧٤ق والبغية ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧ج وص ٣٨٣ ـ ٣٨٤ق.
(٢) الجذوة ص ٢١٩ج وص ٢٠٣ق وصاحب البغية لم يسند الكلام إلى ابن حزم في كلامه عن زياد.

٦٩ - قال أبو عبدالله الحميدي عن المستظهر:

وكان في غاية الأدب والبلاغة والفهم ورقة النفس.

كذا قال أبو محمد علي بن أحمد، وكان خبيراً به[١].

قال أبو عبد الرحمن: الراجح أن هذا النص من كتاب أوقات الأمراء.

٧٠ - قال الحميدي في كلامه عن أحمد بن مطرف:

قال لي أبو محمد علي بن أحمد:

مات سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة اهـ[٢].

قال أبو عبد الرحمن: الظاهر أن هذا النص من كتاب ابن حزم أوقات الأمراء على الراجح، لأن ابن مطرف يشاور في من يصلح للأمور، وابن حزم يذكر في هذا الكتاب أخبار العلماء ذوي العلاقة بالسلطان.

٧١ - قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن محمد بن الحسن الزبيدي النحوي:

وقال لي أبو محمد علي بن أحمد:

كتب الوزير أبو الحسن بن عثمان المصحفي إلى صاحب الشرطة أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي اللغوي كتاباً فيه فاضت نفسه بالضاد، فجاوبه الزبيدي بمنظوم بين له فيه الخطأ دون تصريح وهو:

قل للوزير السني محتده	لي ذمة منك أنت حافظها
عناية بالعلوم مفخرة	قد بهظ الأولين باهظها
يقر لي عمرها ومعمرها	فيها ونظامها وجاحظها
قد كان حقاً قبول حرمتها	لكن صرف الزمان لافظها
وفي خطوب الزمان لي عظة	لو كان يثني النفوس واعظها

(١) الجذوة ص ٢٦ج وص ٢٥ق والبغية ص ٣١ج ولم يذكر هذا النص في الطبعة القديمة.

(٢) الجذوة ص ١٤٨ج وص ١٣٨ق والبغية ص ١٦٤ق وص ٢٠٨ج.

إن لم تحافظ عصابة نسبت ... إليك قدماً فمن يحافظها
لا تدعن حاجتي مطرحة ... فإن نفسي قد فاظ فائظها

فأجابه المصحفي:

خفض فواقا فأنت أوحدها ... علمًا ونقابها وحافظها
كيف تضيع العلوم في بلد ... أبناؤه كلهم يحافظها
ألفاظهم كلها معطلة ... ما لم يعول عليك لافظها
من ذا يساويك إن نطقت وقد ... أقر بالعجز عنك جاحظها
علم ثنى العالمين عنك كما ... ثنى عن الشمس من يلاحظها
وقد أتتني فديت شاغلة (م) ... للنفس أن قلت: فاظ فائظها
فأوضحنها تفز بنادرة ... قد بهظ الأولين باهظها

فأجابه الزبيدي وضمن شعره الشاهد على ذلك:

أتاني كتاب من كريم مكرم ... فنفس عن نفس تكاد تفيظ
فسر جميع الأولياء وروده ... وسيء رجال آخرون وغيظوا
لقد حفظ العهد الذي قد أضاعه ... لدى سواه والكريم حفيظ
وباحثت عن فاظت وقبلي قالها ... رجال لديهم في العلوم حظوظ

وروى ذاك عن كيسان سهل وأنشدوا:

مقال أبي الغياظ وهو مغيظ
وسميت غياظاً ولست بغائظ ... عدواً ولكن للصديق تغيظ
فلا حفظ الرحمن روحك حية ... ولا هي في الأرواح حين تفيظ

قال لي أبو محمد:

وقد يقال فاضت نفسه بالضاد.

ذكر ذلك أبو يعقوب بن السكيت في كتاب الألفاظ[1].

---

(١) الجذوة ص ٤٦ ـ ٤٨ج وص ٤٣ ـ ٤٥ ق ولم يورد صاحب البغية هذا الخبر. قال أبو عبد الرحمن: أكاد أجزم بأن هذا النص من كتاب ابن حزم المفقود عن الضاد والظاء.

٧٢ ـ قال الحميدي:

حدثني أبو محمد بن حزم قال:

حدثني قاسم بن محمد قال:

حدثني ابن شبلاق قال:

رأيت في النوم كأني في مقبرة ذات أزاهير ونواوير، وفيها قبر حواليه الريحان الكثير وقوم يشربون فكنت أقول لهم:

والله ما زجرتكم الموعظة، ولا وقرتم المقبرة.

قال: فكانوا يقولون لي:

أو ما تعرف قبر من هو؟

فكنت أقول لهم: لا.

فقالوا لي: هذا قبر أبي علي الحكمي الحسن بن هاني.

قال: فكنت أولي فيقولون: والله لا تبرح أو ترثيه فكنت أقول:

جادك يا قبر نشاص الغمام وعاد بالعفو عليك السلام

ففيك أضحى الظرف مستودعاً واستترت عنا عيون الكلام[1]

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: لعل هذا النص من كتاب ابن حزم عن أوقات الأمراء. فإن ابن حزم ـ من خلال ما نقله الحميدي عنه يتطرق في هذا الكتاب إلى أخبار العلماء.

قال أبو عبد الرحمن: وإن صح أن لابن حزم كتاباً اسمه (المرطار في اللهو والدعابة) فهذا الخبر حري أن يكون منه.

٧٣ ـ قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن المكفوف القبري:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد، وأنشد له في حلبة السباق:

(١) الجذوة ص ٢٧٤ج وص ٢٥٥ق والبغية ص ٣٦٥ج وص ٣٥٢ق.

تـرى من تــرى الميـدان يجهـل أنــه

لأهــل التبــاري في الشــطارة ميــدان

كــأن الجيـاد الصــافنـات وقــد عـدت

ســطور كتــاب والمقــدم عــنــوان[1]

٧٤ ـ قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن محمد بن معاوية:

قال لنا أبو محمد علي بن أحمد:

كان أبو بكر محمد بن معاوية المعروف بابن الأحمر مكثراً ثقة جليلاً.

ولم أزل أسمع المشايخ يقولون:

إن سبب خروجه إلى المشرق كان أنه خرجت بأنفه أو ببعض جسده قرحة فلم يجد لها بالأندلس مداوياً، وعظم عليه أمرها وقيل له: ربما ترقت وسعت فأدت إلى الهلاك.

فأسرع الخروج إلى المشرق.

فقيل لا دواء لها إلا بالهند.

وأنه وصل إلى الهند فأراها بعض أهل الطب هنالك.

فقال له: أداويها على أنه إن تم برؤك وصح شفاؤك قاسمتك جميع مالك.

فقال: رضيت.

فداواه.

فلما أفاق دعاه إلى بيته، وأخرج إليه جميع ماله، وقال له:

دونك المقاسمة المشروطة.

فقال له الطبيب الهندي:

أليست نفسك طيبة بذلك؟

---

(١) الجذوة ص ٨٦ ـ ٨٧ق وص ٩٣ج والبغية ص ١٣٢ج وص ١٢١ ـ ١٢٢ق. قال ابو عبد الرحمن: أخذ هذا المعنى الشاعر المعاصر محمد مهدي الجواهري فقال:

هــذي الخــلائــق أســطار مجــــددة

الملهمــون عليهــا كــالـعنــاويـن

قال: بلى والله.

قال: فوالله لا أرزؤك شيئاً من مالك، ولكني آخذ هذا، لشيء استحسنه من آلات بيته وقال له: إنما جربتك بقولي، وأردت أن أعرف قيمة نفسك عندك. ولو أبيت ما داويتك إلا بجميع مالك.

ولو لم تداوها لهلكت، فإنها قد كانت قاربت الخطر فحمد الله عز وجل وانصرف.

واشتغل في رجوعه بطلب العلم وروايات الكتب فحصل له علم جم، وبورك له فيه[1].

التعليق على النص

* ابن الأحمر: محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن إسحاق بن عبدالله بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي القرشي من أهل قرطبة.

رحل إلى المشرق سنة ٢٩٥هـ.

دخل الهند تاجراً، وروي عنه أنه يقول:

خرجت منصرفاً من أرض الهند وأنا أقرر أن معي قيمة ثلاثين ألف دينار، فلما قاربت أرض الإسلام غرقت، فما نجوت إلا سبحاً لا شيء معي!

قدم الأندلس سنة خمس وعشرين وثلاث مئة.

وبدأ الناس بالقراءة عليه من سنة ٣٣٦هـ.

وكان شيخاً حليماً ثقة فيما روى صدوقاً.

طال عمره فكثر أخذ الناس عنه.

---

(١) الجذوة ص ٨٢ - ٨٣ق وص ٨٩ - ٩٠ج والبغية ص ١٢٨ - ١٢٩ج وص ١١٧ق.

توفي ليلة الخميس لثلاث بقين من رجب سنة ٣٥٨هـ، وصلى عليه القاضي محمد بن إسحاق بن السليم[1].

قال ابن فرحون: توفي سنة ٣٥٦[2].

وقال الحميدي: إنه أول من أدخل مصنف النسائي في السنن، وحدث به، وانتشر عنه[3].

وقال ابن حزم: إنه آخر من بقي بالأندلس من ولد معاوية بن هشام[4].

له المسند رواه ابن خير وقال عنه:

فيه من الحديث المسند أربعة آلاف حديث وثلاثة وثلاثون حديثاً، ومن الصحابة ثلاث مئة وثلاثة عشر ومن النساء ثلاث وأربعون امرأة[5].

٧٥ ـ قال الحميدي عن قصيدة سعيد البلينة القافية:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد:

أن المنصور أبا عامر محمد بن أبي عامر:

تذكر هذه القصيدة القافية لسعيد في يوم السبت لاثني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة، أو ذكرت بين يديه وقد كان مدحه بها قديماً فأعجبته، وأتبعها بعض من كان في المجلس ذكراً جميلاً، واستحساناً، وأنشدوا محاسنها، فأمر له بثلاث مئة دينار[6].

---

(١) تاريخ ابن الفرضي ٢/٧٠ ـ ٧١.

(٢) الديباج المذهب ٢/٣١٤.

(٣) الجذوة ص ٨٢.

(٤) الجمهرة ص ٩٣.

(٥) الفهرس ص ١٤٣.

(٦) الجذوة ص ٢١٥ق وص ٢٣١ ـ ٢٣٢ج والبغية ص ٣١٠ج وص ٢٩٧ق. وذكر الحميدي منها أبياتاً، وذكر أن مطلعها:

ذكر العقيق ومنزلاً بالأبرق ... فكفاه ما يلقى الفؤاد وما لقي

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: الأرجح أن هذا الخبر من كتاب أبي محمد عن الشعراء الوافدين على المنصور أبي عامر، وهو كتاب مفقود.

٧٦ ـ **قال الحميدي في كلامه عن منذر بن سعيد:**

قال لنا أبو محمد علي بن أحمد:

وكان مائلاً إلى القول بالظاهر قوياً على الانتصار لذلك، ومن مصنفاته: كتاب الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله، وكتاب الإبانة عن حقائق أصول الديانة، وقد كانت له رحلة كتب فيها وطلب وسمع من ابن ولاد بمصر كتاب العين للخليل بن أحمد، ومن أبي بكر بن المنذر كتاب الأشراف.

ولقي أبا جعفر أحمد بن محمد بن النحاس النحوي بمصر، وله معه حكاية مشهورة.

وذلك أنه حضر مجلسه في الإملاء، فأملى أبو جعفر في جملة ما أملى قول الشاعر:

خليلي هل بالشام عين حزينة	تبكي على ليلى لعلي أعينها
قد أسلمها الباكون إلا حمامة	مطوقة باتت وبات قرينها
تجاذبها أخرى على خيزرانة	يكاد يدانيها من الأرض لينها

فقال له منذر بن سعيد:

أيها الشيخ أعزك الله:

باتا يصنعان ماذا؟

فقال أبو جعفر:

فكيف تقول أنت؟

فقال له منذر:

بانت وبان قرينها.

فاستبان أبو جعفر ما قال.

وقال له: ارتفع.

ولم يزل يرفعه حتى أدناه منه.

وكان يعرف ذلك له بعد ذلك ويكرمه[1].

قال أبو عبد الرحمن: لعل هذا من كتابه عن مراتب العلماء وهو مفقود، وروى هذا الخبر الضبي من غير طريق الحميدي فقال:

أخبرني غير واحد عن شريح عن أبي محمد بن حزم... إلخ.

٧٧ ـ قال الحميدي عن أبي سعيد بن قالوس:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأنشدنا له في رجل يعرف بابن مدرك ادعى عمل آلة تتحرك في الساقية دون محرك:

قل لابن مدرك الذي لم يدرك
إخراج ماء البئر دون محرك
طرق الحماقة جمة مسلوكة
وطريق حمقك قبل لما يسلك[2]

فقال صاعد: سبحان الله!

أنسيتم قوله قبل هذا في وصفه:

كميت يزل اللبد عن حال متنه
كما زلت الصفواء بالمتنزل

قال: فبهتنا والله، وكأننا لم نقرأ هذا البيت قط!

واضطرنا إلى سؤاله عنه، فقال:

---

(١) جذوة المقتبس ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ق وص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ج والبغية ص ٤٦٦ج وص ٤٥١ ـ ٤٥٢ق.

(٢) الجذوة ص ٢٧٣ق وص ٣٩٦ ـ ٣٩٧ج والبغية ص ٥٢٣ ج وص ٥٠٨ق.

إنما عنى أحد وجهين:

إما أنه تغشى صدره بالعرق، وعرق الخيل أبيض، فجاء مع الدم كالشيب.

وإما شيئاً كانت تصنعه، وهو أنها كانت تسم باللبن الحار في صدور الخيل، فيمتعط ذلك الشعر، وينبت مكانه شعر أبيض.

فأياً ما عنى من أحد الوجهين فالوصف مستقيم. اهـ.

وقد روى هذا الخبر الضبي عن شريح عن أبي محمد[1].

٧٨ - قال الحميدي:

حدثني أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثني الوزير أبو عبدة حسان بن مالك بن أبي عبدالله العاصمي النحوي قال:

لما قدم صاعد بن الحسن اللغوي على المنصور أبي عامر جمعنا معه، فسألناه عن مسائل من النحو غامضة فقصر فيها.

فلما رآه ابن عامر كذلك قال:

دعوه فهو من طبقتي في النحو!

أنا أناظره.

قال: ثم سألنا صاعد فقال:

ما معنى قول امرىء القيس:

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء لشيب مرجل

فقلنا: هذا واضح، وإنما وصف فرساً أشهب عقرت عليه الوحش فتطاير دمها إلى صدره فجاء هكذا.

---

(١) الجذوة ص ٢٢٥ق وص ٢٤٢ - ٢٤٣ج والبغية ص ٣٢١ - ٣٢٢ج وص ٣٠٨ - ٣٠٩ ق.

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: الراجح أن هذا الخبر من كتاب تسمية الشعراء الوافدين على ابن أبي عامر.

* وصاعد، مشهورة ترجمته، ولديّ صورتان من كتابه الفصوص الذي كنت أظنه مفقوداً.

٧٩ ـ قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن أحمد بن ذكوان:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثني الوزير أبو عبدة حسان بن مالك بن أبي عبدة اللغوي قال:

حدثني القاضي أبو العباس أحمد بن عبدالله بن ذكوان قال: حدثني أبي عن بعض إخوانه أو عن نفسه:

أنه حج فنزل بمصر في حجرة اكتراها.

قال: فإني قاعد يوماً إذ نظرت إلى كتابة على الحائط فتأملت ذلك فإذا هو:

قم حي بالراح قوماً ماتوا صلاةً وصوما

لم يطعموا لذة العيش مذ ثلاثين يوما

فذكرت ذلك لبعض من كنت أجالسه بمصر فقال: ذلك خط الحسن ابن هانىء وهي من قوله.

وفي تلك الحجرة كان نازلاً أيام كونه بمصر. أهـ[1].

ولم يورد الضبي هذا الخبر في ترجمة ابن ذكوان.

٨٠ ـ قال أبو محمد:

أخبرني هشام بن محمد بن هشام بن محمد بن عثمان المعروف بابن

---

(١) الجذوة ص ١٢٩ ـ ١٣٠ج وص ١٢١ق.

البشتني من آل الوزير أبي الحسن جعفر بن عثمان المصحفي عن الوزير أبي رحمه الله أنه كان بين يدي المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر في بعض مجالسه للعامة، فرفعت إليه رقعة استعطاف لأم رجل مسجون، كان ابن أبي عامر حنق عليه لجرم استعظمه منه.

فلما قرأها اشتد غضبه.

وقال: ذكرتني والله به!

وأخذ القلم يوقع وأراد أن يكتب: يصلب.

فكتب: يطلق!.

ورمى الكتاب إلى الوزير.

فأخذ أبوك القلم، وتناول رقعة، وجعل يكتب بمقتضى التوقيع إلى صاحب الشرط!.

فقال له ابن أبي عامر: ما هذا الذي تكتب؟!

قال: بإطلاق فلان!

فحرد، وقال: من أمر بهذا؟

فناوله التوقيع!

فلما رآه قال: وهمت! والله ليصلبن!.

ثم خط على ما كتب.

وأراد أن يكتب: يصلب.

فكتب: يطلق!.

فأخذ والدك الرقعة.

فلما رأى التوقيع: تمادى على ما بدأ به من الأمر بإطلاقه.

ونظر إليه المنصور متمادياً على الكتاب!.

فقال: ما تكتب؟.

قال: بإطلاق الرجل!

فغضب غضباً أشد من الأول!

وقال: من أمر بهذا؟

فناوله الرقعة، فرأى خطه، فخط على ما كتب.
وأراد أن يكتب: يصلب.
فكتب: يطلق!

فأخذ والدك الكتاب، فنظر ما وقع به، ثم تمادى فيما كان بدأ به!.
فقال له: ماذا تكتب؟
فقال: بإطلاق الرجل. وهذا الخطاب ثالثاً بذلك!.
فلما رآه عجب، وقال: نعم يطلق على رغمي!
فمن أراد الله إطلاقه لا أقدر أنا على منعه!
أو كما قال[1].

٨١ - قال أبو محمد:

ولقد أذكرني هذا الفصل يوماً ودعت أنا وأبو بكر محمد بن إسحاق[2] صاحبي أبا عامر محمد بن [أبي] عامر[3] صديقنا رحمه الله في

---

(١) الجذوة ص ١٢٦ - ١٢٧ج وص ١١٨ - ١١٩ق والبغية ص ١٨٢ - ١٨٣ج وص ١٧٠ - ١٧١ق.

قال أبو عبد الرحمن: يحتمل أن يكون هذا النص من كتاب أبي محمد عن أسرته آل حزم.

ولأبي محمد كتابان عن ابن أبي عامر ليسا مظنة لهذا الخبر.

(٢) محمد بن إسحاق المهلبي أبو بكر الإسحاقي الوزير، كان من أهل الأدب والفضل، وهو الذي خاطبه ابن حزم برسالته في فضل الأندلس (الجذوة: ٤٢ والبغية رقم: ٥٩). اهـ. د. إحسان.

(٣) أكد ابن حزم أنه لا عقب لعبد الملك المظفر (الجمهور: ٤١٩) فمحمد هذا ليس ابناً للمظفر وإنما هو - إن كان من أسرة العامريين - محمد بن عبد الله بن المنصور العامري (وقد مات في حياة ابن حزم) وتخلف ابناً اسمه عبد الملك نهض إلى الحج ومات هنالك، ووالد محمد هذا أي عبد الله كان قد قتله المنصور والده سنة ٣٨٠هـ (انظر نقط العروس: ٧٩ تحقيق د. شوقي ضيف) وقد أشارت إلى ذلك إحدى الرسائل التي وجهت إلى المعتضد حين قتل ابنه إسماعيل (الذخيرة ١/٣: ١٦٠. وتفصيل الحادثة عند ابن عذاري ٢: ٢٨٤) وسيذكر ابن حزم من بعد أنه كانت بين والده ووالد أبي عامر هذا منافسة في صحبة السلطان ووجاهة الدنيا (ص ١١٩ فيما يلي)، وهذا يبعد أن يكون أبو عامر هذا.

سفرته إلى المشرق[1] التي لم يعد بعدها، فجعل أبو بكر يبكي عند وداعه وينشد متمثلاً بهذا البيت: [من الطويل]:

ألا إن عيناً لم تجد يوم واسط ... عليك بباقي دمعها لجمود[2]

وهو في رثاء يزيد بن عمر بن هبيرة رحمه الله، ونحن وقوف على ساحل البحر بمالقة[3]، وجعلت أنا أكثر التفجع والأسف ولا تساعدني عيني، فقلت مجيباً لأبي بكر: [من الطويل]:

وإن امرءاً لم يغن حسن اصطباره ... عليك وقد فارقته لجليد[4]

التعليق على النص

* أبو بكر محمد بن إسحاق لم أجد له ذكراً غير قول الحميدي:
المهلبي الإسحاقي الوزير، من أهل الأدب والفضل، وهو الذي خاطبه أبو محمد برسالته في فضل الأندلس. اهـ.[5]

واسمه كاملاً محمد بن أحمد بن إسحاق وهو زميله في التلمذ على ابن الفرضي.

= من الأسرة العامرية المشهورة، فالتنافس لا يكون بين وزير وبين ابن الحاجب الأعلى نفسه. أهـ. د. إحسان.

(١) قرأها بروفنسال (الأندلس: ٣٢) إلى الشرق (يعني شرق الأندلس)، وبها أخذ غومس في ترجمته (انظر ص: ١١٢)، وليس من دليل على ذلك، وهذا ابنه عبد الملك يتوجه حاجاً إلى المشرق أيضاً ولا يعود، انظر الحاشية السابقة. د. إحسان.

(٢) البيت لأبي عطاء السندي (انظر الشعر والشعراء: ٦٥٣ والسمط: ٦٠٢ وأمالي القالي ١: ٢٦٨ والحماسة بشرح التبريزي ٢: ١٥١) وورد في أمالي المرتضى ١: ٢٢٣ منسوباً لمعن بن زائدة. وفي مقتل يزيد انظر تاريخ الطبري ٣: ٦٨ - ٧٠ وفيه الشعر أيضاً. أهـ د. إحسان. قال أبو عبد الرحمن: وزهر الآداب ص ٧٩٧.

(٣) مالقة مدينة على شاطىء المتوسط: كانت مركزاً تجارياً هاماً في العصور الإسلامية (انظر في التعريف بها: الروض: ١٥٧ والترجمة ٢١٣ والزهري: ٩٣ وياقوت (مالقة) والموسوعة الإسلامية). أهـ د. إحسان.

(٤) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/١١٢-١١٣ج مع تحشيات المحقق د. إحسان عباس.

(٥) الجذوة ص ٤٢.

* ابن عامر: ورد هنا محمد بن عامر، وورد أحياناً في الطوق: محمد بن أبي عامر.

ولا أدري من أبو عامر هذا؟

١ ـ فقد يكون أبو عامر بن المظفر بن أبي عامر.

قال ابن بسام: ونقلت من خط أبي مروان بن حيان قال: سلف لأبي عامر بن المظفر بقرطبة عيشة راضية في سرور وحبور وقتاً إلى أن ساءت الأيام بطامة، ففارقها بغصة.

وكان من محاسنه أنسه بالأدب، وغلبة أهله على خاصته ولم يكن منهم في مغدى ولا مراح!

فتجملت آثاره بهم، وسارت أقوالهم فيه.

ثم ذكر مجالسه مع ابن شهيد، وقال:

واستوحش أبو عامر بن المظفر هذا من هشام المعتد ووزيره حكم بن سعيد القزاز، وكانوا قد رموه بذنب سليمان بن هشام الناصري.

فلما خاف دبر الفرار، وخرج في لمة من ثقات أصحابه وأعوانه، وحمل معه عيون ذخائره وخاصة حرمه، وقطع أرضاً بعيدة، ولم يعلم المعتد بخبره إلى أن جاء خبر اجتيازه بدير قرطبة راجعاً على عقبه من شاطبة، لم يتفق له فيها ما أراد.

فكر إلى ابن عبدالله بقرمونة مستجيراً به في ظنه، فأخلف ابن عبدالله ظنه. وخاطب قائده بحصر المرور، وبإزعاجه عن قطره، ولا يجتاز على شيء من عمله، فضاقت به الأرض يومئذ، فألقى نفسه على أبي حمامة حرزة اليصدراني، فأجاره، وبوأه منزلاً في حصنه على نهر قرطبة أقام به في كمد وغصة، والحمام يغازله إلى أن مات عنده. وحدثني أبو عبدالله ابن هريرة الكاتب. قال: قصد أبو عامر بن المظفر في خروجه من شاطبة إلى مواليه العامريين بعد مراسلة متقدمة، فلما وصل ردوه خجلاً خائباً. فرغب أن تخرج إليه أخته بنت المظفر الأيم المقيمة كانت عندهم وقتها، فأسعفوه بذلك، وخرجت إليه، فخلا بها، وأودعها جوهراً

نفيساً كان احتمله وولى ناكصاً، والعبـدَّى تطرده عن ناحيتها، وأسلموه غرضاً للحتوف!

فمات عند عودة اليصدراني كما وصفناه.

وعلم ابن عمه عبد العزيز بمكان ذلك الجوهر، فلما هلك اختدعها، ووعدها أن ينكحها وكانت ضعيفة إلى أي فأسلمته إليه، وغدر بها، ولم ينكحها! فصارت بقية دهرها تجفوه، وتشتمه.

ولما استقر أبو عامر عند حرزة، وأيس المعتد من انصرافه قبض ما خلفه بداره، ونقله إلى القصر، فطلب أسبابه، وتتبع ودائعه وعقاره، فانفتح على أهل قرطبة في هذا الباب بذلك الوقت بلاء عظيم!

أجلي بعضهم عن الأوطان بسبب تلك الودائع العامرية. انتهى كلام ابن حيان[١].

ولقد جزم الأستاذ يعقوب زكي أن هذا الذي ذكره ابن حيان هـو صاحب ابن حزم المعني في الطوق[٢].

قال أبو عبد الرحمن: يمنع من هذا الجزم أمران:
أولهـا: أن أبا عـامر هـذا الذي ذكـره ابن حيـان والمقـري[٣] ولم يسمياه[٤]:

ليس ابناً للمظفر بن المنصور بن أبي عامر حاجب الخليفة هشام المؤيد، لأن أبا محمد نص على أنه لا عقب للمظفر[٥].
فكيف يكون صديقه ابن من لا يعلم له عقب!

---

(١) الذخيرة ١/٢٥٩ ـ ٢٦١.
(٢) مقدمة ابن شهيد ص ٤٦.
(٣) نفح الطيب ٣/٥٨٨ ـ ٥٨٩.
(٤) ترشح للخلافة ببلنسية محمد بن عبد الملك المظفر. انظر دول الطوائف ص ٢١٠ ـ ٢١١ عن تاريخ ابن خلدون، وأعمال الأعلام.
(٥) الجمهرة لابن حزم ص ٤١٨ ـ ٤١٩.

فإن صح أن هذا ولد للمظفر وما أبعد ذلك، فليس هو المعنى في طوق الحمامة بيقين.

لأن أبا محمد ذكر أن بين أبويها تنافساً في صحبة السلطان. ولا نعلم بين أحمد بن حزم والمظفر تنافسا، بل كان أحمد وزيره، وليس نداً للمظفر في صحبة السلطان بل السلطان المظفر على الحقيقة.

ولعل ابن المظفر هذا من ذرية عبد الملك بن قند العامري ولاء.

وثانيهما: أن ابن المظفر سواء أكان للمظفر الحاجب، أم من أسرته، أم من مواليه، أم من غيرهم فليس هو المعني في الطوق:

أ - لأن اختفاءه، ووفاته في عهد الخليفة هشام المعتد بالله لا المعتمد كما في الذخيرة يوم كان خليفة فعلياً بقرطبة.
وكان خليفة اسمًا من ربيع الأول سنة ٤١٨هـ.
وكان خليفة فعلًا ودخل قرطبة في ٨/١٢/٤٢٠هـ.
وأبو محمد ألف الطوق قبل ربيع الثاني سنة ٤١٨هـ[1].
ومحمد بن عامر مات قبل ذلك كما في الطوق.

ب - ذكر أبو محمد أن محمد بن عامر رحل إلى المشرق ولم يعد رحمه الله، وابن المظفر هذا مات بالأندلس.
إذن من يكون ابن عامر هذا؟

٢ - وقد يكون محمد بن عبدالله بن يحيى بن أبي عامر.
قال الحميدي: من أهل الأدب والفضل، ومن أبناء البيت العامري أمراء الأندلس في دولة هشام المؤيد ذكره أبو محمد[2]. ولعل عمه عبد الملك بن يحيى المذكور بالجذوة[3].

(١) انظر ما كتبناه عن هذا بمجلة العرب ج ٨س ٣ ص ٧١٣.
(٢) الجذوة ص ٦١.
(٣) الجذوة ص ٣٧٢.

٣ ـ وقد يكون وهو الذي لا نرجح غيره الآن: محمد بن عبدالله بن المنصور بن أبي عامر.
أبوه قتله المنصور والده في ١٤/٦/٣٨٠هـ.
قال أبو محمد عن عبدالله بن المنصور: تخلف ابناً اسمه محمد، فمات محمد وتخلف ابناً اسمه عبد الملك.

وما دام عبدالله خصماً لأبيه المنصور، وما دام أحمد بن حزم وزيراً للمنصور فذلك مظنّة للخصومة بينهما في صحبة السلطان.

ولكن أحمد لم يتول الوزارة إلا في سنة ٣٨١هـ، بعد قتل عبدالله فلعل أحمد كان جليساً وصاحباً للمنصور قبل أن يكون وزيراً له.

* هذه القصة تدل على أن أبا محمد كان في مالقة قبل تأليفه لطوق الحمامة.

٨٢ ـ قال أبو محمد:

ولقد كنت يوماً بالمرية قاعداً في دكان إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي[١]، وكان بصيراً بالفراسة محسناً لها، وكنا في لمة، فقال له مجاهد ابن الحصين القيسي: ما تقول في هذا؟ وأشار إلى رجل منتبذ عنا ناحية، اسمه حاتم ويكنى أبا البقاء، فنظر إليه ساعة يسيرة ثم قال: هو رجل

(١) كان ابن حزم يلابس يهود الأندلس، إما للسؤال أو للجدل أو لغير ذلك، ولهذا عندما نشب الخلاف بينه وبين ابن عمه أبي المغيرة عيره هذا بأن أصبح بين شيعته وأنصاره رئيس مدارسهم. وقال ابن حيان: ولهذا الشيخ أبي محمد مع يهود مجالس محفوظة وأخبار مكتوبة (انظر الذخيرة ١/١: ١٦٣، ١٧٠ ومقدمتي على رسالة الرد على ابن النغريلة). أهـ د. إحسان.

وإسماعيل بن يونس الطبيب اليهودي ذكره ابن حزم في الفصل ٥: ١٢٠ ووصفه بالأعور واستدل على أنه كان في أقواله ومناظرته ينصر مذهب تكافؤ الأدلة لاجتهاده في نصر هذه المقالة دون أن يصرح بذلك. وأضاف أبو محمد قوله: وكان إسماعيل بن القراد (لعلها: القراء) الطبيب اليهودي يذهب إلى هذا القول يقيناً وقد ناظرنا عليه مصرحا به، وكان يقول إذا دعوناه إلى الإسلام وحسسنا شكوكه ونقضنا علله: الانتقال في الأديان تلاعب. أهـ.

عاشق، فقال له: صدقت، فمن أين قلت هذا؟ قال: لبهت مفرط ظاهر على وجهه فقط دون سائر حركاته فعلمت أنه عاشق وليس بمريب[1].

٨٣ - قال أبو محمد:

وذلك أني دخلت يوماً على أبي السري عمار بن زياد صاحبنا مولى المؤيد[2] فوجدته مفكرا مهتما فسألته عما به، فتمنع ساعة ثم قال لي: أعجوبة ما سمعت قط. قلت: وما ذاك؟ قال: رأيت في نومي الليلة جارية فاستيقظت وقد ذهب قلبي فيها وهمت بها، وإني لفي أصعب حال من حبها. ولقد بقي أياما كثيرة تزيد على الشهر مغموما لا يهنئه شيء وجدا إلى أن عذلته وقلت له: من الخطأ العظيم أن تشغل نفسك بغير حقيقة، وتعلق وهمك بمعدوم لا يوجد، هل تعلم من هي؟ قال: لا والله، قلت: إنك لفيل[3] الرأي مصاب البصيرة إذ تحب من لم تره قط، ولا خلق ولا هو في الدنيا، ولو عشقت صورة من صور الحمام[4] لكنت عندي أعذر، فما زلت به حتى سلا وما كاد[5].

٨٤ - قال أبو محمد:

وما رأيت قط هذه الصفة أشد تغلبا منها على أبي عامر محمد بن

---

(١) بمريض: قراءة برشيه، وهي وجه مقبول. د. إحسان، والنص في طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/١١٤ مع تحشيات المحقق.

(٢) يعني - في الأرجح - هشام بن الحكم المستنصر أهـ. د. إحسان.

(٣) رجل فيل الرأي: أي ضعيف الرأي (اللسان؛ فيل) يقال بكسر الفاء وسكون الياء وقد يقال: فيل وفيل وفال، وقد قرئت في معظم الطبعات: لقليل، وهو خطأ، وقرأ برشيه «لفائل» وهي مقبولة وإن أبعدت عن رسم الكلمة، ولو قرئت لفليل - بالفاء - لكان ذلك وجهاً حسناً، وعند الصيرفي: لفيل، ولعلها خطأ مطبعي. أهـ. د. إحسان.

(٤) هذا يدل على أن جدران الحمامات في الأندلس كانت تزين بالصور كما كان الحال في بعض حمامات المشرق. انظر نفح الطيب ٣/٣٤٨. وهنالك حكايات عن فتنة بعض الأندلسيين بالتماثيل، وفي ذلك دليل على شدة الإعجاب بالجمال الفني، وجاء في الموشى ص ٥٦: وبلغنا أن منهم من عشق صورة في حمام، وخيالاً في منام وكفا في حائط ومثالاً في ثوب. أهـ. د. إحسان.

(٥) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/١١٥ - ١١٦ ج مع التحشيات.

[أبي] عامر رحمه الله، فلو وصف بعض ما علمته منه لما صدقته. وأهل هذا الطبع أسرع الخلق محبة، وأقلهم صبرا على المحبوب وعلى المكروه، وبالضد، وانقلابهم عن الود على قدر تسرعهم إليه، فلا تثق بملول ولا تشغل به نفسك، ولا تعنها[1] بالرجاء في وفائه فإن دفعت إلى محبته ضرورة فعده ابن ساعته، واستأنفه كل حين من أحيانه بحسب ما تراه من تلونه، وقابله بما يشاكله.

ولقد كان أبو عامر المحدث عنه يرى الجارية فلا يصبر عنها، ويحيق به من الاغتمام والهم ما يكاد أن يأتي عليه حتى يملكها، ولو حال دون ذلك شوك القتاد، فإذا أيقن بتصيرها إليه عادت المحبة نفارا، وذلك الأنس شرودا والقلق إليها قلقا منها، ونزاعه نحوها نزاعا عنها، فيبيعها بأوكس الأثمان. هذا كان دأبه حتى أتلف فيما ذكرنا من عشرات ألوف الدنانير عددا عظيما. وكان رحمه الله مع هذا من أهل الأدب والحذق والذكاء والنبل والحلاوة والتوقد، مع الشرف العظيم والمنصب الفخم والجاه العريض وأما حسن وجهه وكمال صورته فشيء تقف الحدود عنه وتكل الأوهام عن وصف أقله ولا يتعاطى أحد وصفه. ولقد كانت الشوارع تخلو من السيارة ويتعمدون الخطور على باب داره في الشارع الآخذ من النهر الصغير على باب دارنا في الجانب الشرقي بقرطبة إلى الدرب المتصل بقصر الزاهرة، وفي هذا الدرب كانت داره رحمه الله ملاصقة لنا، لا لشيء إلا للنظر منه. ولقد مات من محبته جوارٍ كن علقن أوهامهن به، ووفين[2] له فخانهن مما أملنه منه، فصرن رهائن البلى وقتلتهن الوحدة. وأنا أعرف جارية منهن كانت تسمى عفراء، عهدي بها لا تتستر بمحبته حيثما جلست، ولا تجف دموعها، وكانت قد تصيرت من داره إلى البركات الخيال صاحب الفتيان[3].

---

(١) برشيه: تعللها د. إحسان.

(٢) برشيه: ورين، وفي سائر الطبعات: ورثين. د. إحسان.

(٣) يريد بروفنسال أن يقرأ: إلى أبي البركات الخيالي صاحب البنيان، ذلك لأنه يرى أنه لم تكن هنالك خطة تسمى صاحب الفتيان ويكون الخيالي نسبة إلى خال زوج الحاجب عبد =

التعليق على النص

* أبو براقش طائر صغير يرى كالقنفذ. أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فإذا هيج انتقش فتغير لونه ألوانا شتى. قاله الليث.
وقال ابن خالويه: طائر يكون في العضاة وله ست قوائم ثلاث من جانب وثلاث من جانب، وهو ثقيل العجز تسمع له حفيفا اذا طار وهو يتلون ألوانا.
وقال الجوهري: يسمى الشرشور بلغة الحجاز، وأنشد للأسدي:
كأبي براقش كل (م) لون لونه يتخيل
وفي رواية (كل يوم) تاج العروس مادة برقش ٢٨٣/٤.
قال أبو عبد الرحمن: الرواية الأولى أظهر في المعنى.

٨٥ - قال أبو محمد:

إنه كان بيني وبين رجل من الأشراف ود وكيد وخطاب كثير، وما تراءينا قط، ثم منح الله لي لقاءه، فما مرت إلا أيام قلائل حتى وقعت لنا منافرة عظيمة ووحشة شديدة متصلة إلى الآن فقلت في ذلك قطعة منها:

[من البسيط].

أبدلت أشخاصنا[1] كرها وفرط قلى   كما الصحائف قد يبدلن بالنسخ

ووقع لي ضد هذا مع أبي عامر بن أبي عامر رحمة الله عليه، فإني كنت له على كراهة صحيحة وهو لي كذلك، ولم يرني ولا رأيته، وكان أصل ذلك تنقيلاً يحمل إليه عني وإليّ عنه ويؤكده انحراف بين أبوينا لتنافسهما فيما كانا فيه من صحبة السلطان ووجاهة الدنيا، ثم وفق الله

= الملك المظفر (انظر الأندلس: ٣٥٢ وترجمة غومس: ٢٠٠ الحاشية، ومكي: ١٠٥). أهـ د. إحسان.

قال أبو عبد الرحمن: هذا النص من طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١٩٨/١ - ٢٠٠ ج مع التحشيات.

(١) أشخاصنا: قرأها برشيه إخلاصنا. د. إحسان.

الاجتماع به فصار لي أود الناس وصرت له كذلك، إلى أن حال الموت بيننا، وفي ذلك أقول قطعة منها: [من المتقارب]:

أخ لي كسبنيه اللقاء ... وأوجدني فيه علقا شريفا
وقد كنت أكره منه الجوار ... فما كنت أرغبه لي أليفا
وكان البغيض فصار الحبيب ... وكان الثقيل فصار الخفيفا
وقد كنت أدمن عنه الوجيف ... فصرت أديم إليه الوجيفا

وأما أبو شاكر عبد الواحد بن محمد القبري[1] فكان لي صديقا مدة على غير رؤية، ثم التقينا فتأكدت المودة واتصلت وتمادت إلى الآن[2].

التعليق على النص

* أبو شاكر عبد الواحد بن محمد بن موهب التجيبي القبري.
قال الحميدي: يعرف بابن القبري فقيه محدث أديب خطيب شاعر نشأ بقرطبة وسمع الأصيلي وسكن شاطبة، وولي الأحكام بها.
قال الحميدي: وقد لقيته هنالك.

---

(١) في الأصل: عبد الرحمن، وهو عبد الواحد بن محمد بن موهب بن محمد التجيبي أبو شاكر، يعرف بابن القبري، كان فقيهاً محدثاً خطيباً شاعراً، نشأ بقرطبة، ويبدو أنه تحول بعد الفتنة إلى شاطبة، وولي الأحكام والمظالم بها، وهنالك رآه الحميدي وهنالك توكدت الصلة بينه وبين ابن حزم (الجذوة: ٢٧١ والبغية رقم: ١١٠٧) وقد سكن أبو شاكر بلنسية وتقلد الصلاة والخطبة والأحكام بها، وكانت وفاته سنة ٤٥٦ بمدينة شاطبة ونقل إلى بلنسية فدفن فيها، وكان ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير وسيما جميلاً حسن الهيئة والخلق، حسن السمت والهدى (الصلة: ٣٦٥ ـ ٣٦٦) وله شعر في رثاء قرطبة منه قوله (ترتيب المدارك ٤: ٨١٨):

يا ليت شعري والأيام تجمعنا ... ونأخذ البين مغلوباً فنصفعه
في جنة الأرض أعني أرض قرطبة ... فكل شيء بديع فهي تجمعه
أستودع الله أهليها فإنهم ... كالمسك قد ملأ الدنيا تضوعه

(٢) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/١١٨ ـ ١١٩ مع التحشيات.

ثم أورد شعرا له يرويه عنه أبو محمد.

وقال ابن بشكوال: سكن بلنسية وكتب إليه أبو محمد بن أبي زيد وأبو الحسن القابسي بإجازة روايتهما وتواليفهما.

قال أبو علي الغساني: من أهل النبل والذكاء سري متواضع وتقلد الصلاة والخطبة والأحكام بمدينة بلنسية وأخبرني أنه ولد يوم الخميس لعشر خلون من ذي القعدة سنة ٣٧٧ (؟) هـ.

وتوفي ليلة الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة ٤٥٦ بمدينة شاطبة وحمل إلى مدينة بلنسية فدفن بها.

قال ابن بشكوال: وقرأت بخط ابن مدير:

كان أبو شاكر ربعة من الرجال، ليس بالطويل، ولا بالقصير، وسيما جميلا، حسن الهيئة والخلق، حسن السمت والهدى.

وكان أشبه الناس بالسلف الصالح رضي الله عنهم وصلى عليه القاضي أبو المطرف بن جحاف.

قال أبو عبد الرحمن: ووالده محمد بن موهب جد أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي لأمه. تفقه على أبي محمد عبد الله بن أبي زيد بالقيروان، وأظهر شيئا من العقلية الكلامية، كالقول في نبوة النساء مما لا يعرفه العوام، فشنع بذلك عليه، وامتحن لأجل ذلك من قبل المنصور بن أبي عامر[١].

وقد نصر أبو محمد هذه المسألة ـ بكتابه الفصل قال:

هذا فصل لا نعلمه حدث التنازع العظيم فيه إلا عندنا بقرطبة، وفي زماننا. ا هـ[٥].

٨٦ ـ قال أبو محمد:

ولعهدي بصديق لي داره المرية، فعنت له حوائج إلى شاطبة فقصدها، وكان نازلا بها في منزلي مدة إقامته بها، وكان له بالمرية علاقة هي أكبر همه وأدهى غمه، وكان يؤمل تبتيته وفراغ أسبابه وأن يوشك

(١) انظر جذور المقتبس ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ وص ٨٥ والصلة ١/٣٦٥ ـ ٣٦٦ و ٢/٤٧١.
(٢) الفصل ٥/٨٧ ـ ٨٩.

الرجعة ويسرع الأوبة، فلم يكن إلا حين لطيف بعد احتلاله عندي حتى جيش الموفق أبو الجيش مجاهد صاحب الجزائر[1] الجيوش وقرب العساكر ونابذ خيران صاحب المرية[2] وعزم استئصاله، فانقطعت الطرق بسبب هذه الحرب وتحوميت السبل واحترس البحر بالأساطيل، فتضاعف كربه إذ لم يجد إلى الانصراف سبيلا ألبتة، وكاد يطفأ أسفا، وصار لا يأنس بغير الوحدة، لا يلجأ إلا إلى الزفير والوجوم، ولعمري لقد كان ممن لم أقدر قط فيه أن قلبه يذعن للود، ولا شراسة طبعه تجيب إلى الهوى.

وأذكر أني دخلت قرطبة بعد رحيلي عنها ثم خرجت منصرفا عنها فضمني الطريق مع رجل من الكتاب قد رحل لأمر مهم وتخلف سكن له[3] فكان يرتمض لذلك[4].

التعليق على النص

* هذه الحرب بين مجاهد وخيران كانت في ربيع الثاني سنة ٤١٧ هـ وهذا يعني أن أبا محمد في شاطبة في هذا التاريخ.

* يرى الدكتور عبد الكريم خليفة[5] أن حاكم شاطبة يومها مبارك الصقلبي.
قال أبو عبد الرحمن: توفي مبارك في عام ٤٠٨ هـ.

---

(١) استولى أبو الجيش مجاهد العامري على دانية والجزائر من سنة ٤٠٠ - ٤٣٦، انظر أخباره في البيان المغرب ٣: ١٥٥ وتاريخ ابن خلدون ٤: ١٦٤ وأعمال الأعلام: ٢٥٠ والمغرب ٢: ٤٠١ وللمستشرقة الإيطالية كليليا سارنللي دراسة عنه (القاهرة: ١٩٦١)، والجزائر هي (ميورقة ومنرقة ويابسة). د. إحسان.

(٢) كان خيران أيضاً من موالي العامريين الذين استقلوا لدى انهيار الدولة الأموية وكان مركزه المرية، إلا أنه قام بدعوة المرتضى الأموي، ثم تخلص منه وتوفي سنة ٤١٨ (أ ٤١٩)، انظر أعمال الأعلام: ٢٤٢ والبيان المغرب والذخيرة (القسم الأول) والمغرب ٢: ١٩٣ هذا وقد تمت المنابذة بن خيران ومجاهد العامريين سنة ٤١٧. د. إحسان.

(٣) برشيه: وخلف سكنا. د. إحسان.

(٤) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/ ٢١٦ - ٢١٧ج مع التحشيات.

(٥) ابن حزم الأندلسي ص ٥٩.

وإنما حاكمها عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر وقد كان رحمه الله رحمة لأصدقائه وأسرته يؤويهم.

وأبو محمد بن حزام ابن وزير الدولة العامرية.

* لا بد أن أبا محمد ألف طوق الحمامة بعد ربيع الثاني سنة ٤١٧ هـ.

٨٧ ـ قال الحميدي في ترجمة عبد الله بن مغيث:

حدثني أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثني أبو الوليد يونس بن عبد الله القاضي قال:

لما أراد الحكم المستنصر غزو الروم سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة تقدم إلى والدي بالكون في صحبته، فاعتذر بضعف في جسمه.

فقال المستنصر لأحمد بن نصر:

قل له: إن ضمن لي أن يؤلف في أشعار خلفائنا بالمشرق والأندلس مثل كتاب الصولي في أشعار خلفاء بني العباس أعفيته من الغزاة.

فخرج أحمد بن نصر إليه بذلك.

فقال: أنا أفعل ذلك لأمير المؤمنين إن شاء الله.

قال: فقال المستنصر:

إن شاء أن يكون تأليفه له في منزله فذلك إليه وإن شاء في دار الملك المطلة على النهر فذلك له.

قال: فسأل أبي أن يكون ذلك في دار الملك.

وقال: أنا رجل مورود في منزلي، وانفرادي في دار الملك لهذه الخدمة، أقطع لكل شغل.

فأجيب إلى ذلك.

وكمل الكتاب في مجلد صالح.

وخرج به أحمد بن نصر إلى الحكم المستنصر فلقيه بالمجلد بطليطلة فسر الحكم به.

قال أبو الوليد بن الصفار:

وفي تلك السنة مات أبي يعني سنة اثنتين وخمسين.

وأنشدني له أبو محمد علي بن أحمد:

أتـوا حسبة إن قيـل جد نحـوله فلم يبق من لحم عليه ولا عظم
فعادوا قميصا في فراش فلم يروا ولا لمسـوا شيئا يـدل عـلى جسم
طواه الهوى في ثوب سقم من الضنى فليس بمحسوس بعين ولا وهم[1]

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: هذا الخبر رواه الضبي عن نجبة عن شريح.

قال أبو عبد الرحمن: شيخ ابن حزم هنا هو أبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن محمد بن عبد الله الأنصاري يعرف بابن الصفار.

ويقال: إن ولاء أجداده لبني أمية.

قال الحميدي: من أعيان أهل العلم وكان زاهداً فاضلا يميـل إلى التحقيق في التصوف.

وقال ابن بشكوال: تفقه مع قاضي الجماعة أبي بكر بن زرب وجمع مسائله.

استقضي في أول أمره ببطليوس وأعمالها، ثم صرف عنها وولي الخطبة بجامع الزهراء مضافة إلى خطته في الشورى ثم ولي خطة الرد مكان ابن ذكوان بعهد العامرية، والخطبة بجامع الزاهرة.

ثم ولي أحكام القضاء، والصلاة، والخطبة بالمسجد الجامع بقرطبة مع الوزارة ثم صرف عن ذلك كله، ولزم بيته إلى أن قلده المعتد بالله هشام بن محمد المرواني قضاء الجماعة بقرطبة والصلاة والخطبة بأهلها في ذي الحجة سنة تسع عشرة وأربع مئة، وبقي قاضيا إلى أن مات رحمه الله.

---

(١) الجذوة ص ٢٥٢ ـ ٢٥٤ ج وص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ق والبغية ص ٣٣٣ وص ٣١٩ ـ ٣٢٠ق.

قال صاحبه أبو عمر بن مهدي رحمه الله وقرأته بخطه:

كان نفعه الله من أهل الحديث والفقه، كثير الرواية، وافر الحظ من علم اللغة والعربية، قائلا للشعر النفيس في معاني الزهد، وما شابهه بليغا في خطبه، كثير الخشوع فيها لا يتمالك من سمعه من البكاء مع الخير والفضل والزهد في الدنيا والرضى منها باليسير.
ما رأيت في من لقيت من شيوخي من يضاهيه في جميع أحواله.
كنت إذا ذاكرته شيئا من أمور الآخرة أرى وجهه يصفر، ويدافع البكاء ما استطاع وربما غلبه فلا يقدر أن يمسكه.
وكان الدمع قد أثر في عينيه، وغيرها لكثرة بكائه.
وكان النور باديا على وجهه.
وكان قد صحب الصالحين، ولقيهم من حداثته.
ما رأيت أحفظ منه: لأخبارهم، وحكاياتهم[1] أهـ.

وقال ابن حيان:
إن هشاما المعتد ولاه بعد ابن الحصار فلم يقبل إلا بعد الجهد من الكبراء.
ولم يزل قاضيا إلى أن هلك ليلة الجمعة لثلاث بقين من رجب سنة تسع وعشرين وأربع مئة.
وصار خاتمة القضاة بقرطبة، وآخر الخطباء المعدودين فيها، وآخر المحدثين لا ينازع في هذه المراتب على ما أخل به من تمام الخصال التي اجتمعت لمن قبله. وهلك وهو لم يحج[2].
وقال ابنُ حيان أيضا إنه لم يقبل تولية هشام المعتد لله إلا بعد الجهد من الكبراء.
وكان أولا يتولى بني أمية فلما انقرضت دولتهم انتمى في الأمصار، ولم يكن بالبارع في الفقه.

---

(١) الصلة ٢/٦٤٦ ـ ٦٤٧.
(٢) المغرب ١/١٥٩.

وكان يقال: إن مات يونس ولم يل قضاء الجماعة بقرطبة مات شهيدا.
ودفن بمقبرة ابن عباس، وشهده خلق عظيم.
وكان وقت دفنه غيث وابل رحمه الله ومولده لليلتين خلتا من ذي القعدة من سنة ٣٣٨ هـ.
قال أبو عبد الرحمن: من مؤلفاته:
١ ـ كتاب فضائل المنقطعين إلى الله عز وجل.
٢ ـ وكتاب فضائل المتهجدين.
٣ ـ وكتاب التسبيب والتقريب أو التقريب والتسيير والاختصاص. فيه خلاف كثير حول تسميته.
٤ ـ وكتاب الابتهاج بمحبة الله عز وجل.
٥ ـ وكتاب التسلي عن الدنيا بتأميل خير الآخرة.
٦ ـ وكتاب المستصرخين بالله تعالى عند نزول البلاء.
قال ابن بشكوال عن هذه الكتب:
إنها في معاني الزهد وضروبه.
٧ ـ وفضائل سير الزهد.
٨ ـ والمراقب والمحاضر.
٩ ـ فهرسته (وقد حدث بها ابن حزم).
١٠ ـ الموعب في شرح الموطأ وقد نقل عنه ابن حجر في فتح الباري.
١١ ـ فضائل الأنصار.
١٢ ـ تكملة كتاب العباد.
١٣ ـ كتاب العباد.
١٤ ـ طب القلوب الشافي من ألم الذنوب.
١٥ ـ المواقف.
١٦ ـ أنس الوحيد.
١٧ ـ الموجز الكافي.
١٨ ـ دعاء الصالحين.
١٩ ـ المعمرين.

٢٠ ـ الحكايات.

٢١ ـ المستبصرين.

وصف عياض مؤلفاته بالمليحة المفيدة[١].

٨٨ ـ قال الحميدي عن عبود:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد:

إن أبا العاصي الموردي كان يقرأ على عبود شيئا من الأدب مع جماعة ففاته مجلس من المجالس فكتب إليه راغبا في أن يعيد له ما فاته فأجابه:

لا تأسفن أبا العاصي لفائتة	فكل ما ليس من رزق الفتى فاتا
كم من فتى وصل الأسفار مجتهدا	من أرض دارين حتى حل أغماتا
لم يسعف الرزق بالأقدار بغيته	ولو أقام أتاه الرزق ميقاتا
مولاك يكفيك فالزم باب رغبته	فقد كفى الناس أحياء وأمواتا
من يعتمد غيره يرجع بمحرمة	كالمبتغي بالفلا الصحراء أحواتا[٢]

قال أبو عبد الرحمن عبود: عبود هذا منتجع للملوك أثير عندهم كان في أيام الحكم المستنصر كما قال الحميدي، ومن الراجح أن هذا النص من كتاب أوقات الأمراء.

٨٩ ـ قال الحميدي عن أبي خالد بن التراس:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد، وأنشدني قال: أنشدني أبو خالد التراس لنفسه:

قد مسني الماء الذي مسهم	حسبي بذا من ميلهم حسبي

---

(١) ترجمته في كل من: الجذوة ص ٣٦٢ وص ٢٤٨ عن يونس المرادي والصلة ١: ٦٤٦/٦٤٧ و ٤٣١ والبغية ص ٤٩٨ والمغرب ١٥٩/١ والديباج ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ وكشف الظنون ٤٩٥/١ ـ ١٧٠٧ وإيضاح المكنون ٢٨٥/١ ـ ٢٨٧ وهدية العارفين ٥٧٢/٢ وابن خير ص ٢٨٧ وترتيب المدارك ٧٣٩/٤ ـ ٧٤١.

ولـه ترجمة في سير النبلاء ومطمح الأنفس ومرآة الجنان. والأعلام للزركلي ٣٤٥/٩ ـ ٣٤٦ وشذرات الذهب ومعجم المصنفين ٣٤٨/١٣ ـ ٣٤٩ والنجوم الزاهرة والمرقبة العليا ص ٩٥ ـ ٩٦ والإكمال لابن ماكولا والمعجم في أصحاب الصدفي ص ١٦٢.

(٢) الجذوة ص ٢٦٧ج وص ٢٤٩ف والبغية ص ٣٥٣ج وص ٣٤٠ف.

لـمـا اكـتـوى القـلـب بـنـيـرانهم بـرد ذاك المـاء عـن قـلـبـي[1]

٩٠ ـ قال الحميدي في كلامه عن ابن العريف:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال: أخبرني أبو خالد التراس:

ان المنصور أبا عامر محمد بن أبي عامر صاحب الأندلس جيء إليه بوردة في مجلس من مجالس أنسه. أول ظهور الورد فقال في الوقت أبو العلاء صاعد بن الحسن اللغوي وكان حاضرا يخاطبه فيها:

أتـتـك أبـا عـامـر وردة يحـاكي لـك المسـك أنفاسهـا
كـعـذراء أبـصـرهـا مـبـصـر فـغـطـت بـأكـمـامـهـا رأسهـا

فاستحسن المنصور ما جاء به، وتابعه الحاضرون فحسده أبو القاسم ابن العريف وكان ممن حضر المجلس فقال:

هي لعباس بن الأحنف، فناكره صاعد، فقام ابن العريف إلى منزله ووضع أبياتا وأثبتها في دفتر، وأتى بها قبل افتراق المجلس وهي:

عشـوت إلى قـصـر عـبـاسـة وقـد جـدَّل الـنـوم حـراسهـا
فـألـفيتهـا وهـي في خـدرهـا وقـد صـدَّع السكـر أنـاسهـا
فقـالت: أسِرْتَ عـلى هجعـة؟ فقلت: بـلى فـرمـت كـاسهـا
ومـدت إلى وردة كـفـهـا يحـاكي لـك المسـك أنفاسهـا
كـعـذراء أبـصـرهـا مـبـصـر فـغـطـت بـأكـمـامـهـا راسهـا
وقـالت: خف الله لا تفضـحن (م) في ابنـة عمـك عبـاسهـا
فـولـيـت عـنـهـا عـلى غـفـلـة ومـا خنت نـاسي ولا نـاسهـا

قال: فخجل صاعد وحلف، فلم يقبل وافترق المجلس على أنه سرقها[2].

---

(١) الجذوة ص ٣٩٦ج وص ٣٧٢ق والبغية ص ٢٥٣ج وص ٥٠٧ق وأبو خالد هو هاشم ابن محمد بن هاشم بن التراس قرطبي توفي في صدر ربيع الأول سنة ٤٢٣هـ الصلة ٦٢٢/٢ وهو من الأدباء.

(٢) الجذوة ص ١٩٤ ـ ١٩٥ج وص ١٨٢ ـ ١٨٣ق والبغية ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ج و ص ٢٥٢ق ولعل هذا الخبر من كتاب ابن حزم عن الشعراء الوافدين على المنصور.

٩١ ـ قال الحميدي عن ابن جهور أنشدني له أبو محمد علي بن أحمد:

إن كانت الأبدان نائية فنفوس أهل الظرف تأتلف
يا رب مفترقين قد جمعت قلبيهما الأقلام والصحف[١]

٩٢ ـ قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن محمد بن أبي الحسين[٢]:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال أخبرني أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الحسين قال:

وجدت بخط أبي قال:

أمرنا الحكم المستنصر بالله رحمه الله بمقابلة كتاب العين للخليل بن أحمد مع أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي في دار الملك التي بقصر قرطبة.

واحضر من الكتاب نسخا كثيرة في جملتها نسخة القاضي منذر بن سعيد التي رواها بمصر عن ابن ولاد فمر لنا صور من الكتاب بالمقابلة فدخل علينا الحكم في بعض الأيام، فسألنا عن النسخ؟.

قلنا نحن: أما نسخة القاضي التي كتبها بخطه فهي أشد النسخ تصحيفا وخطأ وتبديلا.

فسألنا عما نذكره من ذلك؟.

فأنشدناه أبياتا مكسورة، وأسمعناه ألفاظا مصحفة ولغات مبدلة، فعجب من ذلك، وسأل أبا علي، فقال له نحو ذلك.

واتصل المجلس بالقاضي فكتب إلى الحكم المستنصر رقعة وفيها:

---

(١) الجذوة ص ٢٨٢ج وص٢٦٣ق والبغية ص ٣٧٦ج وص ٣٦٤ق وتذكرة الحميدي ورقة ٢٨٧/ب ضمن مجموع سبط ابن حجر كما ورد الخبر في جزء القاضي الجلابي ورقة ٤٩٥/أ من المجموع الآنف الذكر.

(٢) ترجمته في الصلة ٢/٣٩٣ والذيل والتكملة س ٥ق ١ ص ٣١٦ ـ ٣١٧ ومقدمة الدكتور إحسان عباس لكتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ص ١٢ ـ ١٣.

جـزى الله الخليـل الخـير عنـا ... بـأفضل مـا جزى فهـو المجازي
ومـا خطا الخليـل سـوى المغيـلي ... وعضـر وطـين في ربض الـطراز
فصـار القـوم زريـة كـل زار ... وسـخـريـا وهـزأة كـل هـاز

فلما دخلنا على المستنصر قال لنا:

أما القاضي فقد هجاكم!.

وناولنا الرقعة بخط القاضي وكانت تحت شيء بين يديه، فقرأناها وقلنا:

يا مولانا نجل مجلسك الكريم عن انتقاص أحد فيه لا سيما مثل القاضي في سنه ومنصبه وإن أحب مولانا أن يقف على حقيقة ما أدركناه فليحضره، وليحضر الأستاذ أبا علي.

ثم نتكلم على كل كلمة أدركناها عليه.

فقال: قد ابتدأكما والبادىء أظلم وليس على من انتصر لوم.

قال أبي: فمددت يدي إلى الدواة، وكتبت بين يديه:

هلم فقـد دعـوت إلى البـراز ... وقـد نـاجـزت قـرنـا ذا نجاز
ولا تمش الضـراء فقـد أثـرت ... أسـود الغاب تخـطر بـاحتفـاز
وأصحـر للقـاء تكن صـريعـا ... لـماضي الحـد مصقـول جـراز
رويت عن الخليـل الوهم جهرا ... لجهـل بـالكـلام وبـالمجـاز
دعـوت لـه بخـير ثم أنحت ... يـداك عـلى مفـاخـره العـزاز
تهـدمها وتجعـل مـا عـلاهـا ... أسـافـلهـا تجـزيـك الجـوازي
جـزى الله الإمـام العـدل عنـا ... جـزاء الخير فهـو لـه مجازي
بـه وريت زنـاد العلم قـدمـا ... وشـرف طـالبيـه بـاعـتـزاز
وجـلى عن كتـاب العـين دجنا ... وإظـلامـا بـنـور ذي امـتيـاز
بـأسـتـاذ الـلغـات أبي عـلي ... وأحـداث بـنـاحـيـة الـطراز
بهـم صـح الكـتـاب وصيـروه ... من التصحيف في ظـل احتـراز

[قال الحميدي]: أسقطنا نحن منها أبياتا تجاوز الحد فيها.

قال [أي محمد بن أبي الحسين]:

ثم أنشدتها المستنصر بالله فضحك وقال:
قد انتصرت وزدت وأمر بها فختمت.

ثم وجه بها إلى القاضي فلم يسمع له بعد ذلك كلمة[1].

٩٣ - قال الحميدي عن ابن حبيب:
أنشدني أبو محمد علي بن أحمد لعبد الملك بن حبيب:

صلاح أمري والذي أبتغي   سهل على الرحمن في قدرته
ألف من الحمر وأقلل بها   لعالم أوفى على بغيته
زرياب قد يأخذها دفعة   وصنعتي أشرف من صنعته[2]

٩٤ - قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن ابن عبد ربه:
«حدثني أبو محمد علي بن أحمد قال:
حدثني بعض أصحابنا عن أبي عمر بن عفيف[3]:

ان سعيد بن القزاز أخبره:
أن ابن عبد ربه قال هذه الأبيات - قبل موته بأحد عشر يوما - وهو آخر شعر قاله وفيه بيان مبلغ سنه:

كلاني لما بي عاذلي كفاني   طويت زماني برهة وطواني
بليت وأبلتني الليالي وكرها   وصرفان للأيام معتوران
ومالي لا أبلى لسبعين حجة   وعشر أتت من بعدها سنتان
فلا تسألاني عن تباريح علتي   ودونكما مني الذي تريان

(١) الجذوة ص ٥١ - ٥٢ج و ص ٤٧ - ٤٩ق وأضرب صاحب البغية عن هذا الخبر في ترجمته لابن أبي الحسين وأورد الدكتور إحسان عباس هذا النص محققاً في رسائل ابن حزم ٢/٢٢٣ - ٢٢٤ج.

(٢) الجذوة ص ٢٨٤ج و ص٢٦٥ق والبغية ص ٣٧٨ج و ص ٣٦٦ق

(٣) هو أحمد بن محمد ترجمته في الصلة ١/٤٢ - ٤٤.

وإني بحمد الله راج لفضله ... ولي من ضمان الله خير ضمان
ولست أبالي عن تباريح علتي ... إذا كان عقلي باقيا ولساني
هما ما هما في كل حال تلم بي ... فذا صارمي فيها وذاك سناني[1]

٩٥ ـ قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن ابن عبد ربه:

أخبرني أبو محمد قال:
أخبرني بعض الشيوخ:

أن أبا عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه وقف تحت روشن لبعض الرؤساء وقد سمع غناء حسنا فرش بماء ولم يعرف من هو؟ فمال إلى مسجد قريب من المكان واستدعى بعض ألواح الصبيان فكتب:

يا من يضنُّ بصوت الطائر الغرد ... ما كنت أحسب هذا البخل في أحد
لو أن أسماع أهل الأرض قاطبة ... أصغت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد
فلا تضن على سمعي تقلده ... صوتا يجول مجال الروح في الجسد
لو كان زرياب حيا ثم أسمعه ... لذاب من حسد أو مات من كمد
أما النبيذ فإني لست أشربه ... ولست آتيك إلا كسرتي بيدي

وزرياب عندهم كان يجري مجرى الموصلي في الغناء.

وله طرائق أخذت عنه وأصوات استفيدت منه وألفت الكتب بها.

وعلا عند الملوك هنالك بصناعته وإحسانه فيها علوا مفرطا وشهر شهرة ضرب بها المثل في ذلك[2].

---

(١) الجذوة ص ١٠٣ ـ ١٠٤ج وص ٩٦ف والبغية ص ١٥٠ ـ ١٥١ج وص ١٣٩ ـ ١٤٠ق.
(٢) الجذوة ص ١٠٢ج وص ٩٥ق والبغية ص ١٤٩ج وص ١٣٧ ـ ١٣٨ق وأورد الحميدي هذا الخبر في تذكرته ورقة ٢٨٧/أ ضمن مجموع سبط ابن حجر قال: وقف في صباه يوماً تحت روشن بعض الرؤساء وقد سمع جارية محسنة تغني ثم ساق الخبر إلى آخر الأبيات.

٩٦ ـ **قال الحميدي**:

وأخبرني أبو محمد علي بن الوزير أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم:

أنه سمع أبا العلاء صاعد بن الحسن ينشد هذه القصيدة [يعني قصيدة له بائية] بين يدي المظفر في يوم عيد الفطر سنة ست وتسعين وثلاث مئة.

قال أبو محمد:

وهو أول يوم وصلت فيه إلى حضرة المظفر ولما رآني أبو العلاء استحسنها، وأصغى إليها كتبها لي بخطه، وأنفذها إليّ[1].

٩٧ ـ **قال الحميدي عن التغلبي**: ذكره أبو محمد علي بن أحمد.

ولم أجد له عندي الآن إلا حكاية أخبرنا بها أبو محمد علي بن أحمد قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله التغلبي قال:

بينا أنا ماش في شارع من شوارع الكرخ ببغداد فإذا بسقاء في يده كأس بلور مفتوح منقوش في غاية الحسن وفيه ماء، وقد أخذ وردة في ابتداء زمان الورد، فرماها في ذلك الماء، فكان الماء يتموج فتلوح حمرة الورد مع بياض البلور فرأيت منظرا أنيقا فوقفت أنظر.

قال: فقال لي:

ماذا تنظر يا مغربي؟

فقلت: حسن هذه الوردة في هذا الإناء.

قال: فقال لي:

لا تعجب من حسن ذلك، ولكن اعجب من حسن قولي فيها حيث أقول:

للورد عندي محل ... لأنه لا يمل

كل النواوير جند ... وهو الأمير الأجل[2]

---

(١) الجذوة ص ٢٤١ج وص ٢٢٤ق وأورد الضبي الخبر عن غير واحد عن شريح عن أبي محمد. البغية ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ج وص ٣٠٧ق.

(٢) الجذوة ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ق وص ٢٥٧ق والبغية ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ وص ٣٥٤ق.

٩٨ - قال الحميدي عن أبي الأصبغ:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أنشدني خلف بن مروان الأنصاري قال:

ولد لأبي الأصبغ عبد العزيز بن الناصر ابن فعاش إلى أن دخل الكتاب وظهرت منه نجابة فأول لوح كتبه بعث به إلى أخيه المستنصر بالله وكتب إليه بهذه الأبيات، وهي من شعره:

هاك يا مولاي خطا مطه في اللوح مطا
ابن سبع في سنيه لم يطق للوح ضبطا
لم يقل في الضاد ظاء فحوى لفظا وخطا
دمت يا مولاي حتى يولد ابن ابنك سبطا[1]

٩٩ - قال الحميدي عن ابن أبي الفهد:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أخبرني أبو عامر أحمد بن عبد الملك الشهيدي:

أنه عمل بحضرته أربعين بيتاً على البديهة إلى عبادة ليس فيها حرف يعجم أولها:

حلمك ما حد حده أحد

وذكر من شعره أبياتا منها:

أباح فؤادي لوعة وغليل فباح بسري زفرة وعويل
وبين ما أخفيه دمع يحيله هوى بين أحناء الضلوع يجول
وليل همومي أطلعت فيه همتي كواكب عزم ما لهن أفول
تلاحظها الأيام وهي حسيرة ويرنو إليها الدهر وهو كليل[2]

(١) الجذوة ص ٢٨٩ج و ص ٢٧٠ق والبغية ص ٣٨٥ج و ص ٣٧٢ق.

(٢) الجذوة ص ٢٧٨ج و ص ٢٥٩ق والبغية ص ٣٦٩ - ٣٧٠ج و ص ٣٥٧ق.

* ابن شهيد هو أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد الأشجعي ولد سنة ٣٨٢ وتوفي سنة ٤٢٦ هـ .
ونقل الحميدي ثناء ابن حزم عليه وتأريخه لحياته[١].

١٠٠ ـ قال الحميدي عن عبد الرحمن بن أحمد بن مثنى:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأنشدني قال:
أنشدني ابن مثنى:

يـلاحـظني بلحظ بـابـلي　　ويفعـل بي فعـال الســامري
ويفرط في الصدود وفي التجني　　كـإفراط الـروافض في عـلي[٢]

١٠١ ـ قال الحميدي في ترجمة ابن الجحاف:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد، وروى عنه الحديث، وقال: هو أفضل قاض رأيته دينا وعقلا وتصاونا مع حظه الوافر من العلم[٣].

قال أبو عبد الرحمن: عبد الله بن عبد الرحمن بن حجاف توفي قاضيا ببلنسية عام ٤١٧ هـ أو ٤١٨[٤].

قال أبو محمد: نا القاضي عبد الله بن عبد الرحمن بن جحاف المعافري ببلنسية[٥].

١٠٢ ـ قال أبو محمد:

وأما خبر صاحبنا أبي عبد الله محمد بن يحيى [بن محمد] بن الحسين

---

(١) الجذوة ص ١٢٤ ـ ١٢٧.
(٢) الجذوة ص ٢٧٠ج و ص ٢٥٢ق والبغية ص ٣٦٠ج و ص ٣٤٧ق.
(٣) الجذوة ص ٢٦٢ج و ص ٢٤٤ق والبغية ص ٣٤٦ج و ص ٣٣٣ق.
(٤) ترجمته في الصلة ١/٢٥٥ ـ ٢٥٦.
(٥) المحلى ٢٣٧/١١.

التميمي، المعروف بابن الطبني[1] فإنه كان رحمه الله كأنه قد خلق الحسن على مثاله أو خلق من نفس كل من رآه، لم أشهد له مثلا حسنا وجمالا وخلقا وعفة وتصاونا وأدبا وفهما وحلما ووفاء وسؤددا وطهارة وكرما ودماثة وحلاوة ولباقة وصبرا وإغضاء وعقلا ومروءة ودينا ودراية وحفظا للقرآن والحديث والنحو واللغة، و [كان] شاعرا مفلقا حسن الخط وبليغا مفننا مع حظ صالح من الكلام والجدل، وكان من غلمان أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي أستاذي في هذا الشأن، وكان بينه وبين أبيه اثنا عشر عاما في السن، وكنت أنا وهو متقاربين في الأسنان، وكنا أليفين لا نفترق، وخدنين لا يجري الماء بيننا إلا صفاء، إلى أن ألقت الفتنة جرانها وأرخت عزاليها، ووقع انتهاب جند البربر منازلنا في الجانب الغربي بقرطبة ونزولهم فيها، وكان مسكن أبي عبد الله في الجانب الشرقي ببلاط مغيث وتقلبت بي الأمور إلى الخروج عن قرطبة وسكني مدينة المرية، فكنا نتهادى النظم والنثر كثيرا، وآخر ما خاطبني به رسالة في درجها هذه الأبيات[2]: [من الخفيف].

ليت شعري عن حبل ودك هل (م) ... يمسي جديدا لـدي غير رثيث
وأراني أرى محياك يوما ... وأناجيك في بلاط مغيث
فلو ان الديار ينهضها الشوق ... (م) أتاك البلاط كالمستغيث[3]
ولـو ان القلوب تستطيع سيرا ... سار قلبي إليك سير الحثيث
كن كما شئت لي فإني محب ... ليس لي غير ذكركم من حديث
لك عندي وإن تناسيت عهد ... في صميم الفؤاد غير نكيث

(١) بنو الطبني أصلهم من منطقة الزاب في المغرب (الجزائر حالياً)، أول من بنى بيت شرفهم بالأندلس أبو مضر زيادة الله بن علي الطبني إذ كان نديم محمد بن أبي عامر، وقد ترجم ابن بسام لعدد منهم (انظر ١/١: ٥٣٥ - ٥٤٧) وهناك فرع آخر من الطبنيين وهم: محمد ابن حسين الطبني وعقبه (الصلة: ٥٦٢ والجذوة: ٤٧) وقد كان لمحمد ابن هو يحيى، فأعقب يحيى ثلاثة من الأولاد وهم: أبو بكر إبراهيم (الجذوة: ١٤٩) وأبو عبد الله محمد وهو هذا الذي كان صديقاً لابن حزم (الجذوة: ٩٢) وأبو عمر القاسم وكان أيضاً أديباً شاعراً (الجذوة: ٣١٣ وسيذكره ابن حزم في ما يلي: ٢٦٣). اهـ. د. إحسان.

(٢) أورد الحميدي هذه الأبيات في الجذوة: ٩٢ (وأنظر البغية رقم: ٣١٦). د. إحسان.

(٣) وقع هذا البيت بعد الذي يليه في الجذوة. د. إحسان.

فكنا على ذلك إلى أن انقطعت دولة بني مروان وقتل سليمان الظافر أمير المؤمنين وظهرت دولة الطالبية[١] وبويع علي بن حمود الحسني المسمى بالناصر[٢] بالخلافة، وتغلب على قرطبة وتملكها واستمد في قتاله إياها بجيوش المتغلبين والثوار في أقطار الأندلس.

وفي أثر ذلك نكبني خيران صاحب المرية، إذ نقل إليه من لم يتق الله عز وجل من الباغين، (وقد انتقم الله منهم) عني وعن محمد بن إسحاق صاحبي آنا نسعى في القيام بدعوة الدولة الأموية، فاعتقلنا عند نفسه أشهرا ثم أخرجنا على جهة التغريب فصرنا إلى حصن القصر[٣] ولقينا صاحبه أبو القاسم عبد الله بن هذيل التجيبي، المعروف بابن المقفل، فأقمنا عنده شهورا في خير دار إقامة، وبين خير أهل وجيزان، وعند أجل الناس همة وأكملهم معروفا وأتمهم سيادة. ثم ركبنا البحر قاصدين بلنسية عند ظهور أمير المؤمنين المرتضى عبد الرحمن بن محمد، وساكناه بها، فوجدت ببلنسية أبا شاكر عبد الواحد بن موهب القبري[٤] صديقنا، فنعى إليّ أبا عبد الله بن الطبني وأخبرني بموته رحمه الله، ثم أخبرني بعد ذلك بمديدة القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله المرادي[٥] وأبو عمرو أحمد بن محرز أن أبا بكر المصعب بن عبد الله الأزدي المعروف بابن الفرضي[٦] حدثهما وكان والد المصعب هذا قاضي بلنسية أيام أمير المؤمنين المهدي[٧] وكان المصعب لنا صديقا وأخا وأليفا أيام طلبنا الحديث

(١) دولة الطالبية يعني دولة بني حمود لأنهم ينتسبون إلى علي بن أبي طالب د. إحسان.

(٢) انظر أخبار علي بن حمود (قتل سنة ٤٠٨) في الجذوة: ٢١ وأعمال الأعلام: ١٢٨ والبيان المغرب ٣: ١١٩. د. إحسان.

(٣) حصن القصر يقع إلى الجنوب الغربي من اشبيلية (ترجمة الروض: ٧٣ التعليق: ١) د. إحسان.

(٤) القبري نسبة إلى مدينة قبرة بالأندلس، وقد مرّ التعريف به ص: ١١٠ د. إحسان.

(٥) هو ابن الصفار، وقد مرّ التعريف به ص: ٢١٤. د. إحسان.

(٦) أبو بكر المصعب بن عبد الله بن محمد الأزدي (ولد القاضي أبي الوليد المعروف بابن الفرضي مؤلف تاريخ العلماء والرواة بالأندلس) وصفه الحميدي بأنه محدث أخباري شاعر ولي الحكم بالجزيرة (الجذوة: ٣٣٠ والبغية رقم ١٣٧٦ والصلة: ٥٩٣) د. إحسان.

(٧) قام محمد بن هشام الملقب بالمهدي على هشام المؤيد في جمادى الأخرة سنة ٣٩٩، فإذا =

على والده وسائر شيوخ المحدثين بقرطبة قالا: قال لنا المصعب: سألت أبا عبد الله بن الطبني عن سبب علته، وهو قد نحل وخفيت محاسن وجهه بالضنى فلم يبق إلاّ عين جوهرها المخبر عن صفاتها السالفة، وصار يكاد أن يطيره النفس، وقرب من الانحناء، والشجا باد على وجهه، ونحن منفردان. فقال لي: نعم، أخبرك أني كنت في باب داري بغدير ابن الشماس[1] في حين دخول علي بن حمود قرطبة[2]، والجيوش واردة عليها من الجهات تسارب، فرأيت في جملتهم فتى لم أقدر أن للحسن صورة قائمة حتى رأيته، فغلب على عقلي وهام به لبي، فسألت عنه فقيل لي: هذا فلان ابن فلان، من سكان جهة كذا، ناحية قاصية عن قرطبة بعيدة المأخذ، فيئست من رؤيته بعد ذلك. ولعمري يا أبا بكر لا فارقني حبه أو يوردني رمسي، فكان ذلك.

وأنا أعرف ذلك الفتى وأدريه، وقد رأيته لكني أضربت عن اسمه لأنه قد مات، والتقى كلاهما عند الله عز وجل، عفا الله عن الجميع. هذا على أن عبد الله، أكرم الله نزله، ممن لم يكن له وله قط، ولا فارق الطريقة المثلى، ولا وطىء حراما قط، ولا قارف منكرا، ولا أتى منهيا عنه يخل بدينه ومروءته ولا قارض من جفا عليه، وما كان في طبقتنا مثله.

ثم دخلت أنا قرطبة في خلافة القاسم بن حمود المأمون[3] فلم أقدم

= كانت ولاية ابن الفرضي القضاء له على بلنسية صحيحة فلا بد أنها كانت فترة قصيرة لأن المهدي لبث منذ قيامه إلى أن قتل ستة عشر شهراً، وقد ذكر ابن بشكوال أيضاً أن المهدي استقضى ابن الفرضي بكورة بلنسية (الصلة: ٢٤٨). د. إحسان.

(١) بغدير ابن الشماس: القراءة مضطربة في مختلف الطبعات، وما أثبته هو قراءة بروفنسال، انظر الأندلس: ٣٥٦ (التعليق رقم: ٣) ويقول: إن غدير ابن الشماس حي من أحياء قرطبة، ويحيل القارىء على التكملة لابن الأبار تحقيق ابن أبي شنب (الجزائر ١٩٢٠) رقم: ٥١٣، : ٢٣٣ (ص: ١٩٣ من طبعة القاهرة) د. إحسان.

(٢) دخلها في الثاني والعشرين من المحرم سنة ٤٠٧. د. إحسان.

(٣) حكم القاسم بن حمود قرطبة بعد مقتل أخيه (٤٠٨) وبقي حتى شهر ربيع الأول سنة ٤١٢ حين ثار عليه ابن أخيه (يحيى بن علي) فهرب القاسم عن قرطبة بلا قتال. د. إحسان.

شيئا على قصد أبي عمر القاسم بن يحيى التميمي أخي[أبي] عبد الله رحمه الله، فسألته عن حاله وعزيته عن أخيه، وما كان أولى بالتعزية عنه مني، ثم سألته عن أشعاره ورسائله إذ كان الذي عندي منه قد ذهب بالنهب في السبب الذي ذكرته في صدر هذه الحكاية، فأخبرني عنه أنه لما قربت وفاته وأيقن بحضور المنية ولم يشك في الموت دعا بجميع شعره وبكتبي التي كنت خاطبته أنا بها، فقطعها كلها ثم أمر بدفنها. قال أبو عمر، فقالت له: يا أخي دعها تبقى. فقال: إني أقطعها وأنا أدري أني أقطع فيها أدبا كثيرا، ولكن لو كان أبو محمد - يعنيني - حاضرا لدفعتها إليه تكون عنده تذكرة لمودتي ولكني لا أعلم أي البلاد أضمرته ولا أحي هو أم ميت، وكانت نكبتي اتصلت به ولم يعلم مستقري ولا إلى ما آل إليه أمري، فمن مراثي له قصيدة منها: [من المتقارب]:

لئن سترتك بطون اللحود ... فوجدي بعدك لا يستتر
قصدت ديارك قصد المشوق ... وللدهر فينا كرور ومر
فألفيتها منك قفرا خلاء ... فأسكبت عيني عليك العبر[1]

التعليق على النص

* هذه الفقرة أنموذج لمبالغات ابن حزم في الثناء، واستعماله لكثرة المترادفات اللغوية وهو لون للإسهاب في النثر.

* أو خلق من نفس كل من رآه:
هذه العبارة كناية عن محبة من يراه له بناء على أن الأرواح إذا تشاكلت تآلفت.

* في هذه الفقرة نص على أن أبا محمد سكن المرية عندما خرج من قرطبة للمرة الأولى.

---

(١) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢٦٠ - ٢٦٤ج مع تحشيات المحقق د. إحسان عباس.

* ابن الطبني هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن الحسين الحماني السعدي الطبني:

قال الحميدي: من بني سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أدد وقد أورد الحميدي القصيدة الثانية التي ذكرها أبو محمد وقال إنها من أبيات رآها.

وكنية جده أبو مضر.

قال ابن سعيد: وصفه الحجاري بالأدب والشعر، ومجالسة الملوك وكان ممن يجالس أبا الحزم بن جهور، وابنه أبا الوليد، وصحب ابن شهيد وذكر له ثلاثة أبيات[1].

إلا أن ابن سعيد كناه: أبا مضر.

قال: أصلهم من طبنة قاعدة الزاب، والوافد منهم على الأندلس في أيام أبي عامر أبو مضر محمد بن يحيى.

قال أبو عبد الرحمن: لعل الأمر التبس عليه بجده أبي مضر.

قال الدكتور شوقي ضيف (في حاشية هذه الترجمة):

طبنة بلدة في طرف إفريقية مما يلي المغرب.

* ابن أبي يزيد الأزدي عبد الرحمن المصري. ذكره أبو محمد في موضع آخر.

وقال أبو محمد: إنه من ولد أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي[2].

قال أبو عبد الرحمن: ولم أجد له ذكرا غير هذا.

* هذه الفقرة نص على أن أبا محمد اعتقل من قبل خيران بالمرية شهرا قبل قيام المرتضى.

* ابن المقفل وحصن القصر.

لم أجد لابن المقفل ذكرا في كتب التراجم وربما كان من أسرة بني هذيل من مديونة من مديونة من البربر[3].

(١) الجذوة ص ٩٢ والبغية ص ١٣٥ والمغرب ١/٥٩١.

(٢) الجمهرة ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٣) انظر الجمهرة ص ٤٩٩ ـ ٥٠٠.

وحصن القصر من أعمال أشبيلية.

ولقد التبس الأمر على بعض المعاصرين فظنوا أن حصن القصر قلعة البونت وأن ابن هذيل هو ابن قاسم الفهري حاكم البونت.

قال أبو عبد الرحمن: لا تطابق بين اسم عبد الله بن هذيل وبين عبد الله بن قاسم لا اسما، ولا كنية، ولا نسبا.

وأين قلعة البونت قرب بلنسية بشرق الأندلس عن حصن القصر قرب أشبيلية بجنوب الأندلس؟!.

وما دام خيران العامري أخرج ابن حزم من المرية على جهة التغريب فهو لن يرسله إلى شرق الأندلس حيث يوجد أنصار بني أمية.

ثم كيف يركب البحر إلى بلنسية لو كان بالبونت؟!.

* سنترجم للمرتضى، وقصة خيران معه في موضع آخر من هذا الكتاب بحول الله.

* لا أرى في هذه الفقرة تنصلا من أبي محمد عن دعوى القيام بالدعوة للدولة الأموية.

وإنما وصف المبلغ عنه بعدم التقوى، لأن أبا محمد يرى أن الخلافة لا تجوز إلا في قريش، ومن يبلغ عن المحقين فهو غير متق لله!.

* القاضي أبو الوليد بن محمد المرادي:

لم أعرف يونس هذا.

وإنما شيخه القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث.

* أبو عمرو أحمد بن محرز: لم أجد له ترجمة.

* أبو بكر المصعب بن عبد الله بن محمد.

والده ابن الفرضي وستأتي ترجمته الآن إن شاء الله.

قال الحميدي: أديب محدث أخباري شاعر.

ولي الحكم بالجزيرة، وأصله من قرطبة، وكان فاضلا.

كان حيا قبل الأربعين وأربع مئة[1].

---

(١) الجذوة ص ٣٣٠ - ٣٣١ والبغية ص ٤٥٧.

قال ابن بشكوال: استجاز له أبوه جماعة من علماء المشرق[١].

* عبد الله بن الفرضي هو أبو الوليد وأبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الحافظ.

من أهل قرطبة. قال ابن بشكوال:

«رحل إلى المشرق سنة ٣٨٢ هـ، فحج، وأخذ عن الشيوخ بمكة، ثم انصرف إلى قرطبة، وجمع علما كثيرا في فنون العلم، فصنف كتابه في تاريخ علماء الأندلس، وبلغ فيه النهاية والغاية من الحفظ والإتقان.

وجمع كتابا حفيلا في أخبار شعراء الأندلس وجمع في المؤتلف والمختلف كتاباً حسناً، وفي مشتبه النسبة.

حدث عنه أبو عمر بن عبد البر الحافظ، وقال:

كان فقيها، عالما في جميع فنون العلم في الحديث، وعلم الرجال. وله تواليف حسان، وكان صاحبي ونظيري.

أخذت معه عن أكثر شيوخه، وأدرك من الشيوخ ما لم أدركه أنا.

كان بيني وبينه في السن نحو من خمس عشرة سنة. صحبته قديما وحديثا.

وكان حسن الصحبة والمعاشرة، حسن اللقاء.

قتله البربر في سنة الفتنة، وبقي في داره ثلاثة أيام مقتولا، وحضرت جنازته عفا الله عنه.

وحدث عنه أيضا أبو عبد الله الخولاني، وقال:

كان من أهل العلم جليلا، ومقدما في الآداب، نبيلا مشهورا بذلك سمع بالأندلس، ورحل إلى الشيوخ في البلدان، وسمع منهم، وكتب عنهم.

ثم توجه إلى المشرق، فطلب الحديث، وعني بالعلم.

وكان قائما به، نافذا فيه.

وقال ابن حيان: كان ممن قتل يوم فتح قرطبة، وذلك يوم الأثنين لست

---

(١) الصلة ١/٥٩٣.

خلون من شوال سنة ٤٠٣ هـ الفقيه الراوية الأديب الفصيح ابن الفرضي.
أصيب هذا اليوم، ووُوري متغيرا من غير غسل، ولا كفن، ولا صلاة بمقبرة إلى أيامٍ من قتله.
ولم ير مثله بقرطبة من سعة الرواية، وحفظ الحديث، ومعرفة الرجال، والافتنان في العلوم، إلى الأدب البارع، والفصاحة المطبوعة قل ما كان يلحن في جميع كلامه من غير حوشيه مع حضور الشاهد والمثل.
مولده في ذي القعدة سنة ٣٥١ هـ.
وكان جماعا للكتب، فجمع منها أكثر ما جمعه أحد من عظماء البلد وتقلد قراءة الكتب بعهد العامرية، واستقضاه محمد المهدي بكورة بلنسية، وكان حسن الشعر والبلاغة والخط.
قال ابن بشكوال: قرأت بخط شيخنا أبي الحسن بن مغيث وأخبرني به غير مرة مشافهة قال:
وجدت بخط أبي محمد بن حزم أنه قتل في الدخلة، وبقي في مصرعه حتى تغير وكفنه ابنه في نطع. أ هـ[1].
قال أبو عبد الرحمن: إن بقاءه في مصرعه ثلاثة أيام يوحي بأن الناس لم يعلموا بوفاته ولكن ينافي هذا ما رواه الحميدي. قال: أخبرني أبو محمد. قال: أخبرني أبو الوليد بن الفرضي. قال: تعلقت بأستار الكعبة . وسألت الله الشهادة، ثم انحرفت وفكرت في هول القتل فندمت، وهممت أن أرجع فأستقيل الله ذلك، فاستحييت!
قال أبو محمد: فأخبرني من رآه بين القتلى، فدنا منه، فسمعه يقول بصوت ضعيف وهو في آخر رمق:
لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثغب دما اللون لون الدم، والريح ريح المسك.
وهذا الحديث في صحيح مسلم.

(١) الصلة ١/٢٤٦ ـ ٢٥٠.

روى عنه ابن عبد البر: تاريخه، ورسالة ابن أبي زيد، والمنبه لذوي الفطن على غوائل الفتن «للقابسي»[1].

وترجم له ابن سعيد[2] وقال: وذكر الحجاري: أنه ولي في الفتنة قضاء استجه، ورغب إليه أهل مصر في الإقامة عندهم، فقال: من المروءة النزاع إلى الوطن.

وقال ابن خلكان: إنه بقي في داره ثلاثة أيام متغيرا.

قال أبو عبد الرحمن: ليت شعري: من سمعه في داره يتلو حديثا في صحيح مسلم!؟

وقال ابن خلكان أيضاً: وله شعر كثير[3].

قال أبو عبد الرحمن: كتابه تاريخ الأندلس هو:

«تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس».

طبع كاملا في جزءين، وذكره الزركلي بما يوحي بأنه غير كامل. وفي مقدمة عزة العطار الناشر له (ص ٥) قال:

حدث عنه ابن أبي زيد برسالته، والقابسي بكتابه! اهـ.

والعكس هو الصحيح، لأنه حدث عنهما بهذين الكتابين.

وذكر ابن الفرضي في كتابه الآنف الذكر ١/٧٣:

---

(١) الجذوة ص ٢٣٧ ـ ٢٣٩.

(٢) المغرب ١/١٠٣ ـ ١٠٤.

(٣) ترجمته في وفيات الأعيان ٢/٢٩٠ ـ ٢٩١، وترجم له: ابن بسام في الذخيرة ٢/١٣٠ ـ ١٣٣ وابن فرحون في الديباج وصديق خان في التاج المكلل ص ٦٠ ـ ٦٢ وقال: ان ابن حيان عرف به في المقتبس والذهبي في تذكرة الحفاظ ٣/١٠٧٦ ـ ١٠٧٨ وروى ابن خير مؤلفاته عن شيوخه وهي: تاريخ الأندلس، والمتشابه في أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم وذكر أن أبا علي الغساني انتخب جزءاً من تاريخ الأندلس لابن الفرضي فهرست ابن خير ص ١٩٨ وص ٢٢٠. ومن شيوخه أحمد بن نصر الداودي.

وترجم له المقري في نفح الطيب ٢/١٢٩ ـ ١٣١.

وترجم له: الذهبي في سير النبلاء، وابن كثير في البداية والنهاية، وابن العماد في الشذرات، وذكر حاجي خليفة عدداً من مؤلفاته في كشف الظنون، وذكره البغدادي في إيضاح المكنون، وإسماعيل باشا في هدية العارفين ـ كل ذلك كما في معجم المؤلفين ٦/١٤٦ ـ وذكر الزركلي: أن ترجمته في النبيان خ ـ الأعلام ٤/٢٦٥ ـ وترجم له ابن خاقان في المطمح وابن دحية في المطرب، والعمري في المسالك.

أن أحمد بن محمد الأنصاري: أجاز له ما رواه، وأنه كتب عنه ـ وفي ج ١ ص ٢٧٦: ذكر أنه بأشبيلية عند أبي محمد الباجي ٣٧٢/٨/٢١هـ.
وقال أبو الوليد عن عبدالله بن محمد بن حزم ١/٢٨٥ ـ ٢٨٦ ـ:
وكان مما أخذ عنه مما لم يكن عند شيوخنا كتاب معاني القرآن للزجاج
قرىء عليه وسمعته حاشي سورة البقرة.
ثم قرأت عليه الكتاب من أوله إلى آخره.
وقرأت عليه علما كثيرا، وأجاز لنا جميع روايته.
ثم ذكر أبو الوليد شيوخه الذين كتب عنهم، ثم قال عن ابن حزم:
وتوفي رحمه الله وأنا بالمشرق لثمان عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٣ هـ.
وفي ج ١ ص ٣٤١: ذكر مؤلفا له في النحويين.
وقال عن فتح بن أصبغ: رأيته بطليطلة في جنازة أبي رحمه الله وقدم للصلاة عليه وذلك في عقب جمادى الآخرة سنة ٣٦٥ ولم أكن رأيته قبل ذلك١/٣٩٠ وفي ج ٢ ص ١٦٧: أن هارون بن عتاب حدث عن ابن الفرضي برأي أصحاب مالك.
وفي هذه الصفحة: ذكر ابن الفرضي أنه كتب عن هارون بن بنج.
وقال عن محمد بن أحمد بن مفرج ٢/٩٥:
وواليت الاختلاف إليه، والسماع منه: من سنة ٣٦٩ هـ إلى أن اعتل علته التي توفي بها.
توفي رحمه الله في ٣٨٠/٧/١١ هـ ودفن بمقبرة الربض، وشهدت جنازته.
وقال عن ابن برطال ٢/١٠٩ ـ:
حدث بكتاب البخاري عن أبي علي بن السكن وقرأته عليه، وكان مجلسنا من أجل المجالس التي شهدناها بالأندلس، وأجاز لي جميع ما رواه. ا هـ.
وقال عن الحصني الشاعر ٢/١١٩ ـ:

ولما قدمت من المشرق أتاني مهنئا بقدومي، وجعل يذاكـرني مصر، ويسألني عن أخبارها، وجعل يقدر الرجوع إليها ويتمناه، فحالت منيته دون أمنيته.

وقال عن مجاهد بن أصبغ ٢/١٤٩:

وتوفي وأنا في المشرق سنة ٣٨٢ هـ. أو ٣٨٣.

وقال عن يحيى بن عبد الله الليثي ـ ٢/١٩٠ ـ:

اختلفت إليه في سماع حديث الموطأ سنة ٣٧٧ هـ.

وكانت الدولة فيه في أيام الجمع بالغدوات، فتم لي سماعه منه.

وسمعت منه كتاب التفسير لعبد الله بن نافع.

ولم أشهد بقرطبة مجلسا أكثر بشرا من مجلسنا في الموطأ:

إلا ما كان من بعض مجالس يحيى بن مالك بن عائذ.

ولم أسمع منه غير الموطأ والتفسير.

وفي هذا العام كان بدء سماعي، ثم شغلني النظر في العربية عن مواصلة الطلب إلى سنة ٣٦٩ هـ.

ومن هذا التاريخ اتصل سماعي من الشيوخ. ا هـ.

قال أبو عبد الرحمن: ولديّ صورة من الكتاب المختصر من كتابه في الألقاب صورته من الظاهرية بدمشق.

قال أبو عبد الرحمن: أحدث تاريخ وجدته في كتابه كان سنة ٣٩٥ هـ (انظر ١/١٠٦).

وهذا يعني أنه ألف الكتاب بعد هذا التاريخ.

* قرأ ابن حزم على ابن الفرضي بقرطبة قبل أن ينتقل ابن الفرضي إلى بلنسية.
* وفي هذه الفقرة أن أبا محمد دخل قرطبة في خلافة القاسم بن حمود.
* وأن ابن حزم يكنى أبا محمد قبل ذلك الوقت.
* وأن له رسائل أدبية قبل ذلك الوقت أيضا.
* أبو عمرو القاسم بن يحيى كنيته في الجذوة ص ٣١٣ أبو عمر.

فلعل عمرو هنا محرفة.

قال الحميدي: أديب شاعر من أهل بيت آداب وعلم وشعر.

١٠٣ - قال أبو عبد الله الحميدي في ترجمة أحمد بن حزم:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أنشدني الوزير أبي في بعض وصاياه لي:

إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن   على حالة إلا رضيت بدونها[1]

١٠٤ - قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن ابن دراج:

وأخبرني [يعني أبا محمد بن حزم]:

أن المنصور أبا عامر لما فتح شنت ياقب أو غيرها من القلاع الحصينة، التي يقال إن أحداً لم يصل إليها قبله:

استدعي أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج وأبو مروان عبد الملك بن ادريس المعروف بابن الجزيري وأمرا بإنشاء كتب الفتح إلى الحضرة وإلى سائر الأعمال.

فأما ابن الجزيري فقال:

سمعا وطاعة.

وأما ابن دراج فقال:

لا يتم لي ذلك في أقل من يومين أو ثلاثة وكان معروفا بالتنقيح والتجويد والتؤدة فخرج الأمر إلى ابن الجزيري بالشروع في ذلك فجلس في ظل السرادق ولم يبرح حتى أكمل الكتب في ذلك.

وقيل لابن دراج: افعل ذلك على اختيارك، فقد فسح لك فيه.

ثم جاء بعد ذلك بنسخة الفتح.

وقد وصف الغزاة من أولها إلى آخرها ومشاهد القتال وكيفية الحال

---

(١) جذوة المقتبس ص ١٢٦ج و ص ١١٨ق والبغية ص ١٨٢ج و ص ١٧٠ق.

بأحسن وصف وأبدع فاستحسنت ووقع الإعجاب بها، ولم تزل منقولة متداولة إلى الآن. وما بقي من نسخ ابن الجزيري في ذلك الفتح على كثرتها عين ولا أثر[1].

قال أبو عبد الرحمن: ذكر الذهبي في سير النبلاء أن لابن حزم كتابا بعنوان غزوات المنصور بن أبي عامر.

وهذا النص عن غزوة من غزوات المنصور، فلعله رواه عن كتاب غزوات المنصور.

١٠٥ - قال الحميدي:

قال أبو محمد: حدثني أبو الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت الفقيه: أنا أبا العلاء صاعداً سأل جماعة من أهل الأدب في مجلس المنصور أبي عامر عن قول الشماخ:

دار الفتاة التي كنا نقول لها ... يا ظبية عطلا حسانة الجيد
تدني الحمامة منها وهي لاهية ... من يانع المرد قنوان العناقيد

فقالوا: هي الحمامة تنزل على غصن الأراكة والكرم فتثقله، فتتمكن الظبية منه، فترعاه.

فأنكر ذلك عليهم صاعد وقال:

إن الحمامة في هذا البيت هي المرآة، وهي اسم من أسمائها، فأراد أن هذه الجارية المشبهة بالظبية إذا نظرت في المرآة أدنت المرآة منها في المنظر شعرها الذي هو كقنوان العناقيد مع يانع الكرم أو المرد فرأته. أهـ[2].

قال أبو عبد الرحمن: ذكر الذهبي في سير النبلاء أن من مؤلفات

---

(١) الجذوة ص ١١٢ج و ص ١٠٤ق والبغية ص ١٦٠ج وص ١٤٩ق وقد روى الخبر عن عدة من أشياخه عن شريح.

(٢) الجذوة ص ٣٣١ج و ٣١٢ق والبغية ص ٤٤٨ج و ص ٤٣٤ق.

ابن حزم تسمية الشعراء الوافدين على ابن أبي عامر.

وصاعد ممن وفد على ابن أبي عامر، فلعل الحميدي يروي هذا الخبر عن كتاب التسمية لأبي محمد بن حزم.

١٠٦ ـ قال الحميدي عن قاسم بن أصبغ: قال أبو محمد علي بن أحمد:

كان رحمه الله من الثقة والجلالة بحيث اشتهر أمره وانتشر ذكره.

روى عنه جماعة أكابر من أهل بلده منهم:

عبد الوارث بن سفيان، وأحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد المعروف بابن الجسور، وسعيد بن نصر، وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن، ويعيش بن سعيد بن محمد الوراق، وعبد الله بن نصر الزاهد، وابنه قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ وغيرهم كان أصله من بيانة وسكن قرطبة.

وبها مات سنة أربعين وثلاث مئة عن سن عالية ويقال إنه لم يسمع قبل موته بسنتين.

قال أبو عبد الرحمن: الراجح أن هذا النص من كتابه مراتب العلماء وتواليفهم أو من كتابه الأوقات وهذا النص لا يوجد في الميزان المطبوع باسم فضل الأندلس.

١٠٧ ـ قال الحميدي عن الطليق قال لي أبو محمد علي بن أحمد:

أبو عبد الملك هذا في بني أمية كابن المعتز في بني العباس ملاحة شعر، وحسن تشبيه سجن وهو ابن ست عشرة سنة، ومكث في السجن ست عشرة سنة، وعاش بعد إطلاقه من السجن ست عشرة سنة[1].

---

(١) الجذوة ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤ج وص ٣٢١ق والبغية ص ٤٦٢ج و ص ٤٣٧ق.

١٠٨ - قال الحميدي عن أبي شاكر القبري:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال أنشدني أبو شاكر لنفسه:

ومنعم وسنان يجني لحظه ... قتل المحب وتارة يحييه
جار الصدا يوما عليه فجاءني ... يشكو اليّ به لكي أشكيه
فسقيته ماء ولو روحي غدا ... ماء لكنت جميعه أسقيه
عجبا له يشفي بريقته الصدا ... ويصيبه ظمأ فلا يرويه
لا غرو هذا المسك طيب للورى ... والظبي ليس يلذ طيبا فيه
والخمر لا تروى بها ثمراتها ... واذا استغاث بها صد تشفيه
والسم يقتل شاربيه وإنه ... لحياة من يجنونه من فيه[1]

١٠٩ - قال الحميدي عن سعيد بن فتحون:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وذكر لنا أن من شعره في ذم الناس للمنطق:

ظلموا ذا الكتاب إذ وصفوه ... بالذي ليس فيه إذ جهلوه
لو دروا حقه لما أنكروه ... أو دروا فضله إذن فضلوه
كذبوا والإله لو عرفوه ... لنفوا عنه كل ما نحلوه[2]

١١٠ - قال الحميدي:

أنشدني أبو محمد بن أبي عمر البزيدي الحافظ قال:

---

(١) الجذوة ص ٢٩١ج وص ٢٧٢ق والبغية ص ٣٩٢ - ٣٩٣ج وص ٣٧٩ - ٣٨٠ق.

(٢) الجذوة ص ٢٣٣ج وص ٢١٦ق. ولم يذكر الضبي الخبر في ترجمة ابن فتحون. وأبو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم الحمار السرقسطي متحقق في علم النحو واللغة والموسيقى والفلسفة. سجنه المنصور بن أبي عامر وبعد خروجه من السجن هاجر إلى صقلية وبها مات.

طبقات الأمم لصاعد ص ١٠٦ - ١٠٧ والذيل والتكملة بقية السفر الرابع ص ٤٠ - ٤١ والبغية للضبي ص ٣١١ والبغية للسيوطي ١/٥٨٦.

أنشدني أبو بكر محمد بن إسحاق المهلبي.

لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرضي قصيدة قالها في طريقه إلى المشرق، وكتب إلى أهله وكان قد رحل في طلب العلم، وتغرب، ثم حفظ، وألف في المؤتلف والمختلف وغيره، وتوفي في حدود الأربع مئة مقتولا مظلوما في تلك الفتن:

مضت لي شهور منذ غبتم ثلاثة ... وما خلتني أبقى إذا غبتم شهرا
ومالي حياة بعدكم أستلذها ... ولو كان هذا لم أكن في الهوى حرا
ولم يسلني طول التنائي هواكم ... بل زادني وجدا وجدد لي ذكرا
يمثلكم لي طول شوقي إليكم ... ويدنيكم حتى أناجيكم سرا
سأستعتب الدهر المفرق بيننا ... وهل نافعي إن صرت استعتب الدهرا
أعلل نفسي بالمنى في لقائكم ... وأستسهل البر الذي جبت والبحرا
ويؤيسني طي المراحل دونكم ... أروح على أرض وأغدو على أخرى
وتالله ما فارقتكم عن قلى لكم ... ولكنها الأقدار تجري كما تجرى
رعتكم من الرحمن عين بصيرة ... ولا كشفت أيدي الردى عنكم سترا[1]

١١١ ـ قال الحميدي عن أبان بن عيسى:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفقيه قال:

حدثنا عبد الرحمن بن سلمة الكناني قال:

أخبرني أحمد بن خليل قال:

حدثنا خالد بن سعد قال:

أخبرني محمد بن عمر بن لُبابة قال:

أخبرني أبان بن عيسى بن دينار وقد سمعت محمد بن عمر غير مرة يقول: لم أنظر قط إلى وجه أبان إلا ذكرت الموت.

---

(١) الجذوة ص ٢٥٦ج و ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ق ولم يسند الضبي هذا الخبر إلى ابن حزم.

رفع به خبرا عن أبيه عيسى بن دينار عن ابن القاسم عن مالك عن ابن شهاب قال:

دعوا السنة تمضي لا تعرضوا لها بالرأي[1].

١١٢ ـ قال الحميدي:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثنا عبد الرحمن بن سلمة قال:

أخبرني أحمد بن خليل قال:

أخبرني إبراهيم بن محمد القزاز قال:

سمعت سحنون يقول:

إنما عزاؤنا في هذه الآثار، فأما هذه المسائل فالله أعلم بحقيقتها[2].

١١٣ ـ قال الحميدي عن أسلم بن عبد العزيز:

أخبرنا أبو محمد الحافظ قال:

حدثنا عبد الرحمن الكناني قال:

أخبرنا أحمد بن خليل قال:

نا خالد بن سعد قال: قال لي أسلم بن عبد العزيز بن هاشم القاضي وأحمد بن خالد ومحمد بن قاسم بن محمد:

رأينا بقيّ بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الخشني وقاسم بن محمد يرفعون أيديهم في الصلاة عند كل خفض ورفع.

وقال لي أسلم:

رأيت المزني والربيع بن سليمان:

يرفعان أيديهما عند كل خفض ورفع في الصلاة[3].

---

(١) الجذوة ص ١٧١ ـ ١٧٢ج و ص ١٦٢ق والبغية ص ٢٣٨ج و ص ٢٢٤ق.

(٢) الجذوة ص ١٥٠ج و ص ١٤١ق والبغية ص ٢١١ ـ ٢١٢ج و ص ١٩٧ق.

(٣) الجذوة ص ١٧٣ج و ص ١٦٣ق والبغية ص ٢٤٠ج و ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ق.

١١٤ ـ قال الحميدي عن طاهر بن عبد العزيز:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد الفقيه حدثنا عبد الرحمن بن سلمة قال:

أخبرني أحمد بن خليل قال:

حدثنا خالد بن سعد قال:

حدثنا ظاهر بن عبد العزيز قال:

حدثنا أبو القاسم مسعدة العطار بمكة.

وقد سمعت طاهرا وأحمد بن خالد يحسنان الثناء عليه قال: حدثنا الحزامي يعني إبراهيم بن المنذر قال:

نا عمر بن عصام:

قال طاهر: وكان ثقة عن مالك بن أنس عن نافع بن عمر.

قال: العلم ثلاث: كتاب الله الناطق، وسنة ماضية، ولا أدري.

قال أبو عبد الرحمن: قال الضبي: أخبرني غير واحد عن شريح ثم ساق الخبر[١]:

١١٥ ـ قال الحميدي عن ابن زرقون:

أخبرنا أبو محمد بن حزم الحافظ قال:

حدثنا الكناني قال:

نا أحمد بن خليل قال:

حدثنا خالد بن سعد قال:

حدثني محمد بن مسور قال:

حدثنا محمد بن وضاح قال:

حدثنا عبد الله بن محمد بن زرقون السرقسطي قال خالد: وكان ثقة، وكان ابن وضاح يحسن الثناء عليه قال:

---

(١) الجذوة ص ٢٤٧ج و ص ٢٣٠ق والبغية ص ٣٢٧ج و ص ٣٦٤ق.

حدثنا أصبغ بن الفرج قال:
سمعت ابن وهب يقول:

ما يحل لأحد يرد بغير علم، ولا يقول شيئا بغير تثبت.

قال: ولقد سمعت مالكا يقول:

والله ما أحب أن تكتبوا عني كل ما تسمعون مني.

قال ابن وهب:

ولو عرضنا على مالك كل ما كتبنا عنه لمحا ثلاثة أرباعه.
وقال الضبي: أخبرني غير واحد عن شريح ثم ساق الخبر[1].

١١٦ - قال الحميدي:
أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:
حدثنا عبد الرحمن بن سلمة قال:
أخبرني أحمد بن خليل قال:
حدثنا خالد بن سعد قال:
حدثني أحمد بن خالد وسعيد بن عثمان العناقي قالا:

سمعنا يحيى بن عمر يقول:
سمعت أبا المصعب أحمد بن أبي بكر الزهري يقول:
رأيت مالك بن أنس يرفع يديه إذ قال:

سمع الله لمن حمده، على حديث ابن عمر[2].

١١٧ - وقال الحميدي عن خالد بن سعد:
أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:
حدثنا عبد الرحمن بن سلمة قال:
أخبرني أحمد بن خليل قال:

---

(١) الجذوة ص ٢٤٩ج و ص ٢٣٢ق والبغية ص ٣٢٩ج و ص ٣١٦ق.
(٢) الجذوة ص ٢٣١ج و ص ٢١٤ق والبغية ص ٣٠٩ج و ص ٢٩٦ق.

قال لنا خالد بن سعد وقد ذكر حديث لا ضرر ولا ضرار لم يصح مسندا.

قال: وقد ذاكرنيه أحمد بن خالد وقال لي:

لعله وقع عندك مسندا عن النبي لا فنكتبه عنك.
فقلت: لا[1].

١١٨ ـ قال الحميدي عن ابن أبي الوليد:
أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال: حدثنا الكناني:
حدثنا خالد بن سعد قال:
حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي الوليد وكان من الخاشعين قال:

رأيت أبا الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي يرفع يديه عند كل خفض ورفع.

قال عبد الله بن صالح:
رأيت محمد بن عبد الله بن نمير وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني: يرفعون أيديهم.

قال أبو عبد الرحمن: هذا الخبر رواه الضبي عن نجبة عن شريح[2].

١١٩ ـ قال أبو محمد:

ولقد حدثني أبو السري عمار بن زياد صاحبنا عمن يثق به: أن الكاتب ابن قزمان[3] امتحن بمحبة أسلم [بن أحمد بن سعيد بن قاضي

---

(١) الجذوة ص ٢٠٥ج و ص ١٩٢ق والبغية ص ٢٨١ج و ص ٢٦٦ق.
(٢) الجذوة ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ج و ص ٢٢٣ق والبغية ص ٣٣٠ج و ص ٣١٧ق.
(٣) ابن قزمان الكاتب: لعله أحمد بن كليب النحوي (انظر الجذوة: ١٣٤ والبغية رقم: ٤٦٢ وإنباه الرواة ١: ٩٦ ومعجم الأدباء ٤: ١٠٨ والمنتظم: ٨: ٨٣ (وجعل وفاته ٤٢٦) وبغية الوعاة ١: ٣٥٤ وتزيين الأسواق ٢: ٦، ومصارع العشاق ١: ٢٩٧ والنجوم الزاهرة ٤: ٢٨١ وتاريخ ابن كثير ١٢: ٣٨ وذم الهوى ٥٥٧) وقصة أحمد بن كليب وأسلم كما رواها الحميدي عن ابن حزم عن محمد بن الحسن المذحجي وردت في الجذوة =

الجماعة أسلم] بن عبد العزيز[1] أخي الحاجب هاشم بن عبد العزيز[2] وكان أسلم غاية في الجمال، حتى أضجره لما به وأوقعه في أسباب المنية.

وكان أسلم كثير الإلمام به والزيارة له ولا علم له بأنه أصل دائه إلى أن توفي أسفا ودنفا[3].

قال المخبر: فأخبرت أسلم بعد وفاته بسبب علته وموته فتأسف وقال: هلا أعلمتني؟ فقلت: ولم؟ قال: كنت والله أزيد في صلته وما أكاد أفارقه، فما عليّ في ذلك ضرر.

وكان أسلم هذا من أهل الأدب البارع والتفنن، مع حظ من الفقه وافر، وذا بصارة في الشعر، وله شعر جيد، وله معرفة بالأغاني وتصرفها، وهو صاحب تأليف في طرائق غناء زرياب وأخباره، وهو ديوان عجيب جدا. وكان أحسن الناس خلقا وخلقا وهو والد أبي الجعد الذي كان ساكنا بالجانب الغربي من قرطبة[4].

= والبغية والمنتظم والمصارع وذم الهوى ومعجم الأدباء وتزيين الأسواق، وديوان الصبابة: ٢٤٤، وسأوردها ملحقة بالكتاب (انظر الملحق: ٢). د. إحسان.

(١) هو أسلم بن أحمد بن سعيد بن أسلم بن عبد العزيز: (وجده أسلم بن عبد العزيز كان قاضي الجماعة بالأندلس أيام عبد الرحمن الناصر وتوفي سنة ٣١٩ وهذا الجد هو أخو هاشم الحاجب) كان له أدب وشعر، وشهر بتأليفه في أغاني زرياب الذي سيذكره ابن حزم في ما يلي (انظر الجذوة: ١٦٢ والبغية رقم: ٥٧٠)، والزيادة بين معقفين ضرورية وإلا ذهب الظن بأن ابن كليب النحوي عشق قاضي الجماعة كما وهم بعض المحققين في ذلك، وإنما هو عشق أسلم الحفيد، الذي كان معاصراً لمحمد بن حسن المذحجي، ويدرس على محمد بن الخطاب النحوي المتوفى سنة ٣٩٨ وقد فرق الحميدي بين الأسلمين بوضوح وجعل قصة الحب متعلقة بالحفيد منهما نصاً، وهو أدرى برواية ابن حزم د. إحسان.

(٢) هاشم بن عبد العزيز: كان خاصاً بالأمير محمد بن عبد الرحمن يؤثره بالوزارة ويرشحه مع بنيه ومفرداً للقيادة والإمارة، وكان ذا خلال نبيلة من بأس وجود وفروسية وكتابة وشعر ونكبه المنذر بعد ذلك (الحلة السيراء ١: ١٣٧ والمغرب ٢: ٩٤).

(٣) هذه الرواية هنا غريبة، مع أن ابن حزم نفسه في روايته عن محمد بن الحسن المذحجي يذكر أن أشعار ابن كليب في أسلم تنوشدت في الأعراس، وانقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب، ثم يروي حكايات عن تحيل ابن كليب للقائه... إلخ (انظر الملحق ٢). د. إحسان.

(٤) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/٢٥٦ - ٢٥٩ مع التحشيات.

قال أبو محمد:

أحمد بن كليب النحوي[1] أديب شاعر مشهور الشعر، ولا سيما شعره في أسلم وكان قد أفرط في حبه حتى أداه ذلك إلى موته وخبره في ذلك ظريف.

وقال الحميدي:

حدثني أبو محمد علي بن أحمد، قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسن المذحجي[2] قال: كنت أختلف في النحو إلى أبي عبد الله محمد بن خطاب النحوي[3] في جماعة، وكان معنا عنده أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد بن قاضي الجماعة أسلم بن عبد العزيز[4] صاحب المزني والربيع[5] قال محمد بن الحسن: وكان من أجمل من رأته العيون، وكان يجيء معنا إلى محمد بن خطاب أحمد بن كليب، وكان من أهل الأدب البارع، والشعر الرائق، فاشتد كلفه بأسلم، وفارق صبره، وصرف فيه القول متسترا بذلك إلى أن فشت أشعاره فيه وجرت على الألسنة، وتنوشدت في المحافل فلعهدي بعرس في بعض الشوارع بقرطبة، والنكوري الزامر قاعد في وسط الحفل، وفي رأسه قلنسوة وشي وعليه ثوب خز عبيدي، وفرسه بالحلية المحلاة يمسكه غلامه، وكان فيما مضى يزمر لعبد الرحمن الناصر، وهو يزمر في البوق بقول أحمد بن كليب في أسلم: [من المتقارب]:

أسلمني في هواه [م] أسلم هذا الرشا
غزال له مقلة يصيب بها من يشا

---

(١) أنظر جذوة المقتبس: ١٣٤ (وبغية الملتمس رقم: ٤٦٢) ومعجم الأدباء ٤: ١٠٨ د. إحسان.

(٢) هو أستاذ ابن حزم في الفلسفة، راجع مقدمة كتاب التشبيهات من تحقيقي. د. إحسان.

(٣) محمد بن خطاب النحوي (٩٣٨) كان من الأدباء المشهورين والنحاة المذكورين، يختلف إليه في علم العربية أولاد الأكابر (الجذوة: ٥٠ وبغية الوعاة ١: ٩٩). د. إحسان.

(٤) ترجمة أسلم في الجذوة: ١٦٢ وبغية الملتمس رقم ٥٧٠. د. إحسان.

(٥) المزني هو إسماعيل بن يحيى (انظر طبقات الشيرازي. ٩٧) والربيع بن سليمان المرادي (المصدر نفسه: ٩٨). د. إحسان.

وشى بيننا حاسد سيسأل عما وشى
ولو شاء أن يرتشي على الوصل روحي ارتشى

ومغن محسن يسايره فيها، قال: فلما بلغ هذا المبلغ انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب، ولزم بيته والجلوس على بابه، فكان أحمد بن كليب لا شغل له إلا المرور على باب دار أسلم سائرا، ومقبلا نهاره كله، فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهارا، فإذا صلى المغرب واختلط الظلام خرج مستروحا وجلس على باب داره، فعيل صبر أحمد بن كليب، فتحيل في بعض الليالي ولبس جبة من جباب أهل البادية واعتم بمثل عمائمهم، وأخذ بإحدى يديه دجاجا، وبالأخرى قفصا فيه بيض، وتحين جلوس أسلم عند اختلاط الظلام على بابه، فتقدم إليه وقبل يده، وقال يأمر مولاي بأخذ هذا، فقال له أسلم: ومن أنت؟ فقال: صاحبك في الضيعة الفلانية، وقد كان يعرف أسماء ضياعه وأصحابه فيها، فأمر أسلم بأخذ ذلك منه، ثم جعل أسلم يسأله عن الضيعة، فلما جاوبه أنكر الكلام وتأمله فعرفه فقال له: يا أخي! وهنا بلغت بنفسك، وإلى ها هنا تبعتني، أما كفاك انقطاعي عن مجالس الطلب، وعن الخروج جملة، وعن القعود على بابي نهارا، حتى قطعت عليّ جميع مالي فيه راحة، فقد صرت من سجنك[1] والله، لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلي ولا قعدت ليلا ولا نهارا على بابي، ثم قام وانصرف أحمد بن كليب كئيبا حزينا. قال محمد بن الحسن: واتصل ذلك بنا فقلنا لأحمد بن كليب وخسرت دجاجك وبيضك؟ فقال: هات كل ليلة قبلة يده وأخسر أضعاف ذلك. قال: فلما يئس من رؤيته ألبتة نهكته العلة، وأضجعه المرض. قال محمد بن الحسن: فأخبرني أبو عبد الله محمد بن خطاب شيخنا، قال: فعدته فوجدته بأسوأ حال، فقلت له: ولم لا تتداوى؟ فقال: دوائي معروف، وأما الأطباء فلا حيلة لهم فيّ ألبتة، فقلت له: وما دواؤك؟ فقال: نظرة من أسلم فلو سعيت في أن يزورني لأعظم الله أجرك بذلك، وكان هو والله أيضا يؤجر،

(١) ياقوت: في سجنك.

قال: فرحمته وتقطعت نفسي له، ونهضت إلى أسلم فاستأذنت عليه، فأذن لي وتلقاني بما يجب، فقلت له: لي حاجة، قال: وما هي؟ قلت: قد علمت ما جمعك مع أحمد بن كليب من ذمام الطلب عندي، فقال: نعم، ولكن قد تعلم أنه برح بي، وشهر اسمي وآذاني، فقلت له: كل ذلك يغتفر في مثل الحال التي هو فيها، والرجل يموت، فتفضل بعيادته، فقال والله ما أقدر على ذلك فلا تكلفني هذا، فقلت له: لا بد، فليس عليك في ذلك شيء، وإنما هي عيادة مريض. قال: ولم أزل حتى أجاب، فقلت: فقم الآن، فقال لي: لست والله أفعل، ولكن غدا، فقلت له: ولا خلف، قال: نعم. فانصرفت إلى أحمد بن كليب، وأخبرته بموعده بعد تأبيه، فسر بذلك وارتاحت نفسه. قال: فلما كان الغد بكرت إلى أسلم وقلت له: الوعد، قال: فوجم وقال: والله لقد تحملني على خطة صعبة عليّ، وما أدري كيف أطيق ذلك قال: فلما أتينا منزل أحمد بن كليب، وكان يسكن في آخر درب طويل، وتوسط الدرب، وقف واحمر وخجل، وقال لي: الساعة والله أموت، وما أستطيع أن أنقل قدمي، ولا أن أعرض هذا على نفسي، فقلت: لا تفعل، بعد أن بلغت المنزل تنصرف؟ قال: لا سبيل والله إلى ذلك ألبتة، قال: ورجع مسرعا فاتبعته، وأخذت بردائه، فتمادى وتمزق الرداء، وبقيت قطعة منه في يدي لسرعته وإمساكي له، ومضى ولم أدركه، فرجعت ودخلت إلى أحمد بن كليب، وقد كان غلامه دخل عليه إذ رآنا من أول الدرب مبشرا، فلما رآني تغير وقال: وأين أبو الحسن؟ فأخبرته بالقصة، فاستحال من وقته واختلط وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثر من الترجع، فاستشنعت الحال، وجعلت أترجع وقمت، فثاب إليه ذهنه وقال لي: أبا عبد الله! قلت: نعم. قال: اسمع مني واحفظ عني ثم أنشأ يقول: [مخلع البسيط]

أسلم يا راحة العليل ... رفقا على الهائم النحيل
وصلك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل

قال: فقلت له: اتق الله ما هذه العظيمة؟ فقال لي: قد كان، قال:

فخرجت عنه، فوالله ما توسطت الدرب حتى سمعت الصراخ عليه، وقد فارق الدنيا.

قال لنا أبو محمد علي بن أحمد: وهذه قصة مشهورة عندنا، ومحمد بن الحسن ثقة ومحمد بن خطاب ثقة. وأسلم هذا من بيت جليل، وهو صاحب الكتاب المشهور في أغاني زرياب، وكان شاعرا أديبا، وقد رأيت ابنه أبا الجعد.

قال أبو محمد: لقد ذكرت هذه الحكاية لأبي عبد الله محمد بن سعيد الخولاني الكاتب فعرفها، وقال لي: لقد أخبرني الثقة أنه رأى أسلم هذا في يوم شديد المطر، لا يكاد أحد يمشي في طريق، وهو قاعد على قبر أحمد بن كليب زائرا له، وقد تحين غفلة في مثل ذلك الوقت.

وقال لنا أبو محمد: وحدثني أبو محمد قاسم بن محمد القرشي، قال: كتب ابن كليب إلى محمد بن خطاب شعرا يتغزل فيه بأسلم فعرضه ابن خطاب على أسلم، فقال: هذا ملحون، وكان ابن كليب قد أسقط التنوين في لفظة في بيت من الشعر، قال: فكتب ابن خطاب بذلك إلى ابن كليب فكتب إليه ابن كليب مسرعا: [من السريع]

ألحق لي التنوين في مطمع   فإنني أنسيت إلحاقه
لا سيما إذ كان في وصل من   كدر لي في الحب أخلاقه

وأنشدني أبو محمد علي بن أحمد، قال: أنشدني محمد بن عبد الرحمن ابن أحمد التجيبي لأحمد بن كليب، وقد أهدى إلى أسلم في أوائل أمره كتاب الفصيح لثعلب: [من المجتث]

هذا كتاب الفصيح   بكل لفظ مليح
وهبته لك طوعا   كما وهبتك روحي[1]

---

(١) رسائل ابن حزم ٣١٥ ـ ٣١٩.

التعليق على النص

* أسلم الجد: هو أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله ابن الحسن بن عبد الله بن الحسن بن الجعد بن أسلم بن أبان بن عمرو مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه.
يكنى أبا الجعد.
هكذا ساق نسبه ابن الفرضي، وصوبه الحميدي.
وكان الحميدي ذكر نسبا آخر، ليس فيه خالد، وذكر له جدا آخر هو الجعد بن أبان جد الجعد بن أسلم وورد في الإحاطة: هشام - بدل هاشم -.
وحسين - بدل حسن.
وجعفر - بدل جعد.
ولعله تصحيف في الأصل، أو خطأ من المحقق عنان، فهو لم يحل إلى مصادر ترجمته بالهامش.
وورد حسن باسم حسان في ترجمة ابن الفرضي لحفيده.
وأسلم من أهل قرطبة، رحل سنة ٢٦٠ هـ في طلب الحديث، وأخذ عن علماء مصر والقيروان وغيرهما، وحج، وولي قضاء قرطبة سنة ٣٠٠، واستعفى من القضاء سنة ٣٠٩، وأعيد سنة ٣١٢، فكف بصره، فعزل سنة ٣١٤ هـ.
ومات سنة ٣١٩ لسبع بقين من رجب.
قال ابن الفرضي: وهذا العام يسمى عام الأشراف لكثرة من مات فيه من الأشراف.
وهذا هو المتداول في ترجمته خلاف بعض ما ورد في ترجمة ابن الخطيب له، فإنه قال:
من أهل شرق الأندلس أصلهم من لوشة فتية غرناطة.
وإلى جدهم ينسب جبل أبي خالد المطل عليها.
وقال: ولاه قضاء الجماعة بغرناطة للناصر لدين الله أول ولايته وسط

سنة ٣٠٠ إلى أن استعفى سنة ٣٠٩ ثم أعاده . ا هـ .

وقال: إن مولده سنة ٢٣١ هـ .

وقال: إنه من خيار أهل البيرة، شريف البيت، كريم الأسرة، من كبار أهل العلم وكانت به دعابة، لم ينسب إليه قط ـ بسببها ـ خزية في دين ولا زلة. ا هـ .

وصفوه بأنه شديد في الحق، محمود السيرة.

وقال الحميدي: كان يميل إلى مذهب الشافعي .

وقال ابن فرحون: إنه رحل للمشرق سنة ٢٠٢ هـ.

قال أبو عبد الرحمن: وهذا وهم يخالفه قوله:

إنه توفي سنة ٣١٩ هـ وهو في عشر التسعين[1].

* أسلم الحفيد: هو أسلم بن أحمد بن سعيد بن أسلم الآنف الذكر.

وهو قرطبي يكنى أبا عبد الله .

توفي ليلة السبت لتسع بقين من ذي الحجة سنة ٣٩٥ هـ .

قال الحميدي: له أدب وشعر وله كتاب معروف في أغاني زرياب .

قال داود الأنطاكي: هو ابن سعيد بن خلف [؟] كان جده وزير السلطان الناصر، ولي أسلم القضاء بالأندلس بعدما كان حاجبا، وله يد في الأدب وديوان شعر معروف. ترجمته في الإحاطة. معروف بالرئاسة والفضل والعراقة، فعشقه [أي ابن كليب] من مجلس ابن خطاب. ا هـ .

قال أبو عبد الرحمن: هذا خلط بين أسلم بن عبد العزيز، وهاشم بن عبد العزيز، وأسلم بن أحمد[2].

---

(١) ترجم له ابن الفرضي ١/١٠٦ .. والحميدي ص ١٦٣ .. وابن الخطيب في الإحاطة ١/٤٢٧ ـ ٤٣٠ .. والنباهي في المرقبة ص ٦٣ .. والضبي في البغية ص ٢٢٥ .. وابن فرحون في الديباج ص ٩٩ .. والزركلي في الأعلام ١/٢٩٨ وذكر أن تاريخ وفاته سنة ٣١٧. وعزا ابن الخطيب ترجمته إلى ابن حارث، وإلى القاضي عياض ولم نجدها في ترتيب المدارك.

(٢) ترجمته في تاريخ ابن الفرضي، والجذوة، ومعجم الأدباء، وتاريخ ابن تغري بردي، وتزيين الأسواق ص ١٦٣.

* ابن كليب: توفي سنة ٤٢٦.

قال داوود الأنطاكي: هو أحمد بن قزمان الشهير بابن كليب الكاتب كان أندلسيا شاعرا نحويا متفقها.

قرأ على محمد بن خطاب النحوي، واجتمع بالمزني، وبأبي عبد الله محمد بن الحسن، وغيرهما. ا هـ.

قال أبو عبد الرحمن: كم بين ابن كليب والمزني!؟.

وإنما خلط بين ابن كليب وأسلم بن عبد العزيز.

ترجم له الحميدي، والضبي، والسيوطي في البغية، وياقوت في معجم الأدباء وابن تغري بردي في النجوم، وابن كثير في البداية، وابن الجوزي في المنتظم، وابن مكتوم في التلخيص.

* كيف يموت ابن كليب في عشق أسلم مع أن المعشوق مات قبل عاشقه.

إن تأريخ وفاة ابن كليب بعام ٤٢٦ ينقل عن ابن الجوزي في المنتظم، وتابعه ابن كثير وابن تغري بردي.

وقد شكك ياقوت في ذلك، فقال:

ولا أدري من أين له هذه الوفاة؟[1].

قال أبو عبد الرحمن: أبو محمد أعرف بأهل الأندلس.

* هذا النص رواه ابن السراج. قال حدثني: محمد بن عبد الله الأندلسي وكتبه لي بخطه حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد الحافظ الأندلسي.. إلخ. فالراجح أن شيخ ابن السراج أبو محمد عبد الله بن محمد بن العربي أو أبو عبد الله محمد بن فتوح الأندلسي الحميدي فروى عنه باختصار اسمه ولعل العبارة مصحفة عن محمد أبو عبد الله.

وأبو محمد جعفر بن السراج ولد ببغداد سنة ٤١٧ هـ ومات بها سنة ٥٠٠ فهو معاصر للحميدي زمانا ومكانا.

وفي نص ابن السراج اختلاف يسير عما هنا وتصحيف وقد جعل أسلم

---

(١) معجم الأدباء ٢/٥١٩.

من بني خلف، وشهرتهم إنما هي ببني خالد. وهذا سبب تصحيف الأنطاكي إذ قال:

أسلم بن سعيد بن خلف![1].

وقال ابن أبي حجلة في ديوان الصبابة:

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ علاء الدين أبو عبد الله مغلطاي بسنده عن المذحجي. ثم أورد القصة بسياق ابن السراج، ولكن ببعض الاختصار[2].

* قال الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم عن هذا البيت:

أسلمني في هواه (م) أسلم هذا الرشا

كذا رواه المؤلف - يعني القفطي - وحينئذ يكون البيت قد دخله الثرم وهو حذف الحرف الأول والخامس من «فعولن».

ومن مصارع العشاق: «أيسلمني». اهـ[3].

* نقل ابن كثير هذا النص عن المنتظم لابن الجوزي وقال عن ابن كليب:

هذا المسكين المغتر!.

وقال بعد نهاية القصة:

وهذه زلة شنعاء، وعظيمة صلعاء، وداهية دهياء ولولا أن هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتها، ولكن فيها عبرة لأولي الألباب، وتنبيه لذوي البصائر والعقول: ان يسألوا الله رحمته وعافيته، وأن يستعيذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات. إنه كريم جواد[4].

---

(١) أنظر مصارع العشاق ١/٢٩٧ - ٣٠٠.

(٢) وأورد القصة بدون إسناد داود الأنطاكي في تزيين الأسواق راجع ص ١٦٣ والهامش ص ٢٤٧ - ٢٥٠ وهو ديوان الصبابة.

(٣) راجع إنباه الرواة ١/٩٦ مع الحاشية.

(٤) البداية والنهاية ١٢/٣٨.

وقد عاب أبو طالب عقيل بن عطية أبا عبد الله الحميدي في إيراده لهذه القصة، قال أبو عبد الرحمن: ولقد أحسن ابن حزم والحميدي في إيراد هذه القصة لتكون عبرة ومثالا حيا للضعف البشري وضرورة الاعتصام بالله.

* قلنسوة وشي أي منقوشة والوشي نقش الثياب والقلنسوة تلبس على الرأس.
إذا ضممت القاف كسرت السين، وقلبت الواو ياء هكذا (قلنسية).
وإذا فتحت القاف ضمت السين ـ مع بقاء الواو ـ هكذا (قلنسوة).

* أبو عبد الله محمد بن سعيد الكاتب الخولاني لم أجد له ترجمة.

* قاسم بن محمد القرشي:
قال عنه الحميدي: المرواني المعروف بالشبانسي شاعر أديب في الدولة العامرية.
روى عن وليد بن محمد الكاتب، وابن شبلاق، وغيرهما حكايات، وأشعارا وكان في نفسه جليلا.
وكان قد قرف، وشهد عليه عند القضاة بما يوجب القتل، فسجن.
وذكر الحميدي بعض أبيات له من قصيدة يستعطف بها المنصور، وأنه رق له وأطلقه[1].
ولم يزد الضبي في البغية على ما أورده الحميدي.
وقال ابن بشكوال: من أهل المعرفة بالآداب، طلق اللسان حسن البيان.
توفي ـ رحمه الله ـ منتصف صفر من سنة ٤٣٠ هـ، ودفن بمقبرة الربض عن سن عالية ٨٦ سنة مكملة.
ذكره ابن حيان[2].

---

(١) الجذوة ص ٣١٠ ـ ٣١١.
(٢) الصلة ط/٤٤٥.

وذكر أبو محمد نسبه هكذا: القاسم بن محمد بن إسماعيل بن هشام ابن محمد بن هشام بن الوليد بن هشام الأمير الرضي[1].

قال الدكتور حسين مؤنس عن معاوية بن محمد بن هشام بن الوليد يعرف بابن الشبانسية، والشبانسي وسماه ابن الأبار: الشبينسي.

وقد ذهب سانشيت ألبورنوث إلى أن الشبانسي معرب عن سايتتيا بمعنى العلم.

وقال مؤنس: إن هذا الربط مفتعل، وإنما هو نسبة إلى موضع يسمى شبانس[2].

* التجيبي: في الجذوة: محمد بن عبد الرحمن بدون التجيبي. وذكر له أبياتا في مدح فقيه ولم يسندها[3].

وفي البغية سماه محمد بن عبد الرحمن بن أحمد التجيبي، وكناه أبا عبد الله، وأسند شعره إلى أبي محمد بن حزم.

وكذلك عزا هذا الإسناد ابن بشكوال وقال: ذكره الحميدي، وقال فيه أديب شاعر. أنشدني أبو محمد قال أنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي[4].

وكل هذا: ليس في نسخة الجذوة المطبوعة.

فلعله إحالة إلى غير الجذوة، أو لعل النسخة ناقصة أعني المطبوعة.

وربما كان ابن بشكوال تابعا للضبي، فهما متعاصران وإن كان ابن بشكوال أقدم وفاة باثنتي عشرة سنة.

ولكن يدفع هذا الاحتمال ثلاثة أمور:

أولها: أن ابن بشكوال نص على مراجعة في مقدمة الصلة، فذكر تاريخ الحميدي، ولم يذكر البغية.

---

(١) الجمهرة ص ١٦.

(٢) الحلة السيراء ١/٤٠ متناً وحاشية.

(٣) الجذوة ص ٨٩.

(٤) البغية ص ٨٩ والصلة ٢/٤٩٨.

وثانيها: يحتمل أن عند ابن بشكوال نسختين من الجذوة إحداهما كاملة لأنه رواها بطريقين.

وثالثها: ان ابن بشكوال حدد مصدره في هذه الترجمة باثنين ، وهما: ابن حيان، والحميدي.

وقال ابن بشكوال في التعريف به:

محمد بن عبد الرحمن بن أحمد التجيبي. يعرف بابن حويبل.

من أهل قرطبة. يكنى أبا عبد الله.

له حظ من الفقه، وعقد الشروط، ونصيب من الأدب والمعرفة مع حسن خط، وفصاحة، ومعرفة بأخبار أهل بلده ورجالهم قوية.. إلى حلوة [؟!] وحكاية، وإجمال عشرة، ومروة، ومن حمل الوزارة إلى اسم الفقه.

توفي رحمه الله في غزة ذي الحجة سنة ٤٣٥ هـ.

ومولده سنة ٣٧١. ا هـ عن ابن حيان.

وأبوه أبو بكر: ترجم له الحميدي وابن بشكوال[1].

وبناء على ترجمتها لأبيه يكون نسبه هكذا:

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن قاسم بن سهل بن عبد الرحمن بن قاسم بن مروان بن خالد بن عبيد التجيبي.

* أبو السري عمار بن زياد: هذا صديق أبي محمد لم نجد له ترجمة، وقد وصفه بأنه: مولى المؤيد.

وقد عبر أبو محمد عن وثيق صلته به فقال:

إن أبا السري عمار بن زياد صديقنا أكثر من عذلي على نحو نحوته، وأعان عليّ بعض من لامني في ذلك الوجه أيضا. وكنت أظن أنه سيكون معي مخطئا كنت أو مصيبا، لوكيد صداقتي، وصحيح أخوتي به[2].

واعتبر أبو محمد هذا العذل خطبا شديدا، وعبئا ثقيلا!

---

(١) الجذوة ص ٢٥١ والصلة ٢٠٣/١.

(٢) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١٦١/١ - ١٦٢ج.

* نتوقع أن قصة أسلم التي أوردها الحميدي منقولة من طوق الحمامة الأصل، وأن الناسخ أسقط القصة التي بطريق المذحجي.

ونحن نعرف أن جمهرة نقل الحميدي عن ابن حزم بصيغة قال لي، أخبرنا.. الخ، من كتب ابن حزم بطريق الإجازة.

* ناسخ الطوق ومختصره أسقط اسم أسلم الحفيد، وجعل القصة لأسلم ابن عبد العزيز! وهو اختصار أعمى، وتصرف شنيع!.

ولعل داود الانطاكي، وياقوتا الرومي، وغيرهما اطلعوا على هذه النسخة المختصرة من الطوق، فخلطوا بين الحفيد والجد!.

* رواية أبي السري تخالف رواية المذحجي في القول بأن أسلم يعلم بعشق ابن كليب قبل وفاته.

هذا على أساس أن ابن قزمان هو ابن كليب كما قال داود الأنطاكي.

ويحتمل أن يكون ابن قزمان عاشقا آخر لأسلم، فتكون القصة ثانية.

وربما كان ابن قزمان هو عيسى بن عبد الملك بن قزمان الكاتب.

* المذحجي هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين الكتاني.

طبيب حكيم منطقي متكلم مشارك في الأدب والشعر.

قال أبو محمد عن كتبه في الفلسفة:

وأما رسائل أستاذنا محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فمشهورة متداولة، وتامة الحسن، قائمة الجودة، عظيمة متداولة. ا هـ[1].

وأثنى عليه في رسالته الأصول والفروع.

وقد أورد صاعد اسم أبيه محرفا هكذا: محمد بن الحسين.

فتبعه ابن أبي أصيبعة في هذا التصحيف.

والتبس الأمر على الصفدي وكحالة، فأوردا ترجمتين في موضعين لشخص واحد!.

وجميع مصادر ترجمته عالة على ثلاثة مصادر، وهي :

جذوة المقتبس، وطبقات الأمم، والتكملة.

ولم يحدد مترجموه تاريخ مولده ووفاته، ولكنهم ذكروا ذلك بالتقريب،

---

(١) الجذوة ص ٢٢٥ - ٢٢٦ عن رسالة فضل الأندلس.

فقال الحميدي: عاش بعد الأربع مئة بمدة.

وقال صاعد: توفي قريبا من سنة ٤٢٠ هـ وقد قارب ثمانين سنة.

وقال ابن الأبار: عاش بضعا وسبعين سنة.

وذكروا أنه من أهل قرطبة، خدم المنصور والمظفر، وانتقل في فتنة قرطبة إلى سرقسطة.

طبع كتابه التشبيهات، بتحقيق الدكتور إحسان عباس، وترجم له في مقدمة التحقيق.

وعلق الصفدي على قصيدته الدالية بأنها شعر نازل.

والكلمة التي نقلها ابن حزم عنه كما في ترجمة الكناني بالجذوة موجودة بكتاب ابن حزم مراتب العلوم.

قال أبو عبد الرحمن: رجحنا في أحد مباحثنا عن ابن حزم أن أبا محمد ألف رسالة البيان عن حقيقة الايمان قبيل سنة ٤٤٠.

وقد ذكر فيها محمد بن الحسن بهذه الصيغة:

وأورد عليّ صاحبنا أبو عبد الله محمد بن الحسن أكرمه الله من خبرك ما أبهجني. أهـ.

وهذا يعني أن ابن الحسن حي وقت كتابة الرسالة.

فإما أن يكون تقريب صاعد لتاريخ وفاته غير دقيق.

وإما أن يكون ابن الحسن هذا غير الكتاني.

وربما كان المقصود محمد بن الحسن بن عبد الرحمن الرازي شيخ ابن حزم مات بعد ٤٥٠.

إلا أن كنيته أبو بكر فلعل له كنيتين.

* ابن خطاب: هو أبو عبد الله محمد بن خطاب الأزدي[1].

---

(١) ص ٥٠ ترجم له الحميدي في الجذوة ص ٤٥ ـ ٤٦. والضبي في البغية ص ٥٧. وصاعد في الطبقات ص ١٢٥ ـ ١٢٦.. وابن أبي اصيبعة في العيون ج٢ ص ٤٩١ ـ ٤٩٢. والصفدي في الوافي ج٢ ص ٤٩١ ـ ٤٩٢ وج٣ ص ١٦ ـ ١٧.. والقفطي في المحمدون ص ٢١٠.. وياقوت في معجم الأدباء ج٦ ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣.. وابن سعيد في المغرب ج١ ص ٢١١، وأحال الدكتور شوقي ـ محقق المغرب ـ إلى طبقات الأطباء لابن جلجل ١٠٩.. وإنما ترجمة ابن جلجل لعمه أبي الوليد. وترجم له الزركلي في الأعلام ج٦ =

وذكر صاعد أن أستاذه عمه: محمد بن الحسين.
قال أبو عبد الرحمن: على هذا لا يكون أبوه أبا عمه!.
وإنما يكون أبوه الحسن بن الحسين.
وهذا ما لفت إليه الزركلي.
إلا أن طبقات صاعد طبعت طبعتين تشتركان في التصحيف الكثير وهذا يدل على أن نسخة الأصل محرفة وقد اطلعت على صورة منها فكانت كذلك. ولعل الدكتور إحسان عباس لم يطلع على ترجمة القفطي له إذ قال لا نعرف متى توفي[1].
وقد حدد القفطي تاريخ وفاته سنة ٣٩٨.

١٢٠ ـ قال أبو محمد:

ألفت في أيام صباي ألفة المحبة جارية نشأت في دارنا وكانت في دارنا وكانت في ذلك الوقت بنت ستة عشر عاما، وكانت غاية في حسن وجهها وعقلها وعفافها وطهارتها وخفرها ودماثتها، عديمة الهزل، منيعة البذل، بديعة البشر، مسبلة الستر، فقيدة الذام، قليلة الكلام، مغضوضة البصر، شديدة الحذر، نقية من العيوب، دائمة القطوب [حلوة الإعراض مطبوعة الانقباض مليحة الصدود رزينة القعود][2].

كثيرة الوقار، مستلذة النفار، لا توجه الأراجي نحوها، ولا تقف المطامع عليها، ولا معرس للأمل لديها، فوجهها جالب كل القلوب، وحالها طارد من أمها. تزدان في المنع والبخل ما لا يزدان غيرها بالسماحة والبذل، موقوفة على الجد في أمرها غير راغبة في اللهو، على أنها كانت

= ص ٣١٣. وكحالة في معجم المؤلفين ج٩ ص ١٨٧ ـ ١٨٨ وص ٢٥١، وابن الأبار في التكملة ١/٣٨٣، والقفطي في الإنباه ٣/١٢٤ والضبي في البغية ص ٦٤ والسيوطي في بغية الوعاة وترجم له ابن مكتوم في التخليص وابن ماكولا في الإكمال.

(١) فهرس الشعراء بآخر كتاب التشبيهات للكتاني وهناك إحالة إلى شعر ابن خطاب الذي أورده الكتاني.

(٢) ما بين القوسين لم يرد في طبعة الدكتور إحسان عباس لطوق الحمامة. وفي تجارية وحسينية وتوفيقية: العقود.

تحسن العود إحسانا جيدا، فجنحت إليها وأحببتها حبا مفرطا شديدا، فسعيت عامين أو نحوهما أن تجيبني بكلمة وأسمع من فيها لفظة، غير ما يقع في الحديث الظاهر إلى كل سامع، بأبلغ السعي فما وصلت من ذلك إلى شيء ألبتة.

فلعهدي بمصطنع[1] كان في دارنا لبعض ما يصطنع له في دور الرؤساء تجمعت فيه دخلتنا[2] ودخلة أخي، رحمه الله، من النساء ونساء فتياتنا ومن لاث بنا من خدمنا، ممن يخف موضعه ويلطف محله. فلبثن صدرا من النهار ثم تنقلن إلى قصبة[3] كانت في دارنا مشرفة على بستان الدار ويطلع منها على جميع قرطبة وفحوصها، مفتحة الأبواب، فصرن ينظرن من خلال الشراجيب[4] وأنا بينهن، فإني لأذكر أني كنت أقصد نحو الباب الذي هي فيه أنسا بقربها متعرضا للدنو منها، فما هو إلا أن تراني في جوارها فتترك ذلك الباب وتقصد غيره في لطف الحركة[5] فأتعمد أنا القصد إلى الباب الذي صارت إليه فتعود إلى مثل ذلك الفعل من الزوال

---

(١) المصطنع: الوليمة أو الحفل. د. إحسان.

قال أبو عبد الرحمن: لعله مكان صنع واتخذ لما جرت به العادة في بيوت الرؤساء لاستقبال الضيوف.

(٢) دخلتنا: بطانتنا ومجالسونا. تجوز بالدال المثلثة. ابن عقيل.

(٣) في توفيقية وحسيبية: قصة.

وقد فسراها بالشرفة!

قال أبو عبد الرحمن: ليس هذا في اللغة. أما القصبة لغة فهي جوف القصر وتطلق على الفرجة التي يطلع منها ولا يطلع على من فيها، وهي المسماة في عامية نجد (طرمة) مأخوذة من الطارمة، وهي فارسية بمعنى بيت من خشب كالقبة.

قال أبو عبد الرحمن: إن المراد هنا بيقين بناء في القصر مرتفع كالقصبة بدليل السياق لا سيما قوله: مفتحة الأبواب.

(٤) الشراجيب: الشبابيك أو الطاقات، ويكون الشباك مشرجبا إذا كان من خشب مهيئة مربعات، ومن أمثالهم العامية زادف المشرجب بيت. ويشير المعتمد في شعر (الحلة ٢: ١٣٣) إلى قصر الشراجيب. (انظر الأمثال العامية ٢: ٢٣٠ وتعليقات المحقق على المثل رقم ١٠١٠)د. إحسان قال أبو عبد الرحمن: لعل الأصل في ذلك أن هذه الشبابيك تصنع من أغصان شجر الشرجب.

(٥) هكذا في جميع طبقات الطوق.

قال أبو عبد الرحمن: لا دلالة لأن في الحركة لا في السياق ولا في الذهن.

إلى غيره، وكانت قد علمت كلفي بها ولم يشعر سائر النسوان بما نحن فيه، لأنهن كن عددا كثيرا، وإذ[1] كلهن يتنقلن من باب إلى باب لسبب الاطلاع من بعض الأبواب على جهات لا يطلع من غيرها عليها، وأعلم أن قيافة النساء فيمن يميل إليهن أنفذ من قيافة مدلج[2] في الآثار، ثم نزلن إلى البستان فرغب عجائزنا[3] وكرائمنا إلى سيدتها في سماع غنائها، فأمرتها فأخذت العود وسوته بخفر وخجل لا عهد لي بمثله، وإن الشيء يتضاعف حسنه في عين مستحسنة، ثم اندفعت تغني بأبيات العباس بن الأحنف، حيث يقول[4]: [من البسيط]

إني طربت إلى شمس إذا غربت كانت مغاربها جوف المقاصير[5]
شمس ممثلة في خلق جارية كأن أعطافها طي الطوامير[6]
ليست من الإنس إلا في مناسبة ولا من الجن إلا في التصاوير
فالوجه جوهرة، والجسم عبهرة والريح عنبرة، والكل من نور[7]

---

(١) في معارف: وإذا. قال أبو عبد الرحمن: الجملة تعليلية فاقتضت إذ ـ بدون ألف المد.

(٢) مدلج رجل من كنانة كان مشهوراً بالقيافة: أي قص الأثر د. إحسان قال أبو عبد الرحمن: أرجح الظن عندي أن كلمة (بني) ساقطة من الأصل، لأن القيافة لبني مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة.

(٣) يذهب د. أحمد الطاهر مكي إلى أن العجوز تطلق على أي امرأة متزوجة مهما كانت شابة بناء على لهجة أهل الأندلس.
قال أبو عبد الرحمن: لا يحمل كلام ابن حزم على عامية أهل بلده إلا إذا صرح بالتعبير عن مراد العامة.

(٤) انظر ديوان العباس بن الأحنف: ١١٣ د. إحسان.

(٥) رواية ديوان العباس بن الأحنف بتحقيق الدكتورة عاتكة الخزرجي هكذا:
إني طربت إلى شمس إذا طلعت كانت مشارقها جوف المقاصير
قال أبو عبد الرحمن: هذا هو المعنى الصحيح في عرف الناقد، لأن شمس العباس محبوبته فوز، فهي شمس تضيء دياجي القصر وقت الغروب. ولم يكن طوق الحمامة من مراجع الدكتورة عاتكة في تخريجها، ولو كان من مراجعها لما اختارت غير رواية ابن حزم، فهي الشاعرة الناقدة البصيرة.

(٦) رواية الديوان: كأنما كشحها.

(٧) رواية الديوان في الطبعة التي اطلع عليها الدكتور إحسان: فالجسم من لؤلؤ. ورواية ـ

كـأنها حين تخـطو في مجاسـدهـا   تخطو على البيض أو حد القوارير[١]

فلعمري لكأن المضراب إنما يقع على قلبي، وما نسيت ذلك اليوم ولا أنساه إلى يوم مفارقتي الدنيا، وهذا أكثر ما وصلت إليه من التمكن من رؤيتها وسماع كلامها، وفي ذلك أقول: [من الخفيف]

لا تلمهـا على النفـار ومنـع (م)   الـوصـل مـا ذاكـم لهـا بنكـير[٢]
هـل يكـون الهـلال غير بعيـد   أو يكـون الغـزال غـير نفـور

وأقول : [من الوافر]

منعت جمـال وجهـك مقلتيـا   ولفـظك قـد ضننت بـه عليـا
أراك نـذرت للرحمن صـومـا   فـلست تـكلمـين اليـوم حيـا
وقـد غنيـت للعبـاس شعـرا   هـنيئـاً ذا لـعبـاس هـنيـا
فلو يلقـاك عبـاس لأضحـى   لفـوز قـاليـا وبكم شجيـا[٣]

ثم انتقل أبي رحمه الله من دورنا المحدثة بالجانب الشرقي من قرطبة في ربض الزاهرة إلى دورنا القديمة في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط مغيث في اليوم الثالث من قيام أمير المؤمنين محمد المهدي بالخلافة. وانتقلت أنا بانتقاله، وذلك في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاث مئة، ولم تنتقل هي بانتقالنا لأمور أوجبت ذلك. ثم شغلنا بعد قيام أمير المؤمنين هشام المؤيد بالنكبات وباعتداء أرباب دولته، وامتحنا بالاعتقال

= الديوان الذي حققته د. عاتكة هكذا:

فالجسم لؤلؤة والشعر من ظلم   والنشر من مسكة والوجه من نور

(١) في الديوان:

كأنها حين تمشي في وصائفها   تخطو على البيض أو خضر القوارير

(٢) في توفيقية، والحياة، وتجارية، وحسينية، ومعارف: ما هذا لها بنكير. والمثبت هنا هو الذي يستقيم به الوزن.

(٣) في توفيقية والحياة وتجارية وحسينية: قانياً. قال أبو عبد الرحمن: لا معنى لذلك.

والترقيب والإغرام الفادح والاستتار، وأرزمت الفتنة وألقت باعها وعمت الناس وخصتنا، إلى أن توفي أبي الوزير رحمه الله ونحن في هذه الأحوال بعد العصر يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة عام اثنين وأربع مئة، واتصلت بنا تلك الحال بعده إلى أن كانت عندنا جنازة لبعض أهلنا فرأيتها وقد ارتفعت الواعية[1] قائمة في المأتم وسط النساء في جملة البواكي والنوادب، فلقد أثارت وجداً دفينا وحركت ساكنا، وذكرتني عهدا قديما، وحبا تليدا ودهرا ماضيا، وزمنا عافيا، وشهورا خوالي، وأخبارا توالي، ودهورا فواني، وأياما قد ذهبت، وآثارا قد دثرت، وجددت أحزاني، وهيجت بلابلي، على أني كنت في ذلك النهار مرزءاً مصابا من وجوه، وما كنت نسيت، ولكن زاد الشجى وتوقدت اللوعة وتأكد الحزن وتضاعف الأسف، واستجلب الوجد ما كان منه كامنا فلباه مجيبا، فقلت قطعة منها: [من الطويل]

يبكي لميت مات وهو مكرم ... وللحي أولى بالدموع الذوارف
فيا عجبا من آسف لامرىء ثوى ... وما هو للمقتول ظلما بآسف

ثم ضرب الدهر ضرباته وأجلينا عن منازلنا، وتغلب علينا جند البربر، فخرجت عن قرطبة أول المحرم سنة أربع وأربع مئة، وغابت عن بصري بعد تلك الرؤية الواحدة ستة أعوام وأكثر، ثم دخلت قرطبة في شوال سنة تسع وأربع مئة، فنزلت على بعض نسائنا فرأيتها هنالك، وما كدت أن أميزها حتى قيل لي هذه فلانة ـ وقد تغير أكثر محاسنها وذهبت نضارتها، وفنيت تلك البهجة وغاض ذلك الماء الذي كان يرى كالسيف الصقيل والمرآة الهندية، وذبل ذلك النوار الذي كان البصر يقصد نحوه منبهرا ويرتاد فيه متخيرا وينصرف عنه متحيرا، فلم يبق إلا البعض المنبىء عن الكل، والخبر المخبر عن الجميع، وذلك لقلة اهتبالها بنفسها وعدمها الصيانة التي كانت غذيت بها أيام دولتنا وامتداد ظلنا ولتبذلها في الخروج فيما لا بد لها منه مما كانت تصان وترفع عنه قبل ذلك، وإنما النساء رياحين

(١) الواعية: الصراخ على الميت.

متى لم تتعاهد نقصت، وبنية متى لم يهتبل بها استهدمت، ولذلك قال من قال: إن حسن الرجال أصدق صدقاً وأثبت أصلاً وأعتق جودة لصبره على ما لو لقي بعضه وجوه النساء لتغيرت أشد التغيُّر، مثل الهجير والسموم والرياح واختلاف الهواء وعدم الكن - وإني لو نلت منها أقل وصل وأنست لي بعض الأنس لخولطت طرباً أو لمت فرحاً، ولكن هذا النفار الذي صبرني وأسلاني. وهذا الوجه من أسباب السلو صاحبه في كلا الوجهين معذور وغير ملوم، إذ لم يقع تثبت يوجب الوفاء، ولا عهد يقتضي المحافظة، ولا سلف ذمام، ولا فرط تصادق يلام على تضيعه ونسيانه[1].

التعليق على النص

* هذه الفقرة أنموذج لنثر ابن حزم الفني لأنه تقصد فيها فنية النثر. يلتزم السجع دون إغراب في اللغة، ويلم برصيد من ألفاظ اللغة الفصيحة غير المبتذلة، ويكثر من المترادفات في الألفاظ والجمل.

* وهي أنموذج لترف ابن حزم في نشأته فبيته مليء بالجواري وفيهن الحسناوات بالصفات التي ذكرها عن أليفة صباه وفيهن من تحسن العود! ومنهن نساء فتيانه ومن لاث به من خدمه!.
لم يشعر النسوان بحب ابن حزم للجارية، لأنهن كن كثيرات!.

* قال بروكلمان عن أبي محمد: إنه أمضى فترة شبابه في مزارع والده.
قال أبو عبد الرحمن: لا نعرف شيئاً عن هذه المزارع، إلا أن كان المراد الدار التي ذكرها أبو محمد في هذه الفقرة.

* تشتمل هذه الفقرة على أحداث تاريخية نحب أن نمهد لها بهذه النبذة الموجزة:

---

(١) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/٢٤٩ - ٢٥٣ ج ومعارف ص ١٤٤ - ١٤٨ وتجارية ص ١١٢ وتوفيقية ص ١٢٩ - ١٣٣ وحسينية ص ١١٨ - ١٢٢ والحياة ص ١٧٦ - ١٨٠ وفاروق ص ٢٤٨ - ٢٥٢.

وزر المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر المعافري لهشام بن الحكم المؤيد بالله الخليفة الأموي بالأندلس، في ٣٦٦/٢/١٠ هـ .

وفي سنة ٣٦٨ هـ ، حجب الخليفة، واستبد بالأمر، فكان المؤيد خليفة بالاسـم، وخلفه ابنه عبد الملك بن محمد المظفر بالله.

وكان أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم ـ والد أبي محمد ـ وزيرا لهما.

وفي سنة ٣٦٨، بنى المنصور قصر الزاهرة على نهر قرطبة الأعظم.

وانتقل إليها سنة ٣٧٠ هـ .

قال الحميري في الروض المعطار:

إن المنصور أطلق بساحة الزاهرة الأرحاء، ثم أقطع وزراءه وكتابه وقواده وحجابه القطائع الواسعة، فابتنوا بأكنافها كبار الدور، واتصلت أرباضها بأرباض قرطبة. ا هـ.

ولقد انتقل أحمد بن حزم من داره القديمة كما ذكر أبـو محمد هنـا واستحدث دارا قرب الزاهرة بالجانب الشرقي في ربض منية المغيرة نسبة إلى المغيرة بن الحكم الربضي[1].

والمنية: تطلق على عدد من القرى الصغيرة في المشرق والمغرب، وقد ذكر الزبيدي عددا منهن[2].

قال أبو عبد الرحمن: في مستدرك الزبيدي:

امتنيت الشيء اختلقته. ا هـ .

فلعل هذا وجه الاشتقاق.

وبهذه المنية ولد أبو محمد قبل طلوع الشمس، وبعد سلام الإمام من صلاة الصبح آخر ليلة الاربعاء آخر يوم من شهر رمضان المعظم سنة ٣٨٤.

هكذا كتب أبو محمد إلى تلميذه القاضي صاعد بن أحمد.

وفي ليلة الجمعة ٣٩٩/٢/٤ مات المظفر.

(١) انظر الجمهرة ص ١٨.

(٢) تاج العروس ١٠/٣٥٠ ـ ٣٥١.

فخلفه أخوه عبد الرحمن شنجول، وكان خليعا سيىء التدبير، استصدر مرسوما يقضي بجعله وليا للعهد. ا هـ.

وهذا ما لم يفعله أبوه وأخوه.

وفي يوم الخميس ١٤/٥/٣٩٩ قام المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموي، فقتل شنجولاً، وخلع المؤيد.

وكان المهدي خليعا فاسقا متهتكا، ثار ضده سليمان بن حكم بن سليمان المستعين بالله بمساعدة البربر وكان النصارى يساعدون المهدي

وكانت ثورة سليمان في ٢٨/١٠/ ٣٩٩.

وفي ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ بويع بالخلافة.

وفي شوال سنة ٤٠٠ عاد المهدي بمساعدة النصارى وأشاع في الناس أن المؤيد قد مات وشهد له جماعة منهم أحمد بن حزم.

وفي يوم منى من ذي الحجة سنة ٤٠٠ ثار طائفة من الفتيان العامريين بزعامة الفتى واضح فقتلوا المهدي وأعادوا المؤيد للخلافة وحجبوه على عادة المنصور بن أبي عامر.

يبدو أن والد ابن حزم خلال خلافة المهدي كان مستقرا لم تصبه الفتنة ولم يفقد مركزه، فقد كان أحد الشهود للمهدي على وفاة المؤيد، وكان سفير المهدي إلى المستعين بالله.

وكان أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم - ابن عم أبي محمد - يلي الحكم للمهدي بالجانب الغربي.

وأكبر مصيبة لابن حزم - خلال هذه الفترة - أنه انتقل إلى دورهم القديمة، حيث سيهد المهدي الزاهرة، لحقده على بني عامر.

وفي عهد المؤيد وواضح أخذ سليمان المستعين بالله ورجاله ينهبون ويقتلون.

وكان المؤيد كما قال أبو محمد في نقط العروس:

لا يؤذي أحداً، ولا يمنع أحداً من أن يؤذي!.

وفي صدر شوال سنة ٤٠٣ دخل سليمان قرطبة عنوة ومعه البربر فاستباحوها وقتلوا أهلها.

واستمر سليمان خليفة حتى ثار عليه عامله علي بن حمود وقتله بيده يوم الأحد ٤٠١/١/٢٣ هـ .

* أبو محمد - كما يروي الحميدي عنه - سمع من ابن الجسور قبل الأربع مئة .

وابن الجسور مات بمنزله ببلاط مغيث سنة ٤٠١ .
وأبو محمد انتقل إلى دورهم ببلاط مغيث في جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ .
فالراجح أن أول سماعه من ابن الجسور بعيد جمادى الآخرة في العام المذكور .
ومن الراجح أن سماعه لا يتجاوز ٤٠٠/١٢/٨ هـ لأن آل حزم بعد هذا التاريخ امتحنوا بالاعتقال، والترقيب، والإغرام الفادح، والاستتار! .

* يكون أبو محمد انتقل للبيوت القديمة يوم الجمعة ٣٩٩/٦/٢٠هـ، وهو اليوم الثالث من قيام المهدي .
وهي بيوت هجرها والده منذ تسع وعشرين سنة تقريباً .

* عاش أبو محمد حياة راغدة منذ ولد إلى ٣٩٩/٦/٢٠ هـ وعاش فترة أخرى أقل سعادة إلى ٤٠٠/١٢/٨ هـ ثم توالت عليه المصائب، فصارت حياته بقرطبة جحيما .

* فقد أبو محمد بعض أهله فيما بين ٤٠٢/١١/٢٨هـ و٤٠٤/١/١هـ ولا ندري من هذا الفقيد؟ .
قال أبو عبد الرحمن: وجدت بآخر الإحكام مخطوطة مكتبة ابن يوسف بمراكش أن من مؤلفات أبي محمد المفقودة كتابا اسمه (تواريخ أعمامه وأبيه وأخيه وبني عمه وأخواته وبنيه وبناته مواليدهم وتاريخ موت من مات منهم في حياته) .
ولو وجد هذا الكتاب لكان فيه خير كثير .

* ألف الرجل الصالح طالب العلم حمود بن عبد الله التويجري كتيبا رماني فيه بالتعصب وسماه الرد الجميل على أخطاء ابن عقيل استنتج فيه من

هذه الفقرة شواهد تقدح في عدالة ابن حزم!.

وهي كالتالي:

١ - أنه طلب الدنو من الأجنبية، وطلب الوصال منها!.

٢ - استماعه لغنائها وضربها بالعود.

٣ - إطلاق بصره في النظر إلى المرأة الأجنبية.

٤ - حضوره عند النياحة وإقراره لها.

* قال أبو عبد الرحمن: لا ريب في حرمة النظر إلى الأجنبية، وحرمة الاستماع بشهوة جنسية إلى المرأة، وحرمة النياحة، ولكنني أشير إلى أمور:

أولها: أن حب أبي محمد لأليفة صباه كان قبل سنة ٣٩٩هـ ويكون علوقه بها قبل ذلك بسنتين.

أي وعمره ثلاث عشرة سنة.

وتفسيق عالم جليل - خلال هذه الفترة - من الفضول والتزمت البغيض.

وثانيها: أن حضوره للنياحة وعمره أقل من خمس عشرة وهي عادة في بيوت الكبراء، وربما كان أبو محمد يومها لا يعرف حرمتها. وربما كان لا يمكنه تغييرها.

على أن مذهبه - منذ كان عالما - تحريم النياحة.

وثالثها: أن تفسيق ابن حزم - بهذه الصبوة - قول لم يسبق إليه التويجري.

ورابعها: ان الغناء - عندنا - مباح لذاته، حرام لغيره ومن أداه اجتهاده إلى هذا فليس بفاسق.

وخامسها: أن أبا محمد - رغم صبوته - كان عفيفا وقد أقسم على ذلك كما سيأتي. وأليفة صباه - رحمها الله رحمة الأبرار - في منتهى العفة وهي لا تجيبه بغير ما يقع في الحديث الظاهر إلى كل سامع وحينما تحس بقربه تغادر مكانها في لطف حركة.

وسادسها: أن أبا محمد أحب والحب إذا كان غير إرادي لا محذور فيه.

وسابعها: أن نشأة أبي محمد المترفة جعلته في صباه يغرق في الحب والنظر وسماع الملاهي.
ولا حرج على صبي نشأ هذه النشأة.
ولكن عظمة ابن حزم أنه منذ حذق العلم نزع إلى الجد والجهاد والعبادة والحسبة رحمه الله.

* في هذه الفقرة شعر نظمه ابن حزم، وعمره في حدود خمس عشرة سنة.

* رأى أبو محمد أليفة صباه بين النوادب فيما بين وفاة أبيه في ٤٠٢/١١/٢٨ هـ و ٤٠٤/١/١ هـ.
أي خلال سنة واحدة من وفاة أبيه.
وكان قد رحل عنها وهي لا تزال في الدور الجديدة في ٩٩/٩/٢٠ فيكون فراقه لها خلال سنتين.
وذلك ما وصفه بالدهر الماضي، والزمن العافي، والشهور الخوالي، والدهور الفواني!.

* يكون عمرها رحمة الله عليها حينما رجع أبو محمد سنة ٤٠٩ هـ في حدود ست وعشرين سنة، أو ثمان وعشرين على أكثر احتمال.
وهذه فترة الميعة والعنفوان ولكنه لم يعرفها، لشدة البؤس الذي لاقته!
وعمر أبي محمد خمس وعشرون سنة.
فهي تكبره بثلاث سنين على أكثر تقدير.

* في هذا النص إشارة إلى أن أرباب دولة المؤيد اعتقلوا أحمد بن حزم، وغرموه.. إلخ.
ولعل هذا بسبب موالاته للمهدي، وشهادته على موت المؤيد.

* لا ندري هل سيدة البيت التي توسل إليها النساء هي أم أبي محمد، أم غيرها.

* حلت بأبي محمد كارثة أخرى، في عهد المستعين بالله، فأجلي عن منازله، وتسلط عليه جند البربر.
وهذا ما حدث للفتيان العامريين.

وأبو محمد محسوب على البيت العامري.

١٢١ ـ قال أبو محمد:

فإن كتابك وردني من مدينة المرية[١] إلى مسكني بحضرة شاطبة[٢]، تذكر من حسن حالك ما يسرني، وحمدت الله عز وجل عليه واستدمته لك، واستزدته فيك، ثم لم ألبث أن أطلع[٣] عليَّ شخصك وقصدتني بنفسك، على بعد الشقة وتنائي الديار وشحط المزار وطول المسافة وغول الطريق، وفي دون هذا ما سلا المشتاق، ونسي الذاكر، إلا من تمسك بحبل الوفاء مثلك، ورعى سالف الأذمة ووكيد المودات وحق النشأة ومحبة الصبا وكانت مودته لله تعالى. ولقد أثبت الله بيننا من ذلك ما نحن عليه حامدون وشاكرون.

وكانت معانيك[٤] في كتابك زائدة على ما عهدته من سائر كتبك، ثم كشفت إليَّ بإقبالك غرضك، وأطلعتني على مذهبك سجية لم تزل عليها من مشاركتك لي في حلوك ومرك، وسرك وجهرك، يحدوك الود الصحيح الذي أنا لك على أضعافه، لا أبتغي جزاء غير مقابلته بمثله، وفي ذلك أقول مخاطبا لعبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أمير المؤمنين الناصر[٥] رحمه الله في كلمة لي طويلة وكان لي صديقا: [من الطويل]

---

(١) المرية: بنيت عام ٣٤٤ وأصبحت أهم قاعدة للأسطول الأندلسي على البحر المتوسط. (انظر الروض: ١٨٣/٥٣٧ والترجمة: ٢٢١ والزهري: ١٠١، والعذري: ٨٦). إحسان.

(٢) شاطبة: تقع إلى الجنوب الغربي من بلنسية، وكانت في الأيام الإسلامية مدينة حصينة يعمل بها كاغد لا نظير له (الروض: ٣٣٧، والإدريسي (دوزي): ١٩٢ والعذري: ١٨ وآثار البلاد ٥٣٩). إحسان.

(٣) اطلع بمعنى طلع. إحسان.

(٤) قرأها بريشيه: مغازيك. إحسان.

(٥) المغيرة بن أمير المؤمنين الناصر قتل خنقاً صبيحة الليلة التي مات فيها أخوه الحكم المستنصر في مؤامرة شرحها ابن حيان (انظر الذخيرة لابن بسام ١/٤: ٥٨ط. بيروت) كي تكون البيعة مضمونة لأخيه الأصغر هشام المؤيد. ويقول ابن حزم في الجمهرة: ١٠٣ إن للمغيرة عقباً من قبل عبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة، وهذا هو صديقه الذي يذكره هنا في =

أودك ودا ليس فيه غضاضة ... وبعض مودات الرجال سراب
وأمحضك النصح الصريح وفي الحشا ... لودك نقش ظاهر وكتاب
فلو كان في روحي سواك اقتلعته ... ومزق بالكفين عنه إهاب
وما لي غير الود منك إرادة ... ولا في سواه لي إليك خطاب
إذا حزته فالأرض جمعاء والورى ... هباء وسكان البلاد ذباب[1]

التعليق على النص

* لم أجد لعبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة ذكرا في كتب التراجم، وأشار إليه أبو محمد في الجمهرة كما ذكر ذلك الدكتور إحسان عباس في تعليقه على هذا النص.

* لا أدري هل الترحم على الناصر أم على عبيد الله، فيكون صديقه عبيد الله مات قبل تأليف أبي محمد للطوق.
ومذهب أبي محمد عود الضمير لأقرب مذكور.

* لم أكشف عن هوية هذا الصديق الذي يخاطبه أبو محمد.

* في هذا النص إشارة إلى أن أبا محمد ألف طوق الحمامة وهو مقيم بمدينة شاطبة.

* هذه الفقرة أنموذج لنثر أبي محمد الفني.

* قال أبو محمد: (فإن كتابك وردني) فعدى الفعل مباشرة وتخريج ذلك بأن أبا محمد ضمن ورد معنى فعل متعد بنفسه كجاء مثلا.

= الطوق، وقوله رحمه الله يدل على أنه كان قد توفي قبل تأليف طوق الحمامة، ولكنه خلف عقبا كان ابن حزم يعرفهم أيضا. إحسان.

(١) يعارض ابن حزم هنا في هذه الأبيات ـ المتنبي وأبا فراس، وبيته هذا الأخير يذكر بقول أحدهما:

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

د. إحسان.

وهذا النص من طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/٨٤ ـ ٨٦ج من التحشيات.

١٢٢ ـ قال أبو محمد:

وأنا أخبرك عن أبي بكر أخي رحمه الله، وكان متزوجا بعاتكة بنت قند[١] صاحب الثغر الأعلى أيام المنصور أبي عامر محمد بن عامر، وكانت التي لا مرمى وراءها في جمالها وكريم خلالها، ولا تأتي الدنيا بمثلها في فضائلها، وكانا في حد الصبا وتمكن سلطانه تغضب كل واحد منهما الكلمة التي لا قدر لها، فكانا لم يزالا في تغاضب وتعاتب مدة ثمانية أعوام، وكانت قد شفها حبه وأضناها الوجد فيه وأنحلها شدة كلفها به، حتى صارت كالخيال المتوهم[٢] دنفا، لا يلهيها من الدنيا شيء، ولا تسر من أموالها على عرضها وتكاثرها بقليل ولا كثير إذ فاتها اتفاقه معها وسلامته لها، إلى أن توفي أخي رحمه الله في الطاعون الواقع بقرطبة في شهر ذي القعدة سنة إحدى وأربع مئة، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، فما انفكت منذ بان عنها من السقم الدخيل والمرض والذبول إلى أن ماتت بعده بعام في اليوم الذي أكمل هو فيه تحت الأرض عاما، ولقد أخبرتني عنها أمها وجميع جواريها أنها كانت تقول بعده: ما يقوّي صبري ويمسك رمقي في الدنيا ساعة واحدة بعد وفاته إلا سروري وتيقني أنه لا يضمه وامرأة مضجع أبدا، فقد أمنت هذا الذي ما كنت أتخوف غيره، وأعظم آمالي اليوم اللحاق به. ولم يكن قبلها ولا معها امرأة غيرها، وهي كذلك لم يكن لها غيره، فكان كما قدرت، غفر الله لها ورضي عنها[٣].

التعليق على النص

* لم نجد ذكرا لأبي بكر بن حزم أخي أبي محمد غير ما ورد مفرقا في طوق الحمامة.

---

(١) انظر ليفي بروفنسال:
وقند هذا هو الذي استرد مدينة سالم من أيام الناصر (سنة ٣٣٦/٩٤٧) ويقول بروفنسال في تعليقه: علينا ألا نخلط بين قند هذا وبين شخص آخر اسمه قند الأكبر وكان أيضاً مولى لعبد الرحمن الناصر. إحسان.

(٢) بتروف: المتوسم، وتابعه على ذلك آخرون. إحسان.

(٣) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/٢٥٩ ـ ٢٦٠ح مع التحشيات.

* نرجح: أنه لا إخوة لأبي محمد غير أبي بكر.
ونستأنس لذلك بأن لأبي محمد كتابا بعنوان تواريخ أعمامه وأبيه وأخيه.. الخ. فلو كان له إخوة لقال: إخوته.

* لم يذكر أبو محمد أمه في عنوان الكتاب الآنف الذكر فلعلها خاملة الذكر رحمة الله عليها.

* لم أجد ذكرا لعاتكة بنت قند، إلا أن أباها من موالي بني عامر.
وسيأتي أن المظفر بن أبي عامر زوج بنت عمه من عبد الملك بن قند ـ وهو مولاهم ـ فهجاه أحد الشعراء ببيتين.

* كثيرا ما يؤرخون للوفيات بطاعون قرطبة.
وقد أرخ له أبو محمد هنا بسنة ٤٠١ هـ.

* كون أحمد بن حزم يلقب بأبي عمر لا يعني أن له ولدا اسمه عمر فالطبري كنيته أبو جعفر، وابن تيمية كنيته أبو العباس وهما لم يتزوجا!.
وجمهرة من اسمه أحمد من الأندلسيين كنيته أبو عمر، ولم أعرف بعد سر هذه التكنية.

١٢٣ ـ قال أبو محمد:

ولقد أخبرني[1] بعض الوارد من قرطبة وقد استخبرته عنها أنه رأى دورنا ببلاط مغيث في الجانب الغربي منها وقد امحت رسومها، وطمست أعلامها، وخفيت معاهدها، وغيرها البلى وصارت صحارى مجدبة بعد العمران، وفيافي موحشة بعد الأنس، وخرائب منقطعة[2] بعد الحسن، وشعابا مفزعة بعد الأمن، ومأوى للذئاب، ومعازف للغيلان، وملاعب

---

(١) أورد لسان الدين ابن الخطيب بكاء ابن حزم لقرطبة نثراً وشعراً في أعمال الأعلام: ١٠٦ ـ ١٠٨ ولما كانت المقارنة بين النصين تدل على اختلافات وفوارق كثيرة، فإني سأثبت النص الوارد عند لسان الدين ملحقاً في آخر الرسالة (انظر الملحق ١ ومجلة الأندلس: ٣٦١ ـ ٣٦٣). إحسان.

(٢) قراءة برشيه: مقطعة، وفي أعمال الأعلام: مقطعة. إحسان.

للجان، ومكامن للوحوش، بعد رجال كالليوث[1] وخرائد كالدمى، تفيض لديهم النعم الفاشية تبدد شملهم فصاروا في البلاد أيادي سبا، فكأن تلك المحاريب المنمقة، والمقاصير المزينة، التي كانت تشرق إشراق الشمس، ويجلو الهموم حسن منظرها، حين شملها الخراب، وعمها الهدم، كأفواه السباع فاغرة، تؤذن بفناء الدنيا، وتريك عواقب أهلها، وتخبرك عما يصير إليه كل من تراه قائما فيها، وتزهد في طلبها بعد أن طالما زهدت في تركها، وتذكرت أيامي بها ولذاتي[2] وشهور صباي لديها، مع كواعب إلى مثلهن صبا الحليم، ومثلت لنفسي كونهن تحت الثرى وفي الآفاق[3] النائية والنواحي البعيدة، وقد فرقتهن يد الجلاء، ومزقتهن أكف النوى، وخيل إلى بصري فناء[4] تلك النصبة بعدما علمته من حسنها وغضارتها والمراتب المحكمة التي نشأت فيها[5] لديها، وخلاء تلك الأفنية بعد تضايقها بأهلها، وأوهمت[6] سمعي صوت الصدى والهام عليها، بعد حركة تلك الجماعات التي ربيت بينهم فيها، وكان ليلها تبعا لنهارها في انتشار ساكنها والتقاء عمارها، فعاد نهارها تبعا لليلها في الهدوء والاستيحاش، فأبكى عيني[7] وأوجع قلبي وقرع صفاة كبدي وزاد في بلاء لبي، فقلت شعرا منه[8] : [من الطويل]

لئن كان أظمانا فقد طالما سقى وان ساءنا فيها فقد طالما سرا

---

(١) أعمال الأعلام: بعد طول غنيانها برجال كالسيوف وفرسان كالليوث. إحسان.

(٢) أعمال الأعلام: وصبابة لذاتي بها. إحسان.

(٣) قرأها برشيه: الديار، وفي سائر الطبعات الأثار، وما أثبته فهو من أعمال الأعلام، وهو الصواب. إحسان.

(٤) في الطبعات (ما عدا برشيه): بقاء، وتتفق قراءة برشيه مع أعمال الأعلام.

(٥) هذه هي قراءة برشيه، وفي سائر الطبعات: فيها، والعبارة في الأعلام مختلفة عما هي هنا، إذ جاءت: والمرتبة الرفيعة التي رفلت في حللها ناشئاً فيها.

(٦) الأعمال: وأرعيت.

(٧) أعمال الأعلام: فأبكى ذلك عيني على جمودها، وهذا الاحتراس ضروري لما تقدم من وصف ابن حزم لنفسه بأنه جامد العين.

(٨) لم يرد هنا إلا بيت من عشرين بيتاً وردت في الأعلام، انظر الملحق. والنص من طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/٢٢٧ - ٢٢٨ع.

١٢٤ ـ قال ابن الخطيب:

ومن رثى قرطبة أيضا[١]، من وجوه أهلها وأرباب النعم المؤثلة بها، وأكثر التفجع على دياره منها، لما استولى الخراب عليها عند فرار البرابر عنها، الفقيه الأديب أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ابن وزير آل عامر الأكبر. فإني وجدت بخطه في خبر ذكره قال:

وقفت على أطلال منازلنا بحومة بلاط مغيث من الأرباض الغربية، ومنازل البرابر المستباحة عند معاودة قرطبة. فرأيتها قد محت رسومها، وطمست أعلامها، وخفيت معاهدها، وغيرها البلى، فصارت صحاري مجدبة بعد العمران، وفيافي موحشة بعد الأنس، وآكاما مشوهة بعد الحسن، ومغاني للغيلان، ومكامن للوحوش، ومخابىء للصوص، بعد غنيانها برجال كالسيوف، وفرسان كالليوث، تفيض لديهم النعم الفاشية، وتغص منهم بكثرة القطين الحاشية، وتكنس في مقاصيرهم ظباء الأنس الفاتنة، تحت زبرج من غضارة الدنيا تذكر نعيم الآخرة، حال الدهر عليهم بعد طول النضرة فبدد شملهم حتى صاروا في البلاد أيادي سبا، تنطق عنهم الموعظة، فكأن تلك المحاريب المنمقة، والمقاصير المرشقة، التي كانت في تلك الديار كبروق السماء إشراقا وبهجة، يقيد حسنها الأبصار، ويجلي منظرها الهموم، كأن لم تغن بالأمس، ولا حلتها سادة الأنس، قد عبث بها الخراب، وعمها الهدم، فأصبحت أوحش من أفواه السباع فاغرة، تؤذن بفناء الدنيا، وتريك عواقب أهلها، وتخبرك عما يصير إليه كل ما قد بقي ماثلا فيها، وتزهدك فيها.

وكررت النظر، ورددت البصر، وكدت أستطار حزنا عليها، وتذكرت أيام نشأتي فيها، وصبابة لداتي بها، مع كواعب غيد، إلى مثلهن يصبو الحليم، ومثلت لنفسي انطواءهن بالفناء، وكونهن تحت الثرى إثر تقطع جمعنا بالتفرق والجلاء في الآفاق النائية، والنواحي البعيدة، وصدقت نفسي عن تلك النصبة، وانصداع تلك البيضة، بعدما عهدته من حسنها

---

(١) انظر أعمال الأعلام (تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت: ١٠٦ ـ ١٠٨). إحسان.

ونضارتها وزبرجها وغضارتها، ونضوته بفراقها من الحال الحسنة، والمرتبة الرفيعة، التي رفلت في حللها ناشئا فيها، وأرعيت سمعي صوت الصدى والبوم زاقيا بها، بعد حركات تلك الجماعة المنصدعة بعرصاتها، التي كان ليلها تبعا لنهارها، في انتشارها بسكانها، والتقاء عمارها، فعاد نهارها تبعا لليلها في الهدوء والاستيحاش، والخفوت والإخفاش. فأبكى ذلك عيني على جمودها، وقرع كبدي على صلابتها، وهاج بلابلي على تكاثرها، وحركني للقول على نبو طبعي، فقلت: [من الطويل]

سلام على دار رحلنا وغودرت ... خلاء من الأهلين موحشة قفرا

تراها كأن لم تغن بالأمس بلقعا ... ولا عمرت من أهلها قبلنا دهرا

فيا دار لم يقفرك منا اختيارنا ... ولو أننا نسطيع كنت لنا قبرا

ولكن أقدارا من الله أنفذت ... تدمرنا طوعا لما حل أو قهرا

ويا خير دار قد تركت حميدة ... سقتك الغوادي ما أجل وما أسرى

ويا مجتلى تلك البساتين حفها ... رياض قوارير غدت بعدنا غبرا

ويا دهر بلغ ساكنيها تحيتي ... ولو سكنوا المروين[1] أو جاوزوا النهرا[2]

فصبرا لسطو الدهر فيهم وحكمة ... وإن كان طعم الصبر مستثقلا مرا

لئن كان أظمانا فقد طال ما سقى ... وإن ساءنا فيها فقد طال ما سرا

وأيتها الدار الحبيبة لا يرم ... ربوعك جون المزن يهمي بها القطرا

كأنك لم يسكنك غيد أوانس ... وصيد رجال أشبهوا الأنجم الزهرا

تفانوا وبادوا واستمرت نواهم ... لمثلهم أسكبت مقلتي العبرى

سنصبر بعد اليسر للعسر طاعة ... لعل جميل الصبر يعقبنا يسرا

وإني لو عادت وعدنا لعهدها ... فكيف بمن من أهلها سكن القبرا

ويا دهرنا فيها متى أنت عائد ... فنحمد منك العود إن عدت والكرا

فيا رب يوم في ذراها وليلة ... وصلنا هناك الشمس باللهو والبدرا

فوا جسمي المضنى ووا قلبي المغري ... ووا نفسي الثكلى ووا كبدي الحرى

ويا هم ما أعدى، ويا شجو ما أبرا ... ويا وجد ما أشجى ويا بين ما أفرا

---

(١) المروين: مثنى مرو، وهما مدينتان بخراسان. د. إحسان.

(٢) النهر: نهر جيحون. د. إحسان.

ويا دهر لا تبعد، ويا عهد لا تحل ... ويا دمع لا تجمد، ويا سقم لا تبرا
سأندب ذاك العهد ما قامت الخضرا[1] ... على الناس سقفا واستقلت بنا الغبرا[2]

التعليق على النص

* إنما عاش أبو محمد في دورهم ببلاط مغيث ثلاث سنين ونصف سنة فحسب.
أما دورهم بمنية المغيرة فقد شهد دمارها بعينه وقت تدميرها.
* هذا النص عن النسخة الوحيدة في العالم من طوق الحمامة وهي نسخة اختصرها كاتبها، وتصرف فيها وقد ذكر لي شيخي أبو تراب الظاهري أنه قرأ خبراً عن نسخة كاملة من الطوق بالجزائر بخط ابن حزم.
ومن الأدلة على أن نسخة الطوق المطبوعة مختصرة أن لسان الدين ابن الخطيب أورد هذا النص بصورة أوفى، وبسياق مختلف.
قال أبو عبد الرحمن: الاحتمال عندي حول هذا الاختلاف بين النصين ينحصر في ثلاثة أمور:

١ ـ أن يكون أبو محمد أورد في الطوق أن مخبرا أخبره بحال قرطبة، وأنه لما شاهدها أنشأ هذا النثر والشعر.
فاختصر الناسخ ذلك، وكانت نتيجة الاختصار أن أصبح كلام أبي محمد كلاما للمخبر!.
ويؤيد هذا أننا وجدنا نصوصا ساقطة من نسخة طوق الحمامة المطبوعة.
كما أنه مشار في آخرها إلى أن الناسخ اختصر وحذف ولكن ماذا نقول في هذا الاختلاف تقديما وتأخيرا في سياق النص؟.
٢ ـ أن يكون ما في الطوق من كلام أبي محمد بهذه الصيغة ثم نسخها مرة أخرى فسجلها في قصاصة أو كتاب، فرآها ابن الخطيب بخط يده.

---

(١) الخضراء: السماء. إحسان.
(٢) رسائل ابن حزم ١/٢١١ ـ ٢١٣ مع التحشيات.

٣ - أن يكون ما في الطوق من كلام المخبر، وأن أبا محمد تبنى هذا الخبر بصياغة من عنده لما شاهد منازله.

وهذا بعيد، لأن آخر سياق القصة في نفس الطوق يخالف أولها.

فسياق أولها يوحي بأن النثر للمخبر.

وآخرها نص على أن الوصف لأبي محمد.

* مر بنا في نص سابق أن أبا محمد أحدقت به المصائب فما معنى هذا التفجع؟

* هذا النص أنموذج لنثر ابن حزم الفني.

في كلام أبي محمد عن تناقض كتب اليهود المحرفة استعرض نصا من كتاب يوشع فيه أن موسى عليه السلام لم يختن ممن ولد بعد خروجه من مصر أحداً ثم ختنهم يوشع بعد موت موسى بدهر.

مع أن الاختتان مشدد فيه في دين اليهود، وفي كتبهم قول نسبوه إلى الله سبحانه وهو: من لم يختتن في يوم أسبوع ولادته فلتنف نفسه من أمته بمعنى فليقتل.

١٢٥ - قال أبو محمد:

(ولقد فضحت بهذا وجه بعض علمائهم فقال لي: كانوا في التيه في حل وارتحال).

فقلت له: فكان ماذا[١]؟.

فكيف وليس كما تقولون؟.

بل كانوا يبقون المدة الطويلة في مكان واحد.

وفي نص كتاب يوشع بزعمكم: أنه إنما ختنهم إذ جاوزوا الأردن قبل الشروع في الحرب وفي أضيق وقت، وختنهم كلهم حينئذ وهم رجال كهول وشبان وتركوا الختان إذ لا مؤنة في ختانهم أطفالا تحمله أمه مختونا كما تحمله غير مختون ولا فرق!.

فسكت منقطعاً[٢].

---

(١) يريد أبو محمد أن الحل والارتحال لا يعني تعطيل شريعة أكيدة.

(٢) الفصل ٢/٤٤ق و ١/٢٠٥ج.

١٢٦ ـ وقال أبو محمد:

عن أحد كتب اليهود المضاف إلى سليمان واسمه شارهسير (شعر الأشعار): وقد رأيت بعضهم يذهب إلى أنه رموز على الكيمياء وقال: ورأيت بعضهم يخرج هذا على أنه إنما أراد علم الله تعالى[١].

١٢٧ ـ قال أبو محمد:

وقال بعض الكرامية: المنافقون مؤمنون من أهل الجنة.

وقد أطلق ذلك بالمرية محمد بن عيسى الصوفي الألبيري.

وكانت ألفاظه تدل على أنه يذهب مذهبهم في التجسيم وغيره وكان ناسكا متقللاً من الدنيا واعظا مفوها مهذارا قليل الصواب كثير الخطأ.

رأيته مرة وسمعته يقول:

أن النبي لا كان لا يلزمه زكاة مال لأنه اختار أن يكون نبيا عبداً، والعبد لا زكاة عليه، ولذلك لم يورث ولا ورث.

فأمسكت عن معارضته، لأن العامة كانت تحضره فخشيت لغطهم وتشنيعهم بالباطل ولم يكن معي أحد إلا يحيى بن عبد الكثير بن واقد كنت أتيت أنا وهو معي متنكرين لنسمع كلامه وبلغني عنه شنع منها القول بحلول الله فيما شاء من خلقه.

أخبرني عنه بهذا أبو أحمد الفقيه المعافري عن أبي علي المقري، وكان على بنت محمد بن عيسى المذكور وغير هذا أيضا ونعوذ بالله من الضلال وذكر لي سليمان بن خلف الباجي وهو من رؤوس الأشعرية أن فيهم من يقول أيضا إن الكذب في البلاغ أيضا جائز من الأنبياء والرسل عليهم السلام[٢].

١٢٨ ـ قال أبو محمد:

ولا أكثر من غلبة مذهب مالك على الأندلس وأفريقية، وقد كان

---

(١) الفصل ٢/٦٦ق و ١/٢٠٧ ـ ٢٠٨ج.

(٢) الفصل ٥/٤٦ ـ ٤٧ق و ٤/٢٠٥ج.

طوائف علماء مخالفون له جملة قائلون بالحديث أو بمذهب الظاهر أو بمذهب الشافعي.

هذا أمر مشاهد في كل وقت[1].

١٢٩ - قال أبو محمد:

ولقد أخبرني يونس بن عبد الله القاضي قال: كان محمد بن بيقى ابن زرب القاضي إذا دخل مسجداً قد جمع فيه إمامه الراتب وهو لم يكن صلى تلك الصلاة بعد جمع بمن معه في ناحية المسجد[2].

١٣٠ - قال أبو محمد:

وقد حدثني يونس بن عبد الله بن مغيث قال: أدركت بقرطبة مقرئا يعرف بالقرشي أحد مقرئين ثلاثة للعامة كانوا فيها.

وكان هذا القرشي لا يحسن النحو.

فقرأ عليه قارىء يوما في سورة «ق»:
﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾.
فرد عليه القرشي (تحيد) بالتنوين!!.
فراجعه القارىء، وكان يحسن النحو.
فلج المقرىء وثبت على التنوين.

وانتشر ذلك الخبر إلى أن بلغ إلى يحيى بن مجاهد الفزاري الألبيري وكان منقطع القرين في الزهد والخير والعقل، وكان صديقا لهذا المقرىء. فمضى إليه، فدخل عليه، وسلم عليه، وسأله عن حاله، ثم قال له: إنه بعد عهدي بقراءة القرآن على مقرىء فأردت تجديد ذلك عليك، فسارع المقرىء إلى ذلك.

فقال له الفزاري: أريد أن أبتدىء بالمفصل فهو الذي يتردد في الصلوات.

---

(١) الإحكام ٤/١٨٣ق و ٤/٥٣٧ج
(٢) المحلى ٤/٢٣٧ ط المنيرية.

فقال له المقرىء: ما شئت.

فبدأ عليه من أول المفصل، فلما بلغ سورة (ق) وبلغ إلى الآية المذكورة ردها عليه المقرىء بالتنوين.

فقال له يحيى بن مجاهد: لا تفعل، ما هي إلا غير منونة بلا شك، فلج المقرىء.

فلما رأى يحيى بن مجاهد لجاجه قال له:

يا أخي إنه لم يحملني على القراءة عليك إلا لترجع إلى الحق في لطف، وهذه عظيمة أوقعك فيها قلة علمك بالنحو، فإن الأفعال لا يدخلها تنوين البتة.

فتحير المقرىء إلا أنه لم يقنع بهذا.

فقال يحيى بن مجاهد بيني وبينك المصاحف.

فبعثوا فأحضرت جملة من مصاحف الجيران فوجدوها مشكولة بلا تنوين فرجع المقرىء إلى الحق.

وحدثني حمام بن أحمد بن حمام قال:

حدثني عبد الله بن محمد بن علي عن اللخمي الباجي قال:

نا محمد بن عمر بن لبانة قال:

أدركت محمد بن يوسف بن مطروح الأعرج يتولى صلاة الجمعة في جامع قرطبة وكان عديم الورع بعيدا عن الصلاح قال: فخطبنا يوم الجمعة، فتلا في خطبته:

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم﴾.

فقرأها بنونين (عننتم).

قال: فلما انصرف أتيناه، وكنا نأخذ عنه رأي مالك فذكرنا له قراءته للآية وأنكرناها.

فقال: نعم هكذا أقرأناها وهكذا هي، فلج، فحاكمناه إلى المصحف.

فقام ليخرج المصحف، ففتحه في بيته وتأمله، فلما وجد الآية بخلاف ما قرأها عليه أنف الفاسق من رجوعه إلى الحق، فأخذ القلم، وألحق ضرسا زائدا.

قال محمد بن عمر: فوالله لقد خرج إلينا والنون لم يتم بعد جفوف مدادها.

قال أبو محمد:

فالأول واهم مغفل والثاني فاسق خبيث[1].

١٣١ ـ قال أبو محمد:

رداً على من احتج على أنه ليس لأحد أن يختار بعد أبي حنيفة ومالك. الخ. بقوله:

«وأما ولايتهم القضاء فهذه أخزى وأندم وما عناية جورة الأمراء وظلمة الوزراء خلة محمودة ولا خصلة مرغوب فيها في الآخرة.

وأولئك القضاة وقد عرفناهم إنما ولاهم الطغاة العتاة من ملوك بني العباس وبني مروان بالعنايات والتزلف إليهم عند دروس الخير وانتشار البلاء، وعودة الخلافة ملكا عضوضا، وانبراء على أهل الإسلام وابتزازاً للأمة أمرها بالغلبة والعسف، فأولئك القضاء هم مثل من ولاهم من المبطلين سنن الإسلام، المحيين لسنن الجور والمكر والقبالات وأنواع الظلم وحل عرى الإسلام.

وقد علمنا أحوال أولئك القضاة الذين يأخذون دينهم عنهم.

وكيف كانوا في مشاهدة إظهار البدع من المحنة في القرآن بالسيف والسياط والسجن والقيد والنفي، ثم سائر ما كانوا يتشاهدونه معهم.. على ما استعانوهم عليه من تمشية أمور ملكهم.

فمثل هؤلاء لا يتكثر بهم.

---

(١) الإحكام ٤/١٦٣ ـ ١٦٤ق و٤/٥٢١ ـ ٥٢٢ج وفي الإسناد خلل أصلحته بكتابي عن فهرسة ابن حزم.

وإنما كان أصل ذلك تغلب أبي يوسف على هارون الرشيد، وتغلب يحيى بن يحيى على عبد الرحمن بن الحكم.

فلم يقلد القضاء شرقا وغربا إلا من أشار به هذان الرجلان واعتنيا به.

والناس حراص على الدنيا: فتلمذ لهما الجمهور لا تدينا لكن طلبا للدنيا، وولاية القضاء والفتيا والتديك على الجيران في المدن والأرباض والقرى واكتساب المال بالتسمي بالفقه ـ.

هذا أمر لا يقدر أحد على إنكاره.

فاضطرت العامة إليهم في أحكامهم وفتياهم وعقودهم.

ففشا المذهبان فشواً طبق الدنيا.

وصار من خالفهم مقصوداً بالأذى مطلوبا في دمه. أو مهجورا مرفوضا إن عجزوا عن أذاه لمنزلة له عند السلطان، أو لكفه للسانه وسده لبابه إذا وسعته التقية والصبْر صبَر.

وكذلك أفريقية كان الغالب فيها السنن والقرآن إلى أن غلب أسد بن الفرات ابن أبي حنيفة ثم ثار عليهم سحنون بن أبي مالك فصار القضاء فيهم دولا يتصاولون على الدنيا تصاول الفحول على الشول إلى أن تولى القضاء بها بنو هاشم الخيار وكان مالكيا فتوارثوا القضاء كما توارث الضياع فرجعوا كلهم الى رأي مالك طمعا في الرياسة عند العامة فقط.

هذا أمر لا يقدر أحد على إنكاره»[1].

١٣٢ـ قال أبو محمد:

وأخبرني ثقة في نقله وتمييزه أن المسمى بمصر فجلا يعمل منه الزيت

---

(١) الإحكام ٤/٢٢٩ـ٢٣٠ق و٤/٥٧٥ـ٥٧٦ج وانظر كتاب نفح الطيب ٢/١٠ وبعض الجمل مضطربة ولم أفرغ للمقارنة بمخطوطة الإحكام.

الذي رأى مالك فيه الزكاة هو النبات المسمى عندنا بالأندلس اللبشتر وهو نبات صحراوي لا يغترس أصلا[1].

١٣٣ ـ قال أبو محمد:

في معرض حديثه عن ضرب من السحر يكون من قبل الكواكب كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب في وقت كون القمر في العقرب فينفع إمساكه من لدغة العقرب:

ومن هذا الباب كانت الطلسمات وليست إحالة طبيعة ولا قلب عين ولكنها قوى ركبها الله عز وجل مدافعة لقوى أخرى كدفع الحر للبرد ودفع البرد للحر وكقتل القمر للدابة الدبرة إذا لاقى الدبرة ضوؤه إذا كانت مدبرتها مكشوفة للقمر.

ولا يمكن دفع الطلسمات لأننا شاهدنا أنفسنا آثارها ظاهرة إلى الآن من قرى لا تدخلها حرارة ولا يقع فيها برد وكَسَرَقُسْطَةَ التي لا يدخلها جيش إلا أن يدخلها كرها وغير ذلك كثير جداً لا ينكره إلا معاند.

وهي أعمال قد ذهب من كان يحسنها جملة وانقطع من العالم ولم يبق إلا آثار صناعتهم فقط.

ومن هذا الباب كان ما تذكره الأوائل في كتبهم في الموسيقى وأنه كان يؤلف بين الطبائع وينافر به أيضا بينها.

ونوع آخر من السحر يكون بالرقى، وهو كلام مجموع من حروف مقطعة في طوالع معروفة أيضا يحدث لذلك التركيب قوة تستثار بها الطبائع وتدافع قوى أخر[2].

١٣٤ ـ قال أبو محمد:

وقد شاهدنا وجربنا من كان يرقي الدمل الحاد القوي الظهور في أول ظهوره فييبس.

---

(١) المحلى ٥/٢١٤ ـ ٢١٥ق.

(٢) الفصل ٥/٧٣ق و ٥/٤ق.

يبدأ من يومه ذلك بالذبول ويتم يبسه في اليوم الثالث ويقلع كما تقلع قشرة القرحة إذا تم يبسها.

جربنا من ذلك ما لا نحصيه.

وكانت هذه المرأة ترقي أحد دملين قد وقعا على إنسان واحد ولا ترقي الثاني فييبس الذي رقت ويتم ظهور الذي لم ترق ويلقي حامله منه الأذى الشديد.

وشاهدنا من كان يرقي الورم المعروف بالخنازير فيندمل ما يفتح منها ويذبل ما لم ينفتح ويبرأ كل ذي ذلك البرء التام.

كان لا يزال يفعل ذلك في الناس والدواب.

ومثل هذا كثير جداً.

وقد أخبرنا من خبره عندنا كمشاهدتنا لثقته وتجربينا لصدقه وفضله أنه شاهد ما لا يحصى نساء يتكلمن على الذين يمخضون الزبد من اللبن بكلام فلا يخرج من ذلك اللبن زبد.

ولا فرق بين هذين الوجهين وبين ملاقاة فضلة الصفراء بالسقمونيا وملاقاة ضعف القلب بالكندر.

وكل هذه المعاني جارية على رتبة واحدة من طلب علم ذلك أدركه.

ومنه ما يكون بالخاصة كالحجر الجاذب للحديد وما أشبه ذلك.

ومنه ما يكون لطف يد كحيل أبي العجائب التي شاهدها الناس وهي أعمال لطيفة لا تحيل طبعا أصلاً[1].

١٣٥ ـ قال أبو محمد:

خطر لي مد على تحقيق المد المتوارث عند آل عبد الله بن علي الباجي.

وهو عند أكبرهم لا يفارق داره.

(١) الفصل ٥/٧٣ ـ ٧٤ق و ٥/٤ ـ ٥ج.

أخرجه إليَّ ثقتي الذي كلفته ذلك علي بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن علي المذكور.

أخذه وخرطه على مد أحمد بن خالد.

وأخبره أحمد بن خالد أنه خرطه على مد يحيى بن يحيى الذي أعطاه إياه ابنه عبيد الله بن يحيى بن يحيى.

وخرطه يحيى على مد مالك.

ولا شك أن أحمد بن خالد صححه أيضا على مد محمد بن وضاح الذي صححه ابن وضاح بالمدينة.

قال أبو محمد: ثم كلته بالقمح الطيب ثم وزنته فوجدته رطلاً واحداً ونصف رطل بالفلفي لا يزيد حبة.

وكلته بالشعير إلا أنه لم يكن بالطيب فوجدته رطلا واحداً ونصف أوقية.

قال أبو محمد: وهذا أمر مشهور بالمدينة منقول نقل الكافة صغيرهم وكبيرهم وصالحهم وطالحهم وعالمهم وجاهلهم وحرائرهم وإمائهم كما نقل أهل مكة موضع الصفا والمروة ولا فرق.

وكمن يعترض على أهل المدينة في القبر والمنبر والبقيع.

وهذا خروج عن الديانة والمعقول[1].

١٣٦ ـ قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن شعر ابن شخيص:

ومنه ما أنشدنيه أبو محمد علي بن أحمد:

ومعتلة الأجفان ما زلت مشفقا ... عليها ولكني ألذ اعتلالها

جفون أجال الحسن فيهن فترة ... فحل عرى الآجال منذ أجالها

فهل من شفيع عند ليلي إلى الكرى ... لعليّ إذا ما نمت ألقى خيالها

(١) المحلى ٥/٢٤٥ ـ ٢٤٦ق وقد أورد هذا التحديد المقري في نفح الطيب ٢/٥١٥ ـ ٥١٦ عن ذيل الروضتين لابن أبي شامة. وراجع رسالة المقريزي ومصطفى الذهبي ضمن الرسائل التي نشرها أنستاس الكرملي.

يقولون لِي صبرا على مطل وعدها   وما وعدت ليلى فأشكو مطالها
وما كان ذنبي غير حفظ عهودها   وطي هـواها واحتمالي دلالها[1]

١٣٧ ـ قال أبو محمد عند قوله بأن إطالة خطبة الجمعة لا تجوز:

شهدت ابن معدان في جامع قرطبة قد أطال الخطبة حتى أخبرني بعض وجوه الناس أنه بال في ثيابه وكان قد نشب في المقصورة[2].

١٣٨ ـ قال الحميدي عن ابن الفرضي:

أخبرني أبو محمد علي بنحمد قال:

أخبرني أبو الوليد الفرضي قال:

تعلقت بأستار الكعبة، وسألت الله الشهادة.

ثم انحرفت، وفكرت في هول القتل، فندمت، وهممت أن أرجع فأستقيل الله ذلك، فاستحييت.

قال أبو محمد:

فأخبرني من رآه بين القتلى، فدنا منه، فسمعته يقول بصوت ضعيف وهو في آخر رمق:

لا يكلم أحد في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يكلم في سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثغب دما اللون لون الدم، والريح ريح المسك.

كأنه يعيد على نفسه الحديث الوارد في ذلك.

قال: ثم قضى نحبه على إثر ذلك[3].

١٣٩ ـ قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن محمد بن إسحاق بن السليم:

أخبرني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد قال:

أخبرني الفقيه القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث

---

(١) الجذوة ص ٩١ج وص ٨٤ ـ ٨٥ق والبغية ص ١٢٩ ـ ١٣٠ج وص ١١٩ق.

(٢) المحلى ٥/٦٠ ـ ٦١ق.

(٣) الجذوة ص ٢٥٥ج وص ٢٣٨ق والبغية ص ٣٣٥ج وص ٣٢٢ق.

المعروف بابن الصفار: أن رجلا من أهل المشرق يعرف بالشيباني دخل الأندلس، فسكن قرطبة على شاطىء الوادي بالعيون فخرج قاضي الجماعة ابن السليم يوما لحاجة، فأصابه مطر اضطره إلى أن دخل بدابته في دهليز الشيباني فوافقه فيه فرحب بالقاضي وسأله النزول فنزل وأدخله إلى منزله وتقارضا في الحديث فقال له:

أصلح الله القاضي عندي جارية مدينية[1] لم يسمع بأطيب من صوتها!

فإن أذنت أسمعتك عشرا من كتاب الله عز وجل وأبياتا؟.

فقال له: أفعل.

فأمر الجارية فقرأت ثم أنشدت فاستحسن ذلك القاضي وعجب منه.

وكان على كمه دنانير فأخرجها وجعلها تحت الفرش الذي جلس عليه، ولم يعلم بذلك صاحب المنزل.

فلما ارتفع المطر ركب القاضي وودعه الشيباني فدعا القاضي له ولجاريته، وقال له: قد تركت هنالك شيئا فهو للجارية تستعين به في بعض حوائجها.

فقال له الشيباني: سبحان الله أيها القاضي!.

فقال: لا بد من ذلك أقسمت عليك لتفعلن.

فدخل الشيباني فأخذ الصرة فوجد فيها عشرين دينارا.

١٤٠ ـ قال الحميدي عن عمر بن شعيب:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وقال:

إنه كان من فل الربضيين، وإنه الذي غزا أقريطش وافتتحها بعد الثلاثين ومئتين، وتداولها بنوه بعده إلى أن كان آخرهم عبد العزيز بن

---

(١) الجذوة ص ٤٣ ـ ٤٤ج وص ٤١ق وصاحب البغية لم يسند الخبر إلى ابن حزم.

شعيب الذي غنمها في أيامه أرمانوس بن قسطنطين ملك الروم سنة خمسين وثلاث مئة.

وكان أكثر المفتتحين لها معه أهل الأندلس[1].

قال أبو عبد الرحمن: الراجح أن هذا النص من كتابه عن أوقات الأمراء بالأندلس.

١٤١ ـ قال أبو محمد:

وكتاب جمعه أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني في اللغة لم يؤلف مثله اختصارا وإكثارا وثقة نقل وهو أظن في الحياة بعد.

وها هنا لا ينبغي أن تخلو رسالتنا منها وهي أنْ أبا الوليد عبدالله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي حدثني أن أبا الجيش مجاهدا صاحب الجزائر ودانية وجه إلى أبي غالب أيام غلبته على مرسية وأبو غالب ساكن بها ألف دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمة الكتاب المذكور «ما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد» فرد الدنانير وأبى من ذلك ولم يفتح في هذا بابا ألبتة وقال: والله لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب لأني لم أجمعه له خاصة بل لكل طلب.

فأعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها وأعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها[2].

---

(١) الجذوة ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ق و ٣٠١ج والبغية ص ٤٠٧ج وص ٣٩٤ق.

(٢) رسالة ابن حزم عن فضل الأندلس المطبوعة بنفح الطيب ٣/١٧١ ـ ١٧٢ وانظر الخلاف حول ولاية مجاهد في كتاب دول الطوائف ص ١٨٥ والنص أورده الحميدي في الجذوة ص ١٨٣ج وص ١٧٢ق والضبي في البغية ص ٢٥٢ج وص ٢٣٦ق.
قال أبو عبد الرحمن: حشى محقق الصلة لابن بشكوال بهامش في نسخة الأصل مؤداه أن ابن حزم إنما حدث عن شيخه أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرضي المتوفى سنة ٤٠٣هـ وأن ذكر ابن الفرضي باسم أبي عبد الله محمد بن عبد الله وهم من الحميدي.
قال أبو عبد الرحمن: في الجذوة والصلة أبو عبد الله محمد بن عبد الله، وهذا وهم وفي فضل الأندلس أبو الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله.
قال أبو عبد الرحمن: انما هو عبد الله بن محمد بن يوسف.

١٤٢ ـ قال الحميدي عن الفخري:

ذكره لي أبو محمد علي بن أحمد وأنشدني قال:

أنشدني أبو الحسن الفخري لنفسه بدانية:

الموت أولى بذي الآداب من أدب ... يبغي مكسبا من غير ذي أدب
ما قيل لي شاعر إلا امتعضت لها ... حسب امتعاضي إذا نوديت باللقب
وما دها الشعر عندي سخف منزلة ... بل سخف دهر بأهل الدهر منقلب
صناعة هان عند الناس صاحبها ... وكان في حال مرجو ومرتقب
يرجى رضاه ويخشى منه بادرة ... أبقى على حقب الدنيا من الحقب
إذا جهلت مكان الشعر عن شرف ... فأي مأثرة أبقيت للعرب[1]

١٤٣ ـ قال الحميدي:

قال أبو محمد علي بن أحمد:

أنشدني ابو الوفاء كامل بن عقيل البحتري لرجل من العرب لقيه بالبادية وكان قد بعثه قومه رائدا وعاهدوه إن وجد خصبا ألا ينذر به بني فلان لحي كانوا في طريقه.

قال: وكان له في ذلك الحي عجيبة.

قال: والعجيبة عندهم المحبوبة.

فمضى فارتاد فوجد الخصب فرجع إلى قومه، ليعلمهم وجعل طريقه على ذلك الحي. وأراد أن يخصهم بمعرفة ذلك لمكان عجيبة وأن لا يشافههم لمكان ما عوهد عليه.

فلما صار حيث يسمعونه ضرب ناقته بالسوط وأنشأ يقول:

خطير من الوسمي أرخى شيوله ... كأن نداه مطلع الشمس لولو
تركنا بها الوحش الأوابد ترتعي ... ولا بد أنا زائلون فزولوا[2]

---

(١) الجذوة ص ٣٠٨ ج وص ٢٩٠ ق والبغية ص ٤١٥ ج وص ٤٠٢ ق

(٢) الجذوة ص ٣٣٤ ج وص ٣١٤ ـ ٣١٥ ق والبغية ص ٤٥٢ ـ ٤٥٣ ج وص ٤٣٨ ق.

١٤٤ ـ قال الحميدي في كلامه عن ابن أبي الحسين:

ذكره لي أبو محمد علي بن أحمد، وأخبرني:

أنه سمعه ينشد الوزير أبا عمر أباه قصيدة له فيه أولها:

قفا إن نشر ارض بعض نسميه   مغنى الهوى هذا فمن لرسومه؟
قفا نتذكر حسن أيام ريمه   وما قد تولى ظاعنا من نعيمه
ليالي كان الوصل فيهن طالعا   مع البدر والمشغوف بعض نجومه[١]

١٤٥ ـ قال الحميدي:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أنشدني أبو المجد الفرات بن هبة الله قال:

أنشدني أبو سعيد الخليل بن أحمد البستي الشافعي وهو معي على مأجل تونس بالقيروان:

تقنعت بالدجا شمس الضحى فبدا   من تحت معجرها لام من السبج
وأشرق الورد من تفاح وجنتها   والسحر في طرفها بأدمع الدعج
وألبست جسمها من أبيض يقق   غلالة طرزتها من دم المهج
ولو بدت في ظلام لاستنار بها   وكان إشراقها يغني عن السرج[٢]

١٤٦ ـ وقال الحميدي في كلامه عن أحمد بن شهيد أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أخبرني أبو محمد عبد الله بن محمد بن جهور:

أن ذا الوزارتين أحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد زار جده عبد

---

(١) الجذوة ص ٢٦٠ج وص ٢٤٢ق والبغية ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ج وص ٣٢٩ق.
(٢) الجذوة ص ٣٢٨ج وص٣٠٩ق والبغية ص ٤٤٥ج وص ٤٣١ق وترجمة الفرات في الصلة ٤٤٢/٢.

الملك بن جهور، فوافقه محجوبا، فلم يصل إليه، فكتب إليه:

أتيناك لا عن حاجة عرضت لنا   إليك ولا قلب إليك مشوق
ولكننا زرنا بضعف عقولنا   حمارا تولى برنا بعقوق

فأجابه عبد الملك:

حجبناك لما زرتنا غير تائق   بقلب عدو في ثياب صديق
وما كان بيطار الشآم لموضع   يباشر فيه برنا بخليق[1]

١٤٧ ـ استدل أبو محمد على أن الزمان متناه ضرورة.

ودليله على ذلك ما يلي:

(إن ما وقع من الزمان إلى يومنا هذا مساو لما من يومنا إلى ما وقع من الزمان معكوسا.

وواجب فيه الزيادة بما يأتي من الزمان.

والمساوي لا يقع إلا في ذي نهاية.

فالزمان متناه ضرورة).

قال أبو محمد: (وقد ألزمت بعض الملحدين وهو ثابت بن محمد الجرجاني هذا البرهان فأراد أن يعكسه عليّ في بقاء الباري عز وجل ووجودنا إياه، فأخبرته بأن هذا شغب ضعيف مضمحل ساقط. لأن الباري تعالى ليس في زمان ولا له مدة، لأن الزمان إنما هو حركة كل ذي زمان وانتقاله من مكان إلى مكان أو مدة بقائه ساكنا في مكان واحد، والباري تعالى ليس متحركا ولا ساكنا ولا شك أنه ليس في زمان ولا له مدة في مكان أصلا وليس هو جرما ولا جوهرا ولا عرضا ولا عددا ولا جنسا ولا نوعا ولا فصلا ولا شخصا ولا متحركا ولا ساكنا. أهـ)[2].

---

(١) الجذوة ص ١٣١ ـ ١٣٢ج وص ١٢٣ق وبغية الملتمس ص ١٩٠ج وص ١٧٧ ـ ١٧٨ق.
(٢) الفصل ١/١٥ق و١/١٧ ـ ١٨ج.

قال أبو عبد الرحمن: تناهي الزمان ضرورة معقولة بالحس والمشاهدة، وأزلية الباري سبحانه بديهة معقولة بضرورة الشرع.

والشناعة في قول أبي محمد - رحمه الله - عن الباري سبحانه:

ليس متحركا ولا ساكنا.. إلخ، لأن المنهج إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفاه عن نفسه، والوقوف عند ما لم يرد عنه نص، لأن تسمية الباري لا تجوز إلا بتوقيف.

١٤٨ - قال الحميدي في كلامه عن حسان بن مالك:

وأنشدني له أبو محمد علي بن أحمد وقال:

إنه كتب إلى المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر المسمى بالخلافة أيام الفتنة:

إذا غبت لم أحضر وإن جئت لم أسل فسيان مني مشهد ومغيب
فأصبحت تيميا وما كنت قبلها لتيم ولكن الشبيه نسيب

أشار في هذا البيت إلى قول الشاعر:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهود[1]

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: شيخ ابن حزم في هذه الرواية هو أبو عبدة حسان بن مالك بن أبي عبدة. من أحفاد أبي عبدة حسان بن مالك بن عبد الله بن جابر المتوفى سنة ١٥٠ هـ تقريبا وزير عبد الرحمن الداخل دخل الأندلس سنة ١١٣ قبل دخول الداخل، وجده عبد الله مملوك لمروان بن الحكم[2].

---

(١) الجذوة ص ١٨٤ق وص ١٩٦ - ١٩٧ج والبغية ص ٢٧١ج وص ٢٥٦ق.

(٢) الأعلام ٢/ ١٩٠ عن الحلة السيراء.

قال الحميدي عن أبي عبدة الحفيد: الوزير من الأئمة في اللغة والآداب، ومن أهل بيت جلالة ووزارة. مات عن سن عالية قبل العشرين وثلاث مئة اهـ. وتبعه في هذا التأريخ ياقوت الحموي.

قال أبو عبد الرحمن: الصواب ما ذكره ابن بشكوال.

قال: من أهل قرطبة يكنى أبا عبدة توفي في شوال سنة ست عشرة وأربع مئة[1].

وعن سبب هذين البيتين اللذين قالهما أبو عبدة يقول ابن خاقان في المطمح متحدثا عن أبي عبدة: واستوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام أيام الفتنة فلم يرض بالحال ولم يمض في ذلك الانتحال وتثاقل عن الحضور في كل وقت وتغافل في ترك الغرور بذلك المقت.

وكان المستظهر يستبد بأكثر تلك الأمور وينفرد مغيبا عنه شؤونه، فكتب إليه. ثم ذكر ابن خاقان البيتين.

وأورد المقري هذه الأبيات لأبي عبدة يعاتب فيها المستظهر:

إذا كان مثلي لا يجازى بصبره	فمن ذا الذي بعدي يجازى على الصبر
وكم مشهد حاربت فيه عدوكم	وأملت في حربي له راحة الدهر
أخوض إلى أعدائكم لجج الوغى	وأسري إليهم حيث لا أحد يسري
وقد نام عنهم كل مستبطن الحشا	أكول إلى الممسى نؤوم إلى الظهر
فما بال هذا الأمر أصبح ضائعا	وأنت أمين الله تحكم في الأمر؟!

* قال أبو عبد الرحمن: والمستظهر بويع بالخلافة سنة ٤١٤ هـ وقتل بعد ٤٧ يوما من ولايته لم ينتظم له فيها أمر ولا تجاوزت دعوته قرطبة.

قال أبو عبد الرحمن: والراجح أن هذا الخبر من كتاب ابن حزم عن أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس وهو من كتبه التي لا تزال مفقودة.

---

(١) من مصادر ترجمته: جذوة المقتبس ١٨٣ ـ ١٨٤ والصلة ١/١٥٣ وبغية الملتمس ص ٢٧١ الطبعة الأخيرة ومطمح الأنفس ص ٣٠ ومعجم الأدباء ٧/٢٢١ ـ ٢٢٥ ونفح الطيب ١/٤٣٦ ـ ٤٣٧ و٣/٥٤٧ ـ ٥٤٩ وبغية الوعاة ١/٥٤٤ والأعلام ٢/١٨٩ ـ ١٩٠ و١٠/٦٨ والمستدرك الثاني (ملحق الأعلام) ص ٦٠ ومعجم المؤلفين ٣/١٩٢.

قال أبو عبد الرحمن: كل النصوص التي نقلناها من الجذوة عن طريق أبي عبدة موجودة في مصادر ترجمته يرجع لها من أراد ضبط النصوص ومقارنتها.

١٤٩ ـ قال الحميدي عن ابن محامس:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وقال لنا:

أخبرني أبو بكر بن أبي الفياض قال:

كتب عثمان بن محامس على باب داره باستجة:

يا عثمان لا تطمع[1].

١٥٠ ـ قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن ابن عبد الوارث:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد:

أنه رأى يحيى بن مالك بن عائد وهو شيخ كبير يهادي إلى المسجد وقد دخل والصلاة تقام قال: فسمعته ينشد بأعلى صوته:

يا رب لا تسلبني حبها أبدا ويرحم الله عبدا قال آمينا

قال: فلم أشك أنه يريد الصلاة!.

وقال الحميدي عن ابن عبد الوارث: أخبرني أبو محمد أنه كان معلمه[2].

قال أبو عبد الرحمن: ترجمة ابن عبد الوارث في الصلة ١/٢٣.

١٥١ ـ وقال الحميدي:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثنا عبد الرحمن بن سلمة قال:

أخبرني أحمد بن خليل:

قال: وأخبرنا خالد قال:

(١) الجذوة ص ٣٠٦ج وص ٢٨٨ق والبغية ص ٤١٣ج وص ٤٠٠ ـ ٤٠١ق.

(٢) الجذوة ص ١٠٧ج وص ٩٩ق والبغية ص ١٥٤ ج وص ١٤٣ق وترجمة ابن عبد الوارث في الصلة ١/٢٣.

حدثنا أحمد بن خالد قال:

حدثنا يحيى بن عمر قال:

أخبرنا الحارث قال:

أخبرنا ابن وهب قال:

سمعت مالكا يقول:

دخلت على أبي جعفر فرأيت غير واحد من بني هاشم يقبل يده المرتين والثلاثة في اليوم.

قال مالك:

ورزقني الله تعالى العافية فلم أقبل له يدا قال: وأخبرنا ابن وهب قال:

قال مالك: لم يكن نافع يفتي في حياة سالم بن عبد الله.

قال مالك:

وكان نافع قليل الفتيا[1].

١٥٢ ـ قال الحميدي:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثنا عبد الرحمن بن سلمة قال:

أخبرني أحمد بن خليل قال:

حدثنا خالد بن سعد قال:

أخبرنا أحمد بن خالد قال:

أخبرنا يحيى بن عمر قال:

أخبرنا عمرو بن الحارث بن مسكين قال:

أخبرنا ابن وهب قال:

قال لي مالك:

الحكم على وجهين:

---

(١) الجذوة ص ٣٧٨ج و ص ٣٥٥ق والبغية ص ٥٠٥ ـ ٥٠٦ج و ص ٤٩١ق عن شريح.

فالذي يحكم القرآن والسنة الماضية: فذلك الصواب والذي يجهد نفسه فيما لم يأت فيه شيء فلعله (يعني يوفق).

قال: وثالث متكلف لما لا يعلم فما أشبه ذلك أن لا يوفق[1].

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: عن الكناني قال ابن الأبار:

من أهل مالقة يعرف بالربي يكنى أبا عبد الله سمع من أبي محمد الباجي وأبي الحسن الأنطاكي وأبي محمد بن قاسم القلعي وأبي محمد الأصيلي وأبي عبد الله بن موهب القبري وغيرهم.

حدث عنه أبو محمد بن غانم بن وليد الأديب ووقفت على إجازته لأبي محمد بن حزم وأبي بكر بن إسحاق الكاتب وأبي الحسن بن بطال ومصعب بن أبي الوليد بن الفرضي في غرة صفر سنة ٤٠٨[2].

١٥٣ ـ قال الحميدي:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أنشدني الوزير أبو مروان عبد الملك بن يحيى بن أبي عامر في تزويج المظفر عبد الملك بن المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر حبيبة بنت عبد الله بن يحيى بن أبي عامر من عبد الملك بن قند وهو مولاهم.

قال أبو محمد:

وأظنها لأبي مروان، وقيل إنها لأبي حفص بن عسقلاجة:

عربيٌّ مزوّجٌ عبده بنت أخته
قبَّح الله مثلَ ذا ورماه بمقته[3]

---

(١) الجذوة ص ٣٧٨ج و ص ٣٥٥ق والبغية ص ٥٠٦ج و ص ٤٩٠ق عن شريح.

(٢) التكملة ١ / ٣٧٩.

(٣) الجذوة ص ٣٩٦ج و ص ٣٧٢ق والبغية ص ٥٢٢ج و ص ٥٠٧ق.

١٥٤ ـ قال الحميدي في كلامه عن طاهر بن محمد:

أنشدني له أبو محمد علي بن أحمد إلى المنصور أبي عامر يستأذن في الوصول إليه:

أتيت أكحل طرفي ... في نور وجهك لحظة
ولا أزيدك بعد (م) ... التسليم والشكر لفظة[1]

١٥٥ ـ قال الحميدي:

قال لنا أبو محمد علي بن أحمد:

ومن عجائب الدنيا التي لا تكاد يتفق مثلها:

أن صاعد بن الحسن اللغوي أهدى إلى المنصور أبي عامر أيلا وكتب معه بهذه الأبيات:

يا حرز كل مخوف وأمان كل ... مشرد ومعز كل مذلل
جدواك إن تخصص به فلأهله ... وتعم بالإحسان كل مؤمل
كالغيث طبق فاستوى في وبله ... شعث البلاد مع المراد المبقل
الله عونك ما أبرك بالهدى ... وأشد وقعك في الضلال المشغل
ما إن رأت عيني وعلمك شاهدي ... شروي علائك في معم مخول
أندى بمقربة كسرحان الغضا ... ركضا وأوثر في مثار القسطل
مولاي مؤنس غربتي متخطفي ... من ظفر أيامي ممنع معقلي
عبد نشلت بضبعه وغرسته ... في نعمة أهدى إليك بأيل
سميته غرسية وبعثته ... في حبله ليتاح فيه تفاؤلي
فلئن قبلت فإن أسنى نعمة ... أسدى بها ذو منحة وتطول
صبحتك غادية السرور وجللت ... أرجاء ربعك بالسحاب المخضل

---

(١) الجذوة ص ٢٤٦ج و ص ٢٢٩ق والبغية ص ٣٢٦ج و ص ٣١٣ق وذكر أن طاهراً وفد على المنصور. وقال الحميدي في التذكرة: قال لي أبو محمد ورأيت في بعض الكتب أنه سأل الوزير أبي رحمه الله بعثها إليه يسأله الإذن عليه. ثم ساق الخبر. ضمن فوائد ابن منده ورقة ٢٨٧ بخط الحافظ ابن حجر العسقلاني.

فقضي في سابق علم الله عز وجل وتقديره أن غرسية بن شانجة من ملوك الروم وهو أمنع من النجم أسر في ذلك اليوم بعينه الذي بعث فيه صاعد بالأيل.

وسماه «غرسية» تفاؤلا بأسره.

هكذا فليكن الجد للصاحب والمصحوب.

وكان أسر غرسية في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وثلاث مئة[١].

وقال ابن بشكوال: قال أبو محمد بن حزم توفي صاعد رحمه الله بصقلية في سنة ٤١٧ هـ، وأخذ عن أبي الخطاب العلاء بن حزم وسمع منه في البحر في انصرافهما إلى الأندلس[٢].

١٥٦ ـ قال الحميدي عن عبد الله بن الناصر:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وقال:

كان فقيها شافعيا شاعرا إخباريا متنسكا قال: ومن شعره:

أما فؤادي فكاتم ألمه	لو لم يبح ناظري بما كتمه
ما أوضح السقم في ملاحظ من	يهوى وإن كان كاتما سقمه
ظللت أبكي وظل يعذلني	من لم يقاس الهوى ولا علمه
إليك عن عاشق بكى أسفا	حبيبه في الهوى وإن ظلمه
ظلت جيوش الأسى تقاتله	مذ نذرت أعين الملاح دمه[٣]

١٥٧ ـ قال الحميدي في كلامه عن ثابت بن محمد:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:

---

(١) الجذوة ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ج و ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ق والبغية ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ج و ص ٣٠٩ ـ ٣١١ق.

(٢) الصلة ١/٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٣) الجذوة ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ج و ص ٢٤٤ق والبغية ص ٣٤٧ج و ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤ق وقال أبو محمد: وأما عبد الله بن الناصر فكان شاعرا فقيها على مذهب الشافعي اتصل بأبيه عنه أنه ينكر سوء سيرته وجوره فقتله لذلك وكان لعبد الله هذا ابن اسمه الزبير له عقب باق (جمهرة أنساب العرب ص ١٠٢) قال أبو عبد الرحمن: وترجم له صاحب البغية مرتين.

أخبرني أبو عمرو البراء بن عبد الملك الباجي قال:

لما ورد أبو الفتوح الجرجاني الأندلس كان أول من لقي من ملوكها الأمير الموفق أبو الجيش مجاهد العامري فأكرمه، وبالغ في بره.

فسأله يوما عن رفيق له:

من هذا معك؟

فقال:

رفيقان شتى ألف الدهر بيننا   وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

قال أبو محمد: ثم لقيت بعد ذلك أبا الفتح فأخبرني عن بعض شيوخه أن ابن الاعرابي رأى في مجلسه رجلين يتحدثان فقال لأحدهما:

من أين أنت؟

فقال: من استيجاب.

وقال للآخر: من أين أنت؟.

قال: من الأندلس.

فعجب ابن الأعرابي وأنشد البيت المتقدم ثم أنشدني تمامها:

نزلنا على قيسية يمنية   لها نسب في الصالحين هجان
فقالت وأرخت جانب الستر دوننا   لأية أرض أم من الرجلان؟
فقلت لها: أما رفيقي فقومه   تميم وأما أسرتي فيمان
رفيقان شتى ألف الدهر بيننا   وقد يلتقي الشتى فيأتلفان[1]

قال أبو عبد الرحمن: البراء بن عبد الملك الباجي لم أجد من تاريخ حياته غير وصفه بالوزير[2].

---

(١) الجذوة ص ١٨٤ - ١٨٥ج و ص ١٧٣ق والبغية ص ٢٥٣ - ٢٥٤ج و ص ٢٣٧ق وورد هذا النص محققاً في رسائل ابن حزم ٢/٢٢٧ - ٢٢٨ج وأورده الحميدي في الجذوة ورقة ٢٨٢ - ٢٨٣ ضمن مجموع سبط ابن حجر

(٢) الجذوة ص ١٧١ - ١٧٣ والصلة ١/١٢١ والإكمال ١/٦٧؛

١٥٨ ـ قال الحميدي عن إبراهيم الطبني:

وأنشدني له [يعني الطبني] من قصيدة طويلة في مدح أبي العاص حكم بن سعيد بن حكم القيسي وزير دولة المعتد قال أبو محمد:

وسمعته ينشده إياها ومنها:

إن الرسوم إذا اعتبرت نواطق   فسل الربوع تجبك عند سؤالها
بأبي الفناء يرى فناء عامرا   ويروم نقص الحال عند كمالها
قد أجملت جمل ولكن ضيعت   إجمالها يوم ارتحال جمالها[1]

١٥٩ ـ قال أبو عبد الله الحميدي فيكلامه عن ابن بدر:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وكناه أبا بكر وقال:

أنشدني له أبو الوليد محمد بن محمد بن الحسن الزبيدي مما كتب به إلى أبي الحكم المنذر بن سعيد بن محمد بن مروان بن المنذر بن عبد الرحمن بن الحكم في عتاب كان بينه وبينه:

يا ذا الذي لا يصون عرضي   ومذهبي فيه أن أصونه
رأيت إذ لم تكن حليما   في سورة الغيظ أن أكونه[2]

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: أبو الوليد من أهل أشبيلية نزل المرية واستقضي بها[3].

(١) الجذوة ص ١٥٨ ـ ١٥٩ ج وص ١٥٠ ق والبغية ص ٢٢٧ ج وص ٢١٣ ق والطبني هو إبراهيم بن يحيى بن محمد بن حسين بن أسد التميمي الحماني السعدي ولد سنة ٣٩٦ وتوفي سنة ٤٦١ يكنى أبا بكر من أهل قرطبة، وهو من أصدقاء أبي محمد. ترجمته في الصلة ١/٩٦ ـ ٩٧.

(٢) الجذوة ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ج و ص ٩٩ ق والبغية ١٥٤ ج و ص ١٤٢ ـ ١٤٣ ق وأحمد بن محمد بن بدر من الأثيرين عند ابن عامر فلعل هذا النص من كتاب أبي محمد عن الشعراء الوافدين على المنصور.

(٣) الصلة ٢/٥٠٩ ـ ٥١٠.

وذكر الحميدي أنه شاهده وسمع منه بعد ٤٤٠ هـ بالمرية.

١٦٠ ـ قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن ابي القاسم الزبيدي:

قال لي أبو محمد علي بن الوزير أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم: إلا أنه كان شديد العجب، فأخبرني ابن عمي أبو عمر أحمد بن عبد الرحمن قال:

كتب أبو القاسم بن الزبيدي إلى الوزير أبيك كتابا يرغب فيه إليه أن يحسن العناية به في بعض الأمور وكتب في آخر الكتاب:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدوا له ما من صداقته بد

قال ابن عمي فأخبرني عمي يعني الوزير أبا عمر وقال:

فحولت الكتاب ووقعت على ظهره ولم أزد:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... صديقا له ما من عداوته بد[١]

التعليق على النص

* قال الحميدي عن ابن عم أبي محمد:

أبو عمر أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم كان من أهل الفضل والعلم تولى الحكم بالجانب الغربي من قرطبة للمهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر.

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وهو من بني عمه[٢].

وقال ابن بشكوال: أبو عمر أحمد بن عبد الرحمن بن غاب بن حزم من أهل قرطبة روى عن عباس بن أصبغ وأبي محمد الأصيلي وغيرهما.

ذكره أبو محمد بن خزرج وقال: كان شيخا جليلا من أهل الوقار

---

(١) جذوة المقتبس ص ١٠٦ ج و ص ٩٨ـ٩٩ ق والبغية ص ١٥٣ ج و ص ١٤٢ ق وورد هذا النص محققاً في رسائل ابن حزم ٢/٢٢٧ ج.

(٢) الجذوة ص ١٣١.

والتصاون، وتوفي بأشبيلية سنة سبع وعشرين وأربع مئة ومولده سنة ستين وثلاث مئة[1].

١٦١ ـ قال الحميدي عن جعفر بن عثمان:

أنشدني له أبو محمد علي بن أحمد:

يا ذا الذي أودعني سره ... لا ترج أن تسمعه مني
لم أجره بعدك في خاطري ... كأنه ما مر في أذني[2]

قال أبو عبد الرحمن: هذا من رجال السلطة فالظاهر أن النص عن الأوقات.

١٦٢ ـ قال الحميدي عن الغزال:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أنشدني أبو عبد الله محمد بن عمر بن مضاء للغزال:

قال لي يحيى وصرنا (م) بين موج كالجبال
وتولتنا عصوف ... من جنوب وشمال
شقت القلعين وانبتت (م) عرى تلك الحبال
وتمطى ملك الموت ... إلينا عن حيال
لم يكن للقوم فينا ... يا رفيقي رأس مال[3]

١٦٣ ـ قال الحميدي:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد الفقيه قال:

---

(١) الصلة ١/٤٦ ـ ٤٧.

(٢) الجذوة ص ١٨٧ ـ ١٨٨ج و ص ١٧٥ق والبغية ص ٢٥٧ج و ص ٢٤٠ق وأورد الحميدي هذا النص في التذكرة ورقة ٢٨٧ ضمن مجموع سبط ابن حجر.

(٣) الجذوة ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ و ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ق والبغية ص ٥٠٠ج و ص ٤٨٥ق ولم أجد عن ابن مضاء سوى قول الحميدي: من أهل الأدب مشهور بالفضل ذكره أبو محمد علي ابن أحمد ص ٧٦ ـ ٧٧.

أنشدني إبراهيم بن قاسم الأطرابلسي قال:
أنشدنا أبو جعفر القروي قال:

أنشدني أبو عمران موسى بن أصبغ المرادي الأندلسي المنقطع إلى الله الساكن بصقلية وكان كثير الشعر في الزهد، وذكر قصيدة طويلة منها:

متى يعتلي ويذكي سنا لبي
وأسقى بكأس الصدق من مائه العذب
فتحيا به نفس أضر بها المنى
ويحسن لي عيشي ويعذب لي شربي
وينعش أفكاري بروح نسيمه
ويرضى الرضى روحي ويهوى التقى قلبي[1]

١٦٤ - قال أبو محمد:

لما كانت الخلافة من الله على منهاج رسوله، وإقامة شعائر دينه، احتاج الناس إلى من يقوم فيهم مقام نبيهم لتأتلف برهبته الأهواء المختلفة، وتجتمع بهيبته الأقوال المتفرقة، وتنكف بسطوته الأيدي المتغالبة، وتنقمع من خوفه النفوس المعاندة، لأن في طباع البشر من حب المغالبة والقهر ما لا ينفكون عنه إلا بمانع قوي ورادع كفي.

فلما تحقق ذلك الصحابة والمؤمنون، واجتمع على الأخذ به العقلاء والمسلمون، لم يكن بد من اجتماع على إمام:

١ - يحفظ الدين من تبديل فيه أو زيادة عليه، ويحث على العمل به من غير إهمال له.
٢ - ويذب عن الأمة من عدو في الدين.
٣ - وعمارة البلدان باعتماد مصالحها، وتمهيد سبلها ومسالكها.

---

(١) الجذوة ص ٣٣٧ج و ص ٣١٦ق والبغية ص ٤٥٥ج و ص ٤٤٠ق وترجمة الأطرابلسي في الصلة ١/١٠١ - ١٠٢.

٤ - وتنفيذ ما يتولاه المسلمون من الأموال بسنن الدين، من غير تحريف في أخذها وإعطائها.

٥ - ومعاناة المظالم والأحكام بالتسوية بين أهلها واعتماد النصفة في فصلها، وإقامة حدود الله على مستحقيها، من غير تجاوز فيها، ولا تقصير عنها.

أقام الصحابة رضي الله عنهم أبا بكر رضي الله عنه مقام رسول الله ﷺ ثم عمر، ثم عثمان ثم علي مع خلاف عليه رضي الله عنهم أجمعين ثم لم يزل العمل جاريا على ذلك حتى الآن، بلا خلاف فيه بين المسلمين[1].

١٦٥ - قال أبو محمد:

فصل فيما يلزم الإمام من أمور الأمة وهي عشرة أشياء:

١ - حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، وإن نجم مبتدع فيه، أو زاغ ذو شبهة عنه، أوضح له الحجة، وبين له الصواب وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروسا من خلل والأمة ممنوعة من زلل.

٢ - تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين، حتى تعم النصفة، فلا يتعدى ظالم، ولا يستضعف مظلوم.

٣ - الحماية والذب عن الحريم، ليتصرف الناس في المعايش، وينتشروا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال.

٤ - إقامة الحدود، لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك وتحفظ الأمة عن إتلاف واستهلاك.

٥ - تحصين الثغور بالعدة المانعة، والقوة الدافعة حتى لا يظفر الأعداء بغرة ينتهكون بها محرما، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دما.

٦ - جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة

---

(١) الباب الأول من الشهب اللامعة لابن رضوان عن مقالة محمد إبراهيم الكتاني بمجلة تطوان.

لِيقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله.

٧ ـ جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصا أو اجتهادا.

٨ ـ تقدير العطا وما يستحق من بيت المال، من غير سرف ولا تقصير ودفعه في وقته لا تقديم ولا تأخير.

٩ ـ استكفاء الأمناء، وتقليد النصحاء، فيما يفوضه إليهم من الأعمال ويكل إليهم من الأموال، لتكون الأعمال بالأكفاء مضبوطة، والأموال بالأمناء محوطة.

١٠ ـ أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال، لينهض بسياسة الأمة، وحراسة الملة[١].

١٦٦ ـ قال أبو محمد:

يجب على الإمام أن يجعل يوما في الجمعة يركب فيه فتراه العامة كلها، ولا يمنع منه مشتك كائنا من كان[٢].

ويجعل سائر أيامه للنظر في الأمور، ولا يسرف على نفسه، لكن طرفي النهار من صلاة الصبح إلى ثلاث ساعات من النهار، ومن صلاة العصر إلى إسفار الشمس، ويجعل وسط نهاره لراحة جسمه، والنظر في ماله وأهله[٣].

ويمنع أهل الفضول من الوصول إليه، وملازمة داره ومجلسه، لئلا يشغل في مجالسة من لا يجدي عليه مصلحة في دينه ولا دنياه، وليغلق الباب دون ذلك جملة، فلا يطمع أحد في الوصول إليه لغير معنى[٤].

ويجعل الإمام عشي نهاره إلى الاصفرار للجلساء ويختارهم من أهل العلم، والفضل، والعقل، وحسن التدبير يخوض معهم في الفقه وفي سائر

(١) الفصل الرابع من الباب الأول من الشهب اللامعة عن مجلة تطوان.

(٢) قال الكتاني: نقل هذه الفقرة ابن الأزرق في بدائع السلك.

(٣) قال الكتاني: نقلها ابن الأزرق وعقب عليها بنقل كلام الجاحظ الذي قال عنه: إنه أوسع من كلام ابن حزم.

(٤) قال الكتاني: نقله ابن الأزرق.

العلوم الشرعية، وفي مذاكرة السياسة وأخبار الناس من الماضين فقد كان رسول الله ﷺ يجلس مع أصحابه ويذاكرهم ويشاورهم ويعلمهم، وكذلك كان الخلفاء بعده[1].

وقال أبو محمد:

ينبغي للملك أن يفرغ نفسه في ليله لعياله ونسائه وولده، ويعدل في القسم بين نسائه[2].

١٦٧ ـ قال أبو محمد:

ويتخذ من وجوه الكتاب، ووجوه الأطباء، والعلماء، والقضاة والأمراء قوما ذوي آراء سديدة وكتمان للسر، فيجعلهم وزراءه الذين يحضرون مجلسه ويلازمونه في التدبير لجميع ما قلده الله تعالى من أمور عباده[3].

١٦٨ ـ قال ابن حزم:

إذا نزلت بالملك معضلة ليس عنده فيها يقين، شاور من أصحابه وولاة حدوده من يرجو عنده فرجا من ذلك، ويشاور في الحروب أهل الحرب وسياساتها. ويسأل عن كل علم أربابه، ولا يتكل على رأي أحد، ولا يطلعهم على ما يختار من رأيهم، فإذا انقضى ما عندهم أنفذ ما رآه مما سمع منهم أو من رأي نفسه إن رآه صلاحا[4].

١٦٩ ـ قال ابن حزم:

يأخذ الناس السلطان بالعمارة وكثرة الغراس، ويقطعهم الاقطاعات في الأرض الموات، ويجعل لكل أحد ملك ما عمره ويعينه على ذلك، فبذلك ترخص الأسعار، ويعيش الناس والحيوان، ويعظم الأجر، ويكثر الأغنياء ويكثر ما تجب فيه الزكاة.

قال: ولا يمنع الإمام من البنيان الواسع، وأن يبلغ به غاية الاتقان

---

(١) قال الكتاني: نقلها ابن الأزرق. وجميع هذه النصوص نقلها الكتاني من الشهب اللامعة.

(٢) قال الكتاني: نقله ابن الأزرق. وما هنا نقله الكتاني من الشهب اللامعة.

(٣) نقله الكتاني من الشهب اللامعة الباب السادس.

(٤) نقله الكتاني من الشهب اللامعة الباب السابع.

والقوة ولكن يمنع من التزويق والتزخريف (كذا) وما أشبه ذلك[1].

١٧٠ ـ قال ابن حزم في سياسته:

ينبغي للإمام أن يولي الصلاة رجلا قارئا للقرآن، حافظا له، عالما بأحكام الصلاة والطهارة، فاضلا في دينه، خطيبا، فصيحا، معربا فقيها في جميع ذلك.

ومن ولاه الإمام الصلاة بأهل بلد كانت له الجمعة والعيدان والصلوات الخمس المفروضات والكسوف والاستسقاء في جميع البلدة التي ولي صلاتها. وحكم منزل صاحب الصلاة أن يكون بقرب الجامع، كما كان مسجد رسول الله ﷺ.

ويتخذ مؤذنين أو ثلاثة، صيتين فاضلين فصيحين بالأذان، عالمين بالأوقات، ويجب على الإمام التوسعة عليهم إن كانوا فقراء لئلا يحتاجوا إلى الشغل فيخلُوا بلزوم المسجد أوقات الصلوات.

ولا بد من خدمة يكتفون بقم المسجد وكنسه وتنظيفه وبسط حصره وتسوية حصاه إن كان مبسوطا بالحصى، وفتح أبوابه وإغلاقها، وتسوية صفوف المصلين.

ويجب على والي الصلاة أن يتفقد مساجد البلد الذي ولي الصلاة بأهله فيلزم أهل كل محلة أن يتولى إمامتهم أقرؤهم لكتاب الله، فإن استووا فأقدمهم صلاحا.

ويأخذهم بإقامة مؤذن راتب لكل مسجد، فإن لم يكن فيهم من يقوم بالصلاة والأذان تكفل لهم الإمام بإمام ومؤذن يجري عليهما ما يكفيهما إن كانا فقيرين.

ويتعاهد والي الصلاة قبلة ما أحدث من المساجد فيقيمها على شطر المسجد الحرام.

---

(١) نقله الكتاني من الشهب اللامعة الباب ٢٣

ويجري على ما ذكره من كل مال موقوف على مصالح المسلمين، فإن لم يكن هناك مال موقوف على ذلك جبر (كذا) الإمام الأكبر أهل كل محلة وقرية على القيام به[1].

١٧١ ـ قال ابن حزم:

ويلزم الإمام أن لا يبحث عن شيء من الحدود كلها أصلا إلا أن يجاهر بها صاحبها أو يشتكى إليه بفعل شيء منها فأي هذين الوجهين كان لزمه السؤال عن ذلك والإرسال إليه، كإرسال النبي ﷺ أنسا إلى المرأة، وسؤاله عليه السلام عن زنى الذي كان عسيفا على الآخر إذ شكا (كذا) إليه عليه السلام أمرهما[2].

١٧٢ ـ قال ابن حزم:

أما البريد فيلزم الإمام أن يرتب قوما من فرسان الجند ويقدم عليهم رجلا منهم موثوقا من أهل السياسة، والدلالة في الطرق والتبصر بالقبائل، يزيد في أرزاقهم، ويكونون مرتبين في كل قاعدة من قواعد بلاده، فإذا ناب خبر أو طرق أمر يجب على الإمام إعلام بعض أهل عمله به، أو يجب على بعض ولاته إعلام الإمام ويقلد الإمام أو الأمير بعض أولئك الفرسان إنهاءه إلى المكان الذي يجب انهاؤه إليهم وتكون لهم علامة يعرفون بها لا يشركهم فيها غيرهم، ويكونون مشاهير بما تولوا من ذلك، ليصح ما يأتون به من عند أترابه من الأمراء وسائر الولاة.

قال: ومن نزل به بريد المسلمين لزمته ضيافته، من غير تقصير ولا إسراف وكذلك علف دوابهم، ويكونون من أهل المعرفة بالطرق، وقوة الأجسام ويأخذهم الإمام باستجادة الدواب واختيار القري منها من البراذين والبغال، فإنها إن كانت لهم كانوا أحوط عليها.

---

(١) عن الشهب اللامعة الباب ١٩.

(٢) عن الشهب اللامعة الباب ١٩.

ويتفقد الإمام المولى عليهم، ويستخبرهم عن أحوال الطرق وأحوال الناس فيها[1].

١٧٣ ـ قال أبو محمد:

قال، ويخرج لكل جهة من يكتفي بصدقات أهلها، ويخرج معه من الأعوان والرجال ما يستعين به على عمله عددا لا يكتفى بأقل منه أصلا ولا يكثر ممن لا يحتاج إليه، ويأمرهم بأن لا يأخذوا من أحد جعلا، لأن لهم فيها يقبضون من قليل أو كثير حقا يقوم ويفضل عنهم.

أما في مسيرهم وترددهم فينبغي للإمام أن يدفع لهم نفقة يتبلغون بها فإن لم يكن مع الإمام مال فاضل، فضيافتهم فرض على كل من نزلوا به، لأنهم أبناء سبيل في خدمة المسلمين.

ولا يكون من يتولى ذلك إلا عالما بأحكام الصدقات ومقاديرها ونصابها وصفات ما يؤخذ منها وممن تؤخذ، وكيف تؤخذ، حليما، غير عانف متيقظا: غير مغفل[2].

١٧٤ ـ قال أبو محمد:

يلزم الإمام أن يجعل لوالي الخراج ما يقوم به وبخدمته وأعوانه، من غير تقتير ولا تبذير، فإن لم يكن للإمام مال يفضل لذلك، فمؤنتهم ومؤنة أعوانهم عن المعتمرين لأرض الخراج[3].

١٧٥ ـ قال ابن حزم:

يلزم الإمام أن يتخير ولاته وعماله من المسلمين وأهل الدين، إذ لا يمكنه المباشرة لكل أمور المسلمين، ولئلا يشتغل عن تدبير الأمور العظيمة التي ابتلاه الله بها واختصه لها.

---

(١) عن الشهب اللامعة الباب ١٩.

(٢) عن الشهب اللامعة الباب ١٩.

(٣) عن الشهب اللامعة الباب ١٩.

والأعمال بعد الخلافة اثنا عشر عملا:

١ ـ أولها الصلاة.

٢ ـ وقبض الزكاة وتفريقها، وقبض الجزية وتفريقها.

٣ ـ وولاية الجيوش، وتدبير الحروب، وأخذ المغانم وتخميسها وقسمتها وما صار من المشركين إلى المسلمين وحكمه.

٤ ـ إقامة الحدود.

٥ ـ والأقضية.

٦ ـ والشرطة.

٧ ـ والحسبة.

٨ ـ والكتابة.

٩ ـ والمحاسبة.

١٠ ـ والبريد.

١١ ـ والاختزان.

١٢ ـ وإقامة الحج.

فيلزم الإمام أن يتخير الولاة والأمراء والعمال لكل ما ذكرنا فإن رأى أن يفرق هذه الأعمال في كل بلد وعلى عدد رجال فحسن، كما بعث رسول الله ﷺ عليا قاضيا لليمن وقابضا للأخماس، وبعث خالداً إليها متوليا للحرب، وبعث معاذا وأبا موسى الأشعري إليها معلمين للقرآن وأحكام الدين وقبض الصدقات، وولى أعمالها جماعة غير هؤلاء.

وإن رأى أن يجمعها أو بعضها لواحد في بلد واحد فحسن، كما جمع النبي ﷺ اليمن كله لباذان، وجمع عمان كله لعمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين.

ويلزم الإمام الأعظم أن يرزق أمراء النواحي رزقا واسعا يقوم بهم وبمؤنتهم على السعة التي لا يشرهون معها إلى مال أحد من أهل عملهم ويرزق من هم من الأعوان والفرسان والرجال، ويكونون عددا يستظهرون به على ما هم بسبيله على قدر ما يلي كل واحد منهم من كبر الناحية

وصغرها من قمع ظالم إن ظلم، أو معاند إن عاند، أو أشباه ذلك.

ويلزم الإمام الأكبر أهل كل جهة من جهات بلده أن يفد عليه من خيارهم وعلمائهم ووجوه قومهم، ليستخبرهم عن حال الأمير والناس، ويكسوهم ويصلهم على نحو ما كان عليه السلام يفعل، فإذا وفدوا عليه انفرد بهم عن كل من ذكر، ثم ينفرد بوجوه قومهم: واحداً بعد واحد، حتى يقف على الحق من الباطل في أمر الناس وأمور ولاته، وجميع أحوال عماله والذي نختاره للإمام على كل حال أن لا يطول مدة أمير بلد، لا سيما البعيدة عنه، أو الثغور التي فيها القلاع المنيعة والجند الكثير، أو التي فيها المال الكثير، بل يعجل عزل كل أمير يوليه شيئا من ذلك، وإن كان عدلا فاضل السيرة فيوليه الإمام بلداً آخر من بلاده، ليعم بعدله وحسن سيرته ما أمكنه من بلاد رعيته، ويحسم أطماعهم في الرجوع إلى البلاد التي عزلوا منها، ولا يخص بوال أهل بلد ما، وأما سائر البلاد فبخلاف ذلك لا يعزل عنهم أحد إلا عن جور ظاهر، أو خيانة بينة.

ولا يفتح الإمام باب التشكي بالقضاة، لا سيما من طالبي الترؤس من أهل البلدان فإن شكوا كلفوا تبيين ما شكوا به، فإن فعلوا عزل عنهم وبكت، وإن ظهر تحاملهم عليه عوقبوا بالسجن والإخمال وإسكانهم في غير بلادهم حتى يتوبوا عن طلب الفضول ويقبلوا على شأنهم.

وينبغي للإمام أن يتخذ خازنا ثقة، عفيفا، دينا، ضابطا يختزن كل ما يرد على الإمام من الأموال، ولا يخرج منها شيئا إلا عن علم الإمام أو بكتبه، ويكون له نظار وحراس يحرسون الأموال، لئلا تضيع أو تسرق، حتى توضع موضعها. ويجب على الخازن تصنيف الأموال وترتيبها والكتب عليها وعلى أنواعها والوجوه التي قبضت منها، مفصلا كل ذلك.

ويتخذ الإمام خازنا للسلاح فمن أعطاه الإمام شيئا من ذلك أثبت ذكره، وتاريخه باليوم والشهر والعام، وإن أعطاه عارية كتب عليه اسم الذي استعاره، وأخذ برد ما لم يثبت أنه ضاع، فإن اتهم بخيانة لم يعطه الإمام شيئا بعدها.

ويتخذ الإمام ناظرا على الخيل، يشرف على إعلافها ونفقاتها وخدامها وتكون كلها مذكورة في زمام بأثمانها وشياتها وسماتها.

وينصب للمواريث التي لا مستحق لها رجلا أمينا في كل بلد عالما بالفرائض وقسمتها يحصل ما يجب من ذلك في زمام، ويرفع المال إلى الإمام ليضعه حيث وضعه الله عز وجل.

ويرزق الإمام من ذكر ما يغنيهم عن الخيانة، ويستغنون به عن سائر الكسب الشاغل لهم عما هم بسبيله من خدمة المسلمين[1].

١٧٦ ـ قال ابن حزم:

يعهد الإمام إلى من قلده ولاية من الولايات أن يكون لهم سجن ثقيف للدعار ومن تخاف غائلته، وسجن آخر غير ذلك للمستورين المحبوسين في الديون والآداب وأشباهها.

ويتفقد أحوال جميعهم في جميع ذلك.

وسجن للنساء مفرد بواباته موثوق بهن، ولو جعل للمستورات المحبوسات في الديون والآداب سجن على حدة من سجن المحبوسات في التهم القبيحة لكان حسنا.

ويجعل الإمام لأهل السجن إماما يصلي بهم الجمعة والفرائض ويرزقه من بيت مال المسلمين[2].

قال محمد إبراهيم الكتاني: هذه هي النصوص التي نقلها لنا ابن رضوان في (الشهب اللامعة) عن (كتاب السياسة) لابن حزم، وقد أشرنا إلى ما نقله منها أو أشار إليه ابن الأزرق في (بدائع السلك) إتماما للفائدة.

---

(١) كل هذه النصوص عن الشهب اللامعة الباب ١٩.

(٢) عن الشهب اللامعة الباب ٢١.

التعليق على النص

* هذا النص وما قبله من نصوص نقلت عن كتاب السياسة لابن حزم مما نشر بجريدة تطوان[1] بعنوان:

بين يدي شذرات من كتاب السياسة لابن حزم تخريج الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني خرجها من كتاب الشهب اللامعة في السياسة الملوكية والسير السلطانية لأبي القاسم عبد الله بن يوسف البخاري المالقي (ابن رضوان) ومنه عدة نسخ خطية بالخزانة العامة بالرباط.

وقد أحال الكتاني بعض هذه النصوص أيضا إلى بدائع السلك لابن الأزرق وهو كتاب مطبوع.

قال أبو عبد الرحمن: ولدي صورة لمخطوط في السياسة لمؤلف مجهول أصله بالخزانة العامة بالرباط أكثر فيه النقل عن ابن حزم وسأحاول إن شاء الله نقل ما يهم فيه بالسفر الثاني.

كما أن الكتاني في شذراته أورد نصوصا عن الرسائل الصغرى لمحمد بن عباد الرندي إلا أنني لما تأملت هذه النصوص وجدتها بكتاب ابن حزم المطبوع (مداواة النفوس) وليست بكتابه المفقود عن السياسة.

١٧٧ ـ قال أبو محمد:

وقد صح عندنا أن بجبال رية أعنابا إذا طبخ عصيرها فنقص منه الربع صار ربا خاثراً لا يسكر بعدها كالعسل فهذا حلال بلا شك.

وشاهدنا بالجزائر أعنابا رملية تطبخ حتى تذهب ثلاثة أرباعها وهي بعد خمر مسكرة كما كانت فهذا حرام بلا شك. وبالله تعالى التوفيق[2].

١٧٨ ـ قال أبو محمد عن المالكية:

وأجازوا بيع الجزر والبصل والفجل المغيبة في الأرض؟.

---

(١) عدده عام ١٩٦٠م ص ٩٤ ـ ١٠٧.

(٢) المحلى ٢٦٧/٨.

واحتج بعضهم علي في ذلك بقول الله تعالى: ﴿يؤمنون بالغيب﴾ فقلت فأبح بهذه الآية بيع الجنين في بطن أمه دون أمه لأنه من الإيمان بالغيب؟!!.

وهذا احتجاج نسأل الله السلامة من مثله في تحريف كلام الله تعالى عن مواضعه إلى ما ليس فيه منه شيء[1].

١٧٩ ـ قال أبو محمد:

وقد شاهدنا جزيرة ميورقة يجمعون في قراها حتى قطع ذلك بعض المقلدين لمالك وباء بإثم النهي عن صلاة الجمعة[2].

١٨٠ ـ قال أبو محمد:

قال ابن جريج: وأخبرني ابن طاووس عن أبيه أنه كان يكفن الرجل من أهله في ثلاثة أثواب ليس فيها عمامة.

وهو اختيار الشافعي وأبي سليمان وأحمد بن حنبل وأصحابهم.
وهكذا كفن بقيّ بن مخلد وقاسم بن محمد.
أفتى بذلك الخشني وغيره ممن حضر[3].

١٨١ ـ قال أبو محمد:

شاهدنا الدينار يبلغ بالأندلس أزيد من مئتي درهم[4].

١٨٢ ـ قال أبو محمد:

وقد قلت لبعضهم: ما تقولون فيمن باع سلعة إلى أجل بدينار ثم اشتراها بنقد بدينارين؟!.

فقال: حلال.

---

(١) المحلى ٢٧٦/٩.
(٢) المحلى ٧٨/٥.
(٣) المحلى ١٧٩/٥.
(٤) المحلى ١٠٣/٦.

فقلت له: ومن أين وجب أن يكون إذا باعه بدينارين واشتراه بدينار ربا وديناراً بدينارين، ولم يجب إذا باعه بدينار إلى أجل واشتراه بدينارين أن يكون ربا وديناراً بدينارين؟!.

وهل في الهوس أعظم من أن يبيع زيد من عمرو ديناراً بدينارين فيكون ربا ويبيع منه دينارين فلا يكون ربا؟.

ليت شعري في أي دين وجدتم هذا؟ أم في أي عقل؟.

فما أتى بفرق ولا يأتون به أبداً[1].

١٨٣ ـ قال أبو محمد:

وكان يحيى بن يحيى الليثي وبقيّ بن مخلد لا يريان القنوت وعلى ذلك جرى أهل مسجديها بقرطبة إلى الآن[2].

١٨٤ ـ قال أبو محمد:

وكان في أصحابنا فتى اسمه يبقى بن عبد الملك ضربه معلمه في صباه بقلم في خده فيست عينه فهذا عمد يوجب القود، لأن الضربة كانت في العصبة المتصلة بالناظر[3].

١٨٥ ـ قال أبو محمد:

أخبرني أحمد بن سعيد بن حسان بن هداج العامري وكان ثقة مأمونا فاضلاً أنه أصابه خراج في البيضة اليسرى أشرف منه على الهلاك وسالت كلها ولم يبق لها أثر أصلا ثم برىء وولد له بعد ذلك ذكر وأنثى، ثم أصابه خراج أيضا في اليمني فذهب أكثرها ثم برىء ولم يولد له بعدها شيء[4].

---

(١) المحلى ٩/٦٩٤.
(٢) المحلى ٤/١٩٧.
(٣) المحلى ١٢/١٥٠.
(٤) المحلى ١٢/١٩٤.

١٨٦ ـ قال أبو محمد:

وقد روي عن محمد بن بشير القاضي بقرطبة أنه أحلف شهوداً في تزكية: بالله إن ما شهدوا به لحق.

وروي عن ابن وضاح أنه قال: أرى لفساد الناس أن يحلف الحاكم الشهود ذكر ذلك خالد بن سعد في كتابه في أخبار فقهاء قرطبة[١].

١٨٧ ـ قال أبو محمد:

الدانق سدس الدرهم الطبري وهو الأندلسي.

فالدانقان وزن ثلث درهم أندلسي وهو سدس المثقال من الذهب[٢].

١٨٨ ـ قال أبو محمد عن مقدار دينار الذهب بمكة والدرهم والرطل:

وبحثت أنا غاية البحث عند كل من وثقت بتمييزه فكل اتفق لي على أن دينار الذهب بمكة وزنه اثنتان وثمانون حبة وثلاثة أعشار حبة بالحب من الشعير المطلق والدرهم سبعة أعشار المثقال.

فوزن الدرهم المكي سبع وخمسون حبة وستة أعشار حبة وعشر عشر حبة.

فالرطل مئة درهم وواحد وثمانية وعشرون درهما بالدرهم المذكور[٣].

التعليق على النص

* قال أبو محمد عبد الحق الإشبيلي (ابن الخراط):

إن زنة الدينار اثنتان وسبعون حبة من الشعير الوسط.

---

(١) المحلى ٥٢٨/١.

(٢) المحلى ١٠٨/١١.

(٣) المحلى ٢٤٦/٥.

وقال: إنه الذي نقله المحققون وعليه الإجماع إلا ابن حزم فإنه خالف في ذلك وزعم أنه أربع وثمانون حبة.
وقال ابن خلدون والقلقشندي:
إن العلماء ردوا كلام ابن حزم وعدوه وهما أو غلطا[1].
قال أبو عبد الرحمن: ما نقله عبد الحق عن ابن حزم مخالف لما سقته من نص ابن حزم في المحلى.

١٨٩ ـ قال أبو محمد عن تبكير الزرع في الأندلس:

وأبكر ما صح عندنا يقينا أنه يبدأ إبان يزرع فبلاد من شنت بريه[2] وهي من عمل مدينة سالم بالأندلس[3].

فإنهم يزرعون الشعير في آخر أيلول وهو شتنبر [سبتمبر] لغلبة الثلج في بلادهم حتى يمنعهم من زرعها إن لم يبكروا به كما ذكرنا.

ويتصل الزرع بعد ذلك مدة ستة أشهر وزيادة أيام، فقد شاهدنا في بعض الأعوام زريعة القمح والشعير في صدر آذار وهو مرس [مارس]. وأبكر ما صح عندنا حصاده فألش[4] من عمل تدمير[5] فإنهم يبدأون

---

(١) النقود العربية وعلم النميات ـ جمع أنستاس الكرملي ص ١٠٩.

(٢) برية: مدينة متصلة بحوز مدينة سالم بالأندلس وهي شرقي قرطبة. ضبطها ياقوت بكسر الراء وتشديد الياء، وفي إحدى نسخ المحلى الخطية ضبطت بسكون الراء وفتح الياء.
وعن (شنت) قال ياقوت: أظنها لفظة يعني بها البلدة أو الناحية لأنها تضاف إلى عدة أسماء.
وقال أحمد شاكر في تعليقه على المحلى: بل هي تعريب كلمة سانت بمعنى قديس.

(٣) قال ابن حزم في طوق الحمامة:

وأثقل من عذل على غير قابل ... وأبرد برداً من مدينة سالم

قال أستاذنا الدكتور إحسان عباس: مدينة سالم تقع على بعد ١٣٥ كيلو متراً على الطريق من مدريد إلى سرقسطة وقد توفي المنصور بها ودفن هنالك، وهي في منطقة شديدة البرودة شتاء فلذلك ضرب بها المثل [يعني ابن حزم] هنا. انظر الإدريسي (دوزي): ١٨٩. أهـ. رسائل ابن حزم الأندلسي ١/١٧٩ج مع الحاشية.

(٤) ألش: مدينة بالأندلس.

(٥) تدمير: كورة شرقي قرطبة.

بالحصاد في أيام باقية من نيسان وهو إبريل، ويتصل الحصاد أربعة أشهر إلى صدر زمن أيلول وهو أغشت [أغسطس][1].

١٩٠ ـ قال أبو محمد:

بعض نوكى الصوفية زعموا أن الخضر وإلياس عليهما السلام حيّان إلى اليوم.

وادعى بعضهم أنه يلقى إلياس في الفلوات والخضر في المروج والرياض، وأنه متى ذكر حضر على ذاكره.

قال أبو محمد: فإن ذكر في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها وفي ألف موضع في دقيقة واحدة كيف يصنع؟ ولقد لقينا من يذهب إلى هذا خلقا وكلمناهم منهم المعروف بابن شق الليل المحدث بطلبيرة وهو مع ذلك من أهل العناية وسعة الرواية.

ومنهم محمد بن عبد الله الكاتب وأخبرني أنه جالس الخضر وكلمه مراراً.

وكفار برغواطة إلى اليوم تظرون صالح بن طريف الذي شرع لهم دينهم[2].

١٩١ ـ قال ابن حزم:

قال أيوب السختياني رحمه الله: إنما نقلها من دار الإمارة.

قال أبو محمد: أما قوله نقلها عن دار الإمامة فوا فضيحتاه!!.

وهل كان في المدينة قط دار إمارة مدة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية.

وهل سكن كل واحد من هؤلاء إلا في دار نفسه لكن لما رأى أيوب

(١) المحلى ٥/٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٢) الفصل ٥/٢١ج و ٤/١٨٠ق.

رحمه الله دار الإمارة بالبصرة ظن أنها بالمدينة كذلك وأن عمر بن الخطاب سكن في دار الإمارة بالمدينة.

فيا للعجب!![1].

١٩٢ ـ قال أبو عبد الله الحميدي في ترجمة محمد بن إسحاق:

سمعت أبا محمد علي بن الوزير أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم يقول:

سمعت أبا عبد الله محمد بن إسحاق بن عبيد الله بن إدريس بن خالد يقول للوزير أبي رحمه الله على سبيل الوعظ في مناجاته إياه:

احرص على أن لا تعمل شيئاً إلا بنية، فإنك تؤجر في جميع أعمالك إذا أكلت فانو بذلك التقوي لطاعة الله.

وكذلك في نومك وتفرُّجك وسائر أعمالك:

فإنك ترى ذلك في ميزان حسناتك.

قال لي أبو محمد:

وما زلت ـ منذ سمعت ذلك ـ منتفعاً به.

كما أني انتفعت بما رويت عن الخليل رحمه الله من قوله:

ينبغي للمرء أن يستشعر في أحواله كلها أن يكون عند الله عز وجل من أرفع طبقته، وأن يكون عند الناس من أوسط أهل طبقته، وعند نفسه من أقلهم وأدناهم.

فبهذا يصل إلى اكتساب الفضائل[2].

١٩٣ ـ قال الحميدي عن أبي الأصبغ الخازن:

شاعر مشهور ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأنشد له:

---

(١) المحلى ٣٠٣/١٠.

(٢) الجذوة ص ٤٤ج و ص ٤١ ـ ٤٢ق والبغية ص ٦٠ ـ ٦١ج و ص ٥٠ق.

كأني سامع بعدي وقد ذهبت نفسي ووافاني المحذور من أجلي
قولين والنعش موضوع على جدثي قولاً عليّ بمكروه وآخر لي
من شامت بي أو محض الوداد ولم ينفع ولا ضر إلا سالف العمل[1]

١٩٤ ـ قال الحميدي في كلامه عن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن الحسين التميمي الطبني أبي بكر الوزير[2]:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:

بات عندي أبو بكر إبراهيم بن يحيى في ليلة مطيرة، فاستدعيت ابن عمه أبا مروان عبد الملك بن زيادة الله بهذين البيتين:

صنواك في ربعي فثلثهما عيث السواري وأبو بكر
صلني بلقياك التي أبتغي أصلك بالحمد وبالشكر

١٩٥ ـ قال أبو عبد الله الحميدي ف كلامه عن مركوش النحوي:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أنشدني أبو محمد بن أزهر قال:

أنشدني عبادة بن ماء السماء لمركوش النحوي وقد رأى غلاماً يقص من شعره:

تبسم عن مثل نور الأقاح وأقصدنا بمراض صحاح
ومر يميس كما ماس غصن تلاعب عطفيه هوج الرياح
وقصر من ليله ساعة فأعقب ذلك ضوء الصباح
وإني وإن رغم العاذلون (م) من خمر أجفانه غير صاح[3]

---

(١) الجذوة ص ٢٩٩ج و ص ٢٨٠ق والبغية ص ٤٠٣ج و ص ٣٩٠ق.

(٢) الجذوة ص ١٥٨ ـ ١٥٩ج و ص ١٤٩ق والبغية ص ٢٢٧ج و ص ٢١٢ ـ ٢١٣ق رواه عن أبي الحسن نجبة بن يحيى بن خلف بن نجبة وغيره من شريح، وورد النص محققاً في رسائل ابن حزم ٢ / ٢٣٠ج.

(٣) جذوة المقتبس ص ٩٣ج و ص ٨٦ق والبغية ص ١٣٢ج و ص ١٢١ق.

١٩٦ ـ قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن أبي جعفر محمد ابن علي الأصبحي:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأنشدني عنه قال:

أنشدني أعرابي من ديار ربيعة:

كلام الليل مطلي بزيت إذا طلعت عليه الشمس ذابا[1]

١٩٧ ـ قال الحميدي عن ثابت الجرجاني:

وأخبرني عنه أبو محمد علي بن أحمد قال:

أخبرني علي بن حمزة ضيف المتنبي قال وعنده نزل المتنبي ببغداد: أن القصيدة التي أولها:

هذي برزت لنا فهجت رسيسا

قالها في محمد بن زريق الناظر في زوامل ابن الزيات صاحب طرسوس، وأنه وصله عليها بعشرة دراهم.

فقيل له:

إن شعره حسن.

فقال: ما أدري أحسن هو، أم قبيح؟.

ولكن أزيده لقولكم عشرة دراهم.

فكانت صلته عليها عشرين درهما[2].

١٩٨ ـ ويرى أبو محمد أن التمسك بالتقليد مع وضوح الحجة المعارضة لمذهب المقلد يكون بسبب حب الرئاسة.

قال أبو محمد:

---

(١) جذوة المقتبس ص ٧٧ج و ص ٧٢ق والبغية ص ١١٣ج و ص ١٠٣ق.

(٢) الجذوة ص ١٧٣ ـ ١٧٤ق و ص ١٨٥ج ولم يورد هذا الخبر صاحب البغية وانظر رسائل ابن حزم ٢ /٢٢٨ج.

نعوذ بالله من كل حب رياسة تقود إلى مثل هذا[1].

١٩٩ ـ ذكر ابن حزم عن عبد الرحمن الداخل:

أنه كان فيمن وفد عليه ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية فسعى في طلب الأمر لنفسه فقتله سنة ١٦٧ هـ وقتل معه من أصحابه هذيل بن الصميل بن حاتم ونفى أخاه الوليد بن معاوية والد المغيرة المذكور إلى العدوة بماله وولده وأهله[2].

٢٠٠ ـ يرى أبو محمد أن الله فاضل بين عباده بالعقل ومن لم يقل بذلك يلزمه أن العظماء من الصالحين والحكماء المميزين بالعقل لا يختلفون عن:

المخنث البغاء الزفان والزانية الخليعة المتبرجة السحاقة والشيخ الذي يلعب مع الصبيان بالكعاب والخانات ويعجفهم إذا قدر[3].

٢٠١ ـ قال أبو محمد عن قرعوس بن العباس:

من المحال أن يروي قرعوس عن ابن جريج إذ مات ابن جريج سنة ١٥٠ هـ وقرعوس مات سنة ٢٢٠ هـ ولم يطل عمر قرعوس طولا يحتمل هذا.

وكذلك وفاة سفيان سنة ٦١ هـ[4].

٢٠٢ ـ قال ابن حزم عن أحمد بن بيطر:

كان ذا سمت وهدى لم يكن من شأنه الجمع والرواية كان صاحب فقه ومسائل[5].

٢٠٣ ـ قال أبو محمد عن فضل بن سلمة:

كان من أعلم الناس بمذهب مالك[6].

---

(١) الإحكام ٢/١١ق ويستنتج من هذا النص أنه يعرض بالمالكية.

(٢) نفح الطيب ٣/٤٦ ـ ٤٧.

(٣) الفصل ٣/٩٢ ـ ٩٣ق و ٣/١٢٦ج.

قال أبو عبد الرحمن: في هذا دلالة على المجتمع الأندلسي بلا ريب.

(٤) ترتيب المدارك ٢/٤٩٣.

(٥) الديباج المذهب ١/١٥٥.

(٦) الديباج المذهب ١/١٣٧.

٢٠٤ ـ قال أبو محمد عن الجاحظ:

عمرو بن بحر الجاحظ وهو وإن كان أحد المجان ومن غلب عليه الهزل وأحد الضلال المضلين:

فإننا ما رأينا له في كتبه تعمد كذبة يوردها مثبتا لها وإن كان كثيراً لإيراد كذب غيره[١].

٢٠٥ ـ قال أبو محمد ـ في رسالة له إلى صديقه ابن الحوات ـ:

وردني يا سيدي وأخي كتابك أكرم كتب الأحبة في الله عز وجل.
وحمدت الله تعالى عز وجل على ما أدى إليه من صلاح حالك.

وأورد عليّ صاحبنا أبو عبد الله محمد بن الحسن أكرمه الله من خبرك ما أبهجني وملأ نفسي سروراً.

فلن تزال الدنيا بخير ما دام مثلك مرفوع اللواء، معمور الفناء.
وحمدت الله عز وجل على ما ذكرته فيه من حسن معتقدك لي، فهذا الذي يلزم بعضنا لبعض، فنحن غرباء بين المتعصبين على من سلم لهم دنياهم ليسلم له دينه.

ووقفت على قولك فيه:

إنه لولا خوف المشغبين، وما دهينا به من ترؤس الجاهلين لكتبت أقوالك ومذاهبك، وبثثتها في العالم، وناديت عليها كما ينادي على السلع! فاعلم يا أخي وفقنا الله وإياك أن خوفك المشغبين لا يكف عنك غرب أذاهم لو قدروا لك على مضرة.

وان كشفك الحق، وصدعك به لا يقدم إليك مؤخرا عنك.

يا أخي: اجتهد لربك، وادع إليه، وخفه في الناس يكفك الله تعالى أمرهم، ولا تخفهم فيه، فيدعك وإياهم.

---

(١) الفصل ٥/٢٢ق و ١٨١/٤ج

وكأني بالموت قد نزل فتركت من تداريهم مسرورين بذهابك، لا يمعونك بنافعة.

واذكر قول نبيك محمد عليه السلام لعلي رضي الله عنه لأن يهدي الله بهداك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم.

ولقد أضحكني قولك إنك علمت من مذهبي أني أفضح بكل من قال مقالة، فخشيت أن أفصح باسمك فيما لم تقله!.

فمعاذ الله أن أفصح عنك أو عن غيرك إلا باليقين المحض.

وأما إذا علمت أن الأخ من إخواني يكره أن أفصح عنه بمقالة يقولها، فهي مدفونة خلال الشغاف لا سبيل إلى تحريك لساني بها بيني وبين نفسي بحيث يمكن أن يسمعني سامع.

فكيف أن أبثها؟!.

وأما أنا فلست أكره أن تبث عني ما أقوله على حسبه!.

وأما قولك: أما تقصد الآن إلى أن يؤثر عليك قول إلا حتى تستخير الله تعالى فيه كثيراً، وتصحح نيتك في ذلك [؟] فحسن جداً ، وحال لا ينبغي لأحد تعديها.

واما قولك: حتى إذا بلغت إلى حد الحسبة والصبر إن كانت محنة تناولت الأوكد فالأوكد فحالة أريد ألا تتصورها ولا تتمثلها، فإنها مبخلة مجبنة! وتذكر قول العامة: فلان يحب الشهادة والرجوع إلى البيت!.

مع أني أرجو الكفاية من الله عز وجل والحماية.

وأذكر قوله ووعده الصادق المضمون عندي إذ يقول:

﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾.

والله يا أخي لقد حماني تعالى، وما أعدمني من مخالفي مقالتي من يذود عني، ويذب عن حوزتي أشد الذب.

وإني لأدعو الله لهم مدى عمري.

أولهم القاضي أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن بشر، وأبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرؤوف الحكم - نور الله وجهيهما، وجازاهما بأفضل سعيهما فلقد قام لي منهما ما يقوم من الأخوين المحبين.

ثم أبو العاصي حكم بن سعيد غفر الله ذنبه، وتغمد خطاياه، وقارضه بالحسنى فإنه أبلى في جانبي أتم بلاء.

وما قصر يونس بن عبد الله بن مغيث شيخنا نضر الله وجهه، وأكرم منقلبه.

ولقد بلغ أبو جعفر أحمد بن عباس من ذلك الغاية القصوى، واستئثار الأجر الجزيل، والذكر الجميل برد الله مضجعه، ولقاه الروح والريحان. ثم الكاتب الفاضل ذو المآثر العالية، والفضائل السامية، والأعمال الزاكية، والسعي المحمود : أبو العباس.

المشغوف بالعلم وتقديم الحسنات كشغف غيره بالأموال واللذات صديقك ومحبك ومؤثرك لا زالت عليه من الله واقية في دنياه فلقد هيأه الله لمنافع عباده، وأجرى الصالحات على يده كثيرا.

وألحقه إذا دعاه بنبيه في أعلى عليين.

وأما قولك: إنك تتناول في خلال ما تتناول بضروب من السياسة فحسن جداً.

جعلنا الله وإياك من الداعين إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة.

ومن أعجب ما مر بي منذ دهر قولك في كتابك:

إنه بلغك عني أني أقول عنك: إنك تقول:
«لا إدام إلا الخل» من أجل حديث النبي ﷺ:
نعم الإدام الخل.

فاعلم يا أخي أنه قد ساءني هذا جدا أن أكون عندك بهذا المحل!.

وأقل ما أقول لك: والله الذي لا أقسم بسواه، ولو علمت أعظم من هذا القسم لأقسمت به لك، وأعوذ بالله أن أعتقد في العالم قسمًا غيره، فكيف مثله؟ فكيف أشد منه:

إن كنت قط سمعت هذه المقالة من أحد من خلق الله تعالى يحكيها لي عنك، ولا رأيتها عنك في كتاب، ولا طنت على أذني حتى رأيتها في كتابك!.

فكيف أن أحكيها عنك، فأستجيز الكذب البحت عليك؟!.

حاشا لله من هذا!.

وليس هذا النص من دليل الخطاب. إنما كان يمكن أن يتأول على من يقول بدليل الخطاب: لا نعم الإدام إلا الخل.

وأما القطع بأن لا إدام غيره، فليست هذه القضية مقتضية هذه الأخرى.

فبالله إلا ما أعرضت عن كل شرير يريد أن يسمع الناس سبهم على ألسنة غيرهم!.

ورأيت المدرجة ووقفت عليها.

أسأل الله أن يجعلنا وإياك ممن يستمع القرآن والقول فيتبع أحسنه.

والجملة التي أوردت من قولي فيها، فهو قولي أيضا.

وكذلك وقفت على الفصول التي ذكرتني أحسن الله جزاءك على ذلك، فهكذا تكون الناس[1]!.

٢٠٦ ـ قال أبو محمد:

عندما أورد اعتراضات على صحة الاشتقاق في اللغة ـ:

---

(١) رسالة البيان لابن حزم ضمن رسائل ابن حزم ١/٢١ ـ ٢٤ق وهذا نص نفيس جداً فيه ما يفيد كثيراً عن سيرة ابن حزم.

«وقد عارضت بهذا وشبهه أذكر من لقينا من شيوخنا في اللغة، وهو أبو عبيدة حسان بن مالك - رحمه الله - فما وجدت عنده مدفعا ولا اعتراضا، وكان (رحمه الله) النهاية في علم اللغة مع تحريه فيما يورده منها، وتثبته، وشدة إنصافه»[1].

٢٠٧ - قال أبو محمد:

«شاهدت بعض أهل مساجد الجانب الشرقي بقرطبة أيام تغلب البربر عليها يستفتون شيوخ المالكيين في تعجيل العتمة قبل وقتها خوف القتل إذ كان متلصصة البربر يقفون لهم في الظلام في طرق المسجد، فربما آذوا إيذاء شديدا فما فسحوا لهم في ذلك[2]!.

٢٠٨ - قال الحميدي عن محمد بن عبد الله بن حكم:

وقال لي أبو محمد علي بن أحمد: كان ثقة يعرف بابن البقري جارنا بالجانب الغربي بقرطبة لم آخذ عنه شيئا[3].

٢٠٩ - قال الحميدي عن أحمد بن تليد الكاتب:

أندلسي شاعر أديب ذكره أبو محمد علي بن أحمد[4].

٢١٠ - قال الحميدي عن أبي حفص أحمد بن برد:

قال لي أبو محمد علي بن أحمد: مات سنة ٤١٨ هـ[5].

٢١١ - قال أبو محمد:

ولكن أصحابنا يغفر الله لهم ويسددهم أضربوا عن الواجب عليهم من تدبر أحكام القرآن ورواية أخبار النبي ﷺ واختلاف العلماء، ومعرفة مراتب الاستدلال المفرق بين الحق والباطل.

---

(١) الإحكام ٨/٩٥ق.

قال أبو عبد الرحمن: لا برهان لأبي محمد في إنكار الاشتقاق وسيأتي بيان ذلك في أحد أسفار هذا الكتاب إن شاء الله.

(٢) الإحكام ٣/٦٧ق.

(٣) الجذوة ص ٦٥ج و ص ٦١ق والبغية ص ٩٠ ج و ص ٨٠ق.

(٤) الجذوة ص ١١٩ج و ص ١١١ق والبغية ص ١٧٣ج و ص ١٦١ق.

(٥) الجذوة ص ١١٩ ج و ص ١١١ق والبغية ص ١٧٢ج و ص ١٦١ق.

وأقبلوا على ظلمات بعضها فوق بعض:

من قراءة طروس معكمة، مملوءة من قلت أرأيت؟!.

فقنعوا بجوابات لا دلائل عليها، وأفنوا في ذلك أعمارهم فصفرت أيديهم من معرفة الحقائق، وظلموا من اغتر بهم!.

والأقل منهم شغلوا أنفسهم في أنواع القياس، وتخصيص العلل، واستخراج علل لم يأذن بها الله تعالى ولا رسوله، ولا يقوم على صحتها برهان.

فقطعوا أيامهم بالترهات!.

ولو اعتنوا بما ألزمهم الله تعالى الاعتناء به:

من تدبر القرآن، وتتبع سنن النبي ﷺ لاستناروا واهتدوا، ولاستحقوا بذلك الفوز والسبق. وما توفيقنا إلا بالله تعالى[1].

٢١٢ ـ قال أبو محمد:

قد يحمل اسم التقدم في الفقه في بلد ما عند العامة من لا خير فيه، ومن لا علم عنده ومن غيره أعلم منه!.

وقد شهدنا نحن قوما فساقا حملوا اسم التقدم في بلدنا وهم ممن لا يحل لهم أن يفتوا في مسألة من الديانة، ولا يجوز قبول شهادتهم!.

وقد رأيت أنا بعضهم وكان لا يقدم عليه في وقتنا هذا أحد في الفتيا:

وهو يتغطى الديباج الذي هو الحرير المحض لحافاً، ويتخذ في منزله الصور ذوات الأرواح من النحاس والحديد تقذف الماء أمامه!.

ويفتي بالهوى للصديق فتيا، وعلى العدو فتيا ضدها.

---

(١) الإحكام ١٠٣/٦ ـ ١٠٤.

ولا يستحي من اختلاف فتاويه على قدر ميله إلى من أفتى، وانحرافه عليه!.

شاهدنا نحن هذا منه عيانا.

وعليه جمهور أهل البلد.

إلى قبائح مستفيضة لا نستجيز ذكرها، لأننا لم نشاهدها[1].

٢١٣ ـ قال أبو محمد عن أحد المالكية ـ:

كنا نعجب من قول شيخ من شيوخهم أدركناه مقدما في مشاورة القضاة له على جميع مفتيهم.

فإن ذلك الشيخ قال في كتاب ألفه وقد رأيناه، ووقفنا عليه، وناولناه بيده، وهو مكتوب كله بخطه، وأقر لنا بتأليفه، وقرأه غيرنا عليه فكان في بعض ما أورد فيه أن قال:

روينا بأسانيد صحاح إلى التوراة أن السماء والأرض بكتا على عمر بن عبد العزيز أربعين سنة!!.

قال أبو محمد: هذا نص لفظه!.

فلا أعجب من الشيخ المذكور في أن يروي عن التوراة شيئا من أخبار عمر بن عبد العزيز وهذا إسماعيل يبطل قول النبي لا إذا أمن يعني الإمام فأمنوا، وتأمينه عليه السلام وهو الإمام بما لم يصح من ترك موسى للتأمين، وترك هارون للدعاء[2].

٢١٤ ـ قال أبو محمد عند قوله بأن السنة في صلاة العيدين أن يقرأ (ق) و (اقتربت الساعة) أو (سبح) و (الغاشية):

«شاهدنا المالكين لا يقرأون مع أم القرآن إلا والشمس وضحاها،

---

(١) الإحكام ٦/١٦٧.

(٢) الإحكام ٥/١٦٣ق.

وسبح. وهذا الاختياران فاسدان.. وإن كانت الصلاة كذلك جائزة. وإنما ننكر اختيار ذلك، لأنها خلاف ما صح عن رسول الله ﷺ»[1].

٢١٥ ـ قال أبو محمد عن اليهود:

ولقد شاهدناهم متفقين إلى اليوم على أن رجلاً من علمائهم ببغداد دخل من بغداد إلى قرطبة في يوم واحد، وأثبت قرنين في رأس رجل من بني الاسكندري كان ساكناً بقرب دار اليهود عند فندق الحرقة كان يؤذي يهود تلك الجهة، ويسخر منهم.

وهذه كذبة وفضيحة لا نظير لها!.

والموضع مشهور عندنا بقرطبة داخل المدينة. وبنو عبد الواحد بن يزيد الاسكندري من بيته رفيعة مشهورة أدركنا آخرهم.

كانت فيهم وزارة وعمالة، ليس فيهم مغمور ولا خفي إلى أن بادوا.

ما عرف قط أحد منهم هذه الأحموقة المختلقة!.

والقوم بالجملة أكذب البرية أسلافهم وأخلافهم.

وعلى كثرة ما شاهدنا منهم ما رأيت فيهم قط متحريا للصدق إلا رجلين فقط[2]!.

٢١٦ ـ قال أبو محمد عن أتباع محمد بن عبد الله بن مسرة:

وكان من أصحاب مذهبه رجل يقال له إسماعيل بن عبد الله الرعيني متأخر الوقت، وكان من المجتهدين في العبادة المنقطعين في الزهد. وأدركته ، إلا أني لم ألقه.

ثم أحدث أقوالاً شنيعة، فبرىء منه سائرَ المسرية وكفروه.

حدثني الفقيه أبو أحمد المعافري الطليطلي صاحبنا أحسن الله ذكره

---

(١) المحلى ٥/٨٣.

(٢) الفصل ١/١٢٣ق و ١/١٥٦ج.

قال أخبرني يحيى بن أحمد الطبيب وهو ابن ابنة إسماعيل الرعيني المذكور قال:

إن جدي كان يقول: إن العرش هو المدبر للعالم، وإن الله تعالى أجل أن يوصف بفعل شيء أصلاً!.

وكان ينسب هذا القول إلى محمد بن عبد الله بن مسرة، ويحتج بألفاظ في كتبه ليس فيها لعمري دليل على هذا وكان يقول لسائر المسرية: إنكم لن تفهموا عن الشيخ فبرئت منه المسرية أيضا على هذا القول.

وكان أحمد الطبيب صهره ممن برىء منه.

وتثبتت ابنته على هذه الأقوال متبعة لأبيها، مخالفة لزوجها وابنها.

وكانت متكلمة ناسكة مجتهدة.

ووافقت أبا هارون بن إسماعيل الرعيني على هذا القول، فأنكره، وبرىء من قائله، وكذب ابن أخيه فيما ذكر عن أبيه.

وكان مخالفوه من المسرية، وكثير من موافقيه:

ينسبون إليه القول باكتساب النبوة، وأن من بلغ الغاية من الصلاح وطهارة النفس أدرك النبوة وأنها ليست اختصاصا أصلا!.

وقد رأينا منهم من ينسب هذا القول إلى ابن مسرة، ويستدل على ذلك بألفاظ كثيرة في كتبه هي لعمري تشير إلى ذلك.

ورأينا سائرهم ينكر هذا فالله أعلم.

ورأيت أنا من أصحاب إسماعيل الرعيني المذكور من يصفه بفهم منطق الطير، وبأنه كان ينذر بأشياء قبل أن تكون فتكون!.

وأما الذي لا شك فيه فإنه كان عند فرقته إماما واجبة طاعته يؤدون إليه زكاة أموالهم.

وكان يذهب إلى أن الحرام قد عم الأرض، وأنه لا فرق بين ما

يكتسبه المرء من صناعة أو تجارة أو ميراث أو بين ما يكتسبه من الرفاق.

وأن الذي يحل للمسلم من كل ذلك قوته كيف ما أخذه.

هذا أمر صحيح عندنا عنه يقينا.

وأخبرنا عنه بعض من عرف باطن أمورهم:

أنه كان يرى الدار دار كفر مباحة دماؤهم وأموالهم إلا أصحابه فقط!

وصح عندنا عنه أنه كان يقول بنكاح المتعة.

وهذا لا يقدح في إيمانه ولا في عدالته لو قاله مجتهداً، ولم تقم عليه الحجة بنسخه.

لو سلم من الكفرات الصلع التي ذكرنا.

وإنما ذكرنا عنه ما جرى لنا من ذكره، ولغرابة هذا القول اليوم، وقلة القائلين به من الناس[1].

٢١٧ ـ قال أبو محمد:

إن أبا العاص حكم بن المنذر بن سعيد القاضي أخبرني عن إسماعيل بن عبد الله الرعيني:

أنه كان ينكر بعث الأجساد ووقفت على هذا القول بعض العارفين بإسماعيل، فذكر لي ثقات منهم أنهم سمعوه يقول: إن الله تعالى يأخذ من الأجساد جزء الحياة منها.

ولم ألق إسماعيل الرعيني قط على أني أدركته.

وكان ساكنا معي في مدينة من مدائن الأندلس تسمى بجاية مدة ولكنه كان مختفيا.

---

(١) الفصل ٥/٤١ق و٤/١٩٩ ـ ٢٠٠.

وكان له اجتهاد عظيم، ونسك وعبادة وصلاة وصيام.

وحكم بن المنذر ثقة في قوله، بعيد من الكذب.

وتبرأ منه حكم بن المنذر، وكان قبل ذلك يجمعهما مذهب ابن مسرة في القدر.

وتبرأ منه أيضاً إبراهيم بن سهل الاريواني، وكان من رؤوس المسرية.

وتبرأ منه أيضا صهره أحمد الطبيب، وجماعة من المسرية، وتولته جماعة منهم[1].

٢١٨ ـ قال أبو محمد:

لعن الله كل من كان عنده علم من الله تعالى ورسوله لا وكتمه عن الناس كائنا من كان.

ومن نسب هذا إلى الصحابة رضوان الله عليهم فقد نسبهم إلى الإدخال في الدين وكيد الشريعة.

وهذا أشد ما يكون من الكفر.

وقد عارضت بنحو من هذا الكلام الليث بن حرفش العبدي في مجلس القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن بشر رحمه الله وفي حفل عظيم من فقهاء المالكيين.

فما أحد منهم أجاب بكلمة معارضة، بل صمتوا كلهم إلا قليلاً منهم أجابوني بالتصديق لقولي.

وذلك أني قلت له: لقد نسبت إلى مالك رضي الله عنه ما لو صح عنه لكان أفسق الناس!.

وذلك أنك تصفه بأنه أبدى إلى الناس المعلول والمتروك والمنسوخ من

(١) الفصل ٤/١٠٠ق و ٤/٨٠ج.

روايته، وكتمهم المستعمل والسالم والناسخ حتى مات ولم يبده إلى أحد! وهذه صفة من يقصد إفساد الإسلام، والتلبيس على أهله!.

وقد أعاذه الله من ذلك بل كان عندنا أحد الأئمة الناصحين لهذه الملة، ولكنه أصاب وأخطأ، واجتهد فوفق وحرم كسائر العلماء ولا فرق أو كلاماً هذا معناه[1].

التعليق على النص

* ورد اسم مناظر ابن حزم في كل طبقات الإحكام ابن حرفش العبدي!.

وترجمته في الصلة: أبو الوليد الليث بن أحمد بن حريش العبدري القرطبي كان في عداد المشاورين بقرطبة وكان عالما بالرأي وذا نصيب وافر من علم الحديث واسع الرواية له واستقضي بالمرية وخطب بها وبكى في آخر جمعة وأبكى فتوفي في آخر ذلك اليوم ولد سنة ٣٠٥ وتوفي سنة ٤٢٨ هـ[2].

قال أبو عبد الرحمن: يظهر أن هذه المناظرة عند محاكمة ابن حزم من قبل فقهاء المالكية كما سأوضح ذلك إن شاء الله عند تحقيق أحد النصوص من رسالة البيان لابن حزم.

٢١٩ ـ قال أبو محمد:

وحدثني جعفر مولى أحمد بن محمد بن حدير، المعروف بالبليني[3] أن سبب اختلاط مروان بن يحيى بن أحمد بن حدير وذهاب عقله اعتلاقه بجارية لأخيه، فمنعها وباعها لغيره، وما كان في أخوته مثله ولا أتم أدبا منه.

---

(١) الإحكام ٢/١٢٢ق.

(٢) الصلة ٢/٤٥١.

(٣) إن صحت هذه اللفظة فهي نسبة إلى البلينة وتعني الحوت الكبير أو دابة البحر (انظر المغرب ١: ١٩٣ والجذوة: ٢١٤)، ومن أمثال بحارة الأندلس إذا ريت البلين أبشر بالرمشكل (انظر أمثال العوام ٢: ٦، والرمشكل هو ذكر البلينة). د. إحسان.

أخبرني أبو العافية مولى محمد بن عباس بن أبي عبدة[1] أن سبب جنون يحيى بن محمد بن عباس بن أبي عبدة بيع جارية له كان يجد بها وجدا شديدا، كانت أمه أباعتها وذهبت إلى إنكاحه من بعض العامريات. فهذان رجلان جليلان مشهوران فقدا عقولهما واختلطا وصارا في القيود والأغلال، فأما مروان فأصابته ضربة مخطئة يوم دخول البربر قرطبة وانتهابهم لها[2]، فتوفي رحمه الله. وأما يحيى بن محمد فهو حي على حالته المذكورة في حين كتابتي لرسالتي هذه، وقد رأيته أنا مرارا وجالسته في القصر قبل أن يمتحن بهذه المحنة، وكان أستاذي وأستاذه الفقيه أبو الخيار اللغوي[3]، وكان يحيى لعمري حلوا من الفتيان نبيلا[4].

التعليق على النص

* كل من ذكرهم أبو محمد هنا لم أجد لهم ترجمة. باستثناء شيخه ابن مفلت.

* أبو الخيار اللغوي مسعود بن سليمان بن مفلت الشنتريني من أهل قرطبة.
ذكر الحميدي، وابن حيان، وابن بشكوال: أنه ظاهري داودي المذهب يميل إلى الاختيار.

---

(١) لم أجد لمحمد بن عباس ترجمة، ولكنه من أسرة بني أبي عبدة إحدى الأسر الكبيرة في الأندلس، وقد كان عيسى بن أحمد بن أبي عبدة وزيراً أيام الأمير عبد الله الأموي واحتل رجال من هذه الأسرة مناصب هامة في الدولة (انظر الحلة السيراء ١/١٢٠ - ١٢١ والحاشية) وكان أحمد بن أبي عبدة أيام عبد الرحمن الناصر على القيادة (البيان المغرب: ٢: ١٥٨) ومحمد بن عبد الله بن أبي عبدة، على الخزانة (المصدر نفسه) وعيسى بن أحمد بن أبي عبدة على الشرطة العليا (٢: ١٥٩)، ويطول بنا القول لو أردنا تتبع أفراد هذه العائلة وتقلبهم في المناصب. د. إحسان.

(٢) بتروف: وانتهائهم إليها. إحسان.

(٣) هو مسعود بن سليمان بن مفلت الشنتريني القرطبي، كان ظاهرياً لا يرى التقليد، متواضعاً توفي سنة ٤٢٦ (الصلة: ٥٨٣ والجذوة: ٣٢٨ والبغية رقم: ١٣٦١). إحسان.

(٤) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/٢٤٢ - ٢٤٣ج.

وقال الحميدي: فقيه عالم زاهد.
ووصفه ابن بشكوال بالأديب.
وقال عنه أبو محمد - في الكلام عن تصرف الإنسان في مرض وفاته:
وتزوج شيخنا أبو الخيار مسعود بن سليمان رضي الله عنه قبل موته بسبع ليال وهو مريض يائس من الحياة ودخل بها إحياء للسنة[1].
وذكره أبو محمد ضمن العلماء المجتهدين[2].
وقال: وممن أدركنا من أهل العلم، على الصفة التي من بلغها استحق الاعتداد به في الاختلاف، مسعود بن سليمان بن مفلت[3].
وقال: ولقد ذكر لبعض أهل العلم وابتغاء الخير في الشيخ الفاضل أبي الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت رضي الله عنه معتمدا قويا، ومقعدا كافيا برد الله مضجعه، ونفعه بفضله وعمله وصحة ورعه وفهمه، وصدعه بالحق. رفع الله بذلك درجته.
قال أبو عبد الرحمن: هكذا وجدنا هذه العبارة بالنسخة المطبوعة من التلخيص[4].
وهي عبارة مضطربة، غير مرتبطة بالسياق.
وقال آنخل جنثالث بالثنيا وقد أنكر عليه فقهاء المالكية الظاهر، ومنعوه وأستاذه أبا الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت من التدريس في جامع قرطبة. اهـ.
قال أبو عبد الرحمن: لم أهتد بعد إلى مصدر هذه العبارة التي نقلها آنخل بالثنيا في كتابه عن تاريخ الأندلس.
قال أبو مروان الطبني عن أبي الخيار كان صاحبي عند جماعة من شيوخي، أنشدني هذا البيت وهو من أبيات كثيرة نفعا:

---

(١) المحلى ١٠/٢٦.
(٢) راجع رسالة أبي محمد أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم الملحقة بجوامع السيرة ص ٣٣٥.
(٣) الإحكام ٥/١٠٢.
(٤) مجموعة رسائل ابن حزم ٢/١٤٠ق.

نـافس المحسـن في إحسـانـه   فسيـكـفيـك مسيئـا عمـلـه

* قـال أبو عبـد الرحمن: هـذا البيت من شعر غـربيب بن عبد الله الثقفي[1].

قال الطبني: ولم يزل أبو الخيار هذا طالبا متواضعا عالما متعلما إلى أن لقي الله عز وجل على هذه الحال.

وتوفي لعشرين من ذي القعدة سنة ٤٢٦ [2].

٢٢٠ ـ قال الحميدي:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد:

حدثني محمد بن عبد الأعلى بن هاشم القاضي وعلي بن عبد الله الأديب كلاهما قال لي:

كان الوزير سليمان بن وانسوس رجلا جليلا أديبا من رؤساء البربر.

وكان أثيرا عند الأمير عبد الله بن محمد فدخل عليه يوما وكان عظيم اللحية فلما رآه مقبلا جعل الأمير ينشد:

مـعـلوفـة كـأنها حـزالـق
نـكـداء لا بـارك فـيـهـا الخـالـق
لـلقمـل في حـافـتـهـا نـقـانـق

وقال أبو محمد: وزادني علي بن عبد الله:

فـيهـا لـبلوغـي المتـكـا مـرافـق
وفي احـتـدام الصـيـف ظـل رائـق
إن الـذي يحـملهـا لمـائـق

ثم اتفقا:

---

(١) انظر الذيل والتكملة سفر ٥ قسم٢ ص ٥٢٣.

(٢) الصلة ٢/٥٨٣.

ثم قال له:
اجلس يا بربيري.
فجلس، وقد غضب، فقال:

أيها الأمير إنما كان الناس يرغبون في هذه المنـزلة، ليدفعوا عن أنفسهم الضيم.

وأما إذا صارت جالبة للذل فلنا دور تسعنا وتغنينا عنكم.

فإن حلتم بيننا وبينها فلنا قبور تسعنا لا تقدرون على أن تحولوا بيننا وبينها.

ثم وضع يديه في الأرض وقام من غير أن يسلم ونهض إلى منزله.

قالا: فغضب الأمير، وأمر بعزله، ورفع دسته الذي كان يجلس عليه. وبقي كذلك مدة.

ثم إن الأمير عبد الله وجد فقده لغنائه وأمانته ونصيحته وفضل رأيه فقال للوزراء: لقد وجدت لفقد سليمان تأثيراً وإن أردت استرجاعه ابتداء منا كان ذلك غضاضة علينا، ولوددت أن يبتدئنا بالرغبة.

فقال له الوزير محمد بن الوليد بن غانم:

إن أذنت لي في المصير إليه، استنهضته إلى هذا. فأذن له فنهض ابن غانم إلى دار ابن وانسوس فاستأذن وكانت رتبة الوزارة بالأندلس أيام بني أمية أن لا يقوم الوزير إلا لوزير مثله فإنه كان يتلقاه، وينزله معه إلى مرتبته، ولا يحجبه أول لحظة فأبطأ الإذن على ابن غانم حينا، ثم أذن له فدخل عليه فوجده قاعدا، فلم يتزحزح له، ولا قام إليه.

فقال له ابن غانم:
ما هذا الكبر؟.
عهدي بك وأنت وزير السلطان، وفي أبهة رضاه تتلقاني على قدم، وتتزحزح لي عن صدر مجلسك!.

وأنت الآن في موجدته بضد ذلك.

فقال له: نعم لأني كنت حينئذ عبداً مثلك!.

وأنا اليوم حر!.

قالا: فيئس ابن غانم منه وخرج ولم يكلمه ورجع إلى الأمير فأخبره، وابتدأ الأمير بالإرسال إليه، ورده إلى أفضل ما كان عليه[1].

قال أبو عبد الرحمن: ابن عبد الأعلى هو ابن الغليظ قرطبي ولي قضاء مالقة[2].

وعلي بن عبد الله لعلّه الأستجي.

قال أبو عبد الرحمن: تم السفر الأول بحمد الله وعونه ويليه السفر الثاني إن شاء الله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على عباده المرسلين.

---

(١) الجذوة ص ٢٦٦ ـ ٢٢٧ج و ص ٢٠٩ ـ ٢١١ق والبغية ص ٣٠١ـ٣٠٢ج وص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ق.

(٢) الصلة ٢/٥٠٩.

www.zahereyah.com
رة تحقيق تراث أهل الظاهـــــــــــــــــــــر
www.aldahereyah.net
أبومحمد المصرى

فهرس إجمالي